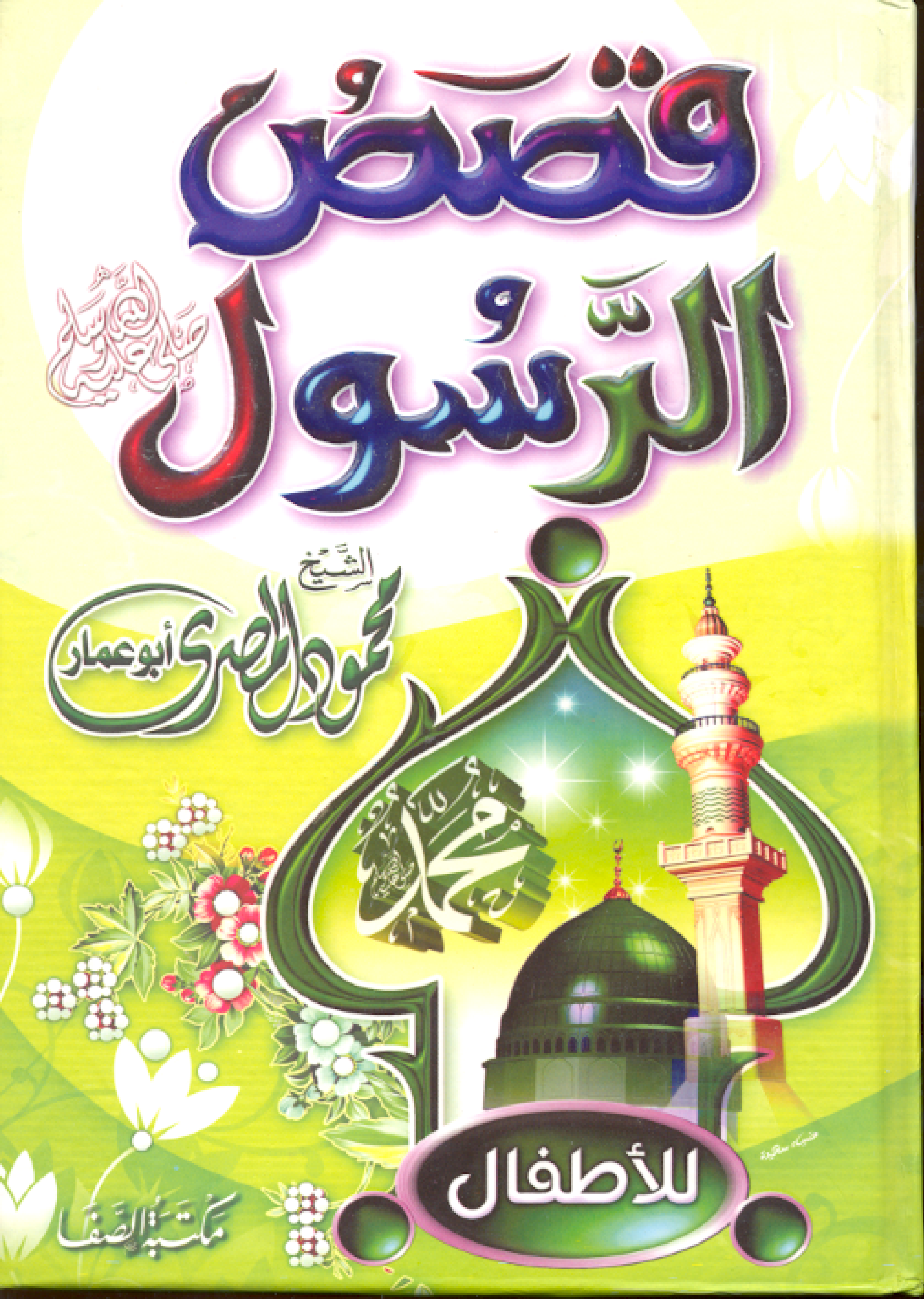


قصص الرسول ﷺ
الشيخ
محمود المصري أبو عمار
محمد ﷺ
للأطفال
مكتبة الصفا

قصص
الرسول ﷺ
لِلأُطفَال

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٤٦٠٠/٢٠٠٩

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر، القاهرة ت: ٢٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر ت: ٢٥١٤٧٩٧٤/٠١٠١٤٣١١١٤

قصص

الرسول صلى الله عليه وسلم

لِلأطفال

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا





مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالميـن، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فـالإسلام هو ديـن الهدى والنور، الـذى لا سعـادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندمـا تهتدى بهـداه، وتستـضىء بنوره، مخلـصة فى عبوديتـها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتـبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمـانة، والتـقـصـيـر فى تربيـة الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقـوم على حماية حدود الله وحـفظ شريعـته، وعلى دعـائم المحبـة والمودة والرحمـة

والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم دُرة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم، عن طريق القصص والحكايات.

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).
(٢) سورة النساء: الآية: (١).
(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

أما بعد:

فإن من أعظم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان (نعمة الأولاد) فهم منحة إلهية وهبة ربانية فهم زينة الحياة وزهرتها وهم أمانة فى نفس الوقت - يجب أن نحافظ عليها - فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

فالإحسان إلى الأولاد وتربيتهم أداء للأمانة... وإهمالهم والتقصير فى حقوقهم غشٌّ وخيانة.

* ومن المعلوم أن من أكثر الوسائل تأثيرًا فى الطفل المسلم: القصة - ولذا نجد كثيرًا من المُعلمين كانوا يلجؤون فى الماضى والحاضر للأسلوب القصصى فى توصيل المعلومة للطفل المسلم.. ولكن بكل أسف كان أكثرهم يختارون القصص الغربية التى تدمر الأخلاق والفضيلة فى نفس الطفل المسلم.

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

ونسى هؤلاء أن تاريخنا الإسلامى المجيد غنىٌ بأحسن القصص الذى يُعلّم أطفالنا الأخلاق الحميدة والسلوكيات القويمة. . . وعلى رأس هذا القصص قصص الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم سيرة الرسول ﷺ، ثم قصص الصحابة الأطهار ثم قصص التابعين الأخيار.

* وها أنا الآن أضيف لهذا القصص الهادف «قصص الرسول ﷺ للأطفال».

فالقرآن منهج حياة. . والسُّنة أيضًا منهج حياة ينبغى أن نربى عليه أولادنا.

* وها أنا اليوم أقدم لأبنائى وأحبابى كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال».

بأسلوبٍ سهلٍ ميسور من أجل أن ينتفعوا به وليتعلموا حُب السنة كما تعلموا حُب القرآن.

فهيا يا أحبابى لنتعايش بقلوبنا مع قصص الرسول ﷺ.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

ملحوظة هامة:

كنت قد أوردت فى كتاب «حكايات عمو محمود» - الجزء الأول - مجموعة من قصص الرسول ﷺ . . ولم يخطر على بالى وقتها أننى سأكتب بعد ذلك كتابًا عن قصص الرسول ﷺ للأطفال. . فلما كتبت هذا الكتاب أردت أن أجمع كل هذا القصص فى كتاب واحد، فأخذت كل القصص الذى ورد عن الرسول ﷺ فى كتاب «حكايات عمو محمود» ووضعته فى كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال» وبالتالى فسوف أحذف كل القصص الذى أخذته من كتاب «حكايات عمو محمود» فى الطبعة القادمة وسأكتب مكانه مجموعة أخرى من القصص المفيدة للأطفال.

ولقد ذكرت ذلك حتى لا يظن أحد أننى أكرر القصص التى وردت فى كتاب «حكايات عمو محمود» - الجزء الأول - فى كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال». . . وقد ذكرت ذلك من باب الأمانة حتى أكون قد وضحت الأمر للقارئ الحبيب.

جحود آدم (عليه السلام) ونسيانه

لما خلق الله آدم (عليه السلام) ونفخ فيه الروح عطس آدم بإذن الله (جل وعلا) فقال: الحمد لله.

وإذا بالحق (جل وعلا) يقول له: يرحمك الله يا آدم.

ثم أمره الله (جل وعلا) وقال له: يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإٍ منهم جالسين فقل لهم: السلام عليكم وانظر ماذا يقولون لك.

فذهب آدم (عليه السلام) إلى أولئك الملائكة فقال لهم: السلام عليكم.

فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله.

فعاد آدم (عليه السلام) إلى ربه (جل وعلا) فقال له تعالى: يا آدم هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم إلى يوم القيامة.

ثم قال له الحق (جل وعلا) ويداه مقبوضتان: يا آدم اختر أيهما شئت فقال آدم (عليه السلام): اخترت يمين ربي

وكلتا يدى ربى يمين مباركة.

ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فتعجب آدم (عليه السلام) وقال: أى ربِّ ما هؤلاء؟

فقال الله له: يا آدم هؤلاء ذريتك.

رأى آدم ذريته الذين سيُخلقون من بعده، وقد جعل الله بين عينى كل واحد منهم نوراً، كما رأى عمر كل واحد منهم مكتوبًا بين عينيه، ورأى رجلاً له نورٌ حَسَن، فسأل عنه، فأخبره أنه أحد أبنائه سيكون فى أمة من أواخر الأمم اسمه داود، وأن عمره ستون سنة، واستقلَّ آدم عمر داود، وطلب من ربه أن يزيد فى عمره، فأخبره أن ذاك هو العمر الذى كُتب له، فوهبه آدم من عمره ما يكمل به المائة.

ثم أمر الله آدم أن يسكن الجنة ما شاء أن يسكن حتى حدث ما حدث واستطاع إبليس أن يُغويه من أن يأكل من تلك الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها.. فلما أكل منها أُخرج من الجنة وأُهبط إلى الأرض هو وحواء وإبليس.

وعاش آدم (عليه السلام) فى الأرض ما شاء الله له أن يعيش... ويظهر أن الله أعلم آدم بعمره المكتوب له، وأنه

سيعيش ألف عام، فلما مضى من عمره ألف سنة إلا أربعين عامًا جاءه ملك الموت ينزع روحه، فاعترض على ملك الموت، واستنكر عليه أن يقبض روحه قبل أن يستكمل أجله، ويبدو أن آدم كان يحسب لنفسه، ويعد سنوات عمره، فذكَّره ملك الموت بما كان من هبته لابنه داود ما بقي له من سنوات عمره، فجحد آدم، وكان جحوده نسيانًا، وورث أبناء آدم صفات أبيهم، فجحدوا كما جحد، ونسوا كما نسي، ولذا أمر الله بالكتابة والشهود، ليواجه بهما جحود الجاحدين ونسيان الناسين[1].

* * *

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة، إلى ملإٍ منهم جلوس فقل: السَّلام عليكم، قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم.

فقال الله له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، قال:

(1) صحيح القصص النبوي د. عمر الأشقر (ص: ٢٢) بتصرف.

اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أي ربِّ!، ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم، أو من أضوئهم قال: يا رب من هذا؟

فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له: داود، فقال: ربِّ! كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي ربِّ! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبقَ من عمري أربعون سنة؟ قال: أوَلم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1].

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير - وقد دمجت بين الروايتين - انظر صحيح سنن الترمذي (٣٦٠٧) (٣٢٨٢).

الدروس المستفادة:

(١) أن من السُّنة أن الإنسان إذا عطس أن يقول: الحمد لله.. فيقول له من يسمعه: يرحمك الله.. فيرد عليه العاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم.

(٢) أن السلام هو تحية المؤمنين منذ خلق الله آدم (عليه السلام) وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٣) أن المسلم لابد أن يلتزم الأدب مع الله فى أقواله وأفعاله.

(٤) أن الإيثار من أخلاق المؤمنين.. ولقد رأينا كيف آثر آدم ابنه داود (عليهما السلام) ووهبه من عمره أربعين سنة.

(٥) أن إبليس هو سبب البلاء الذى نحن فيه.. فهو الذى أغوى أبانا آدم بأن يأكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها فكان سبب خروجه من الجنة.

(٦) أن الإنسان كثير النسيان.. وقد رأينا كيف نسى آدم (عليه السلام) أنه وهب ابنه داود (عليه السلام) أربعين سنة من عمره ولذلك اعترض على ملك الموت لأنه جاءه قبل انقضاء أجله بأربعين سنة.

محاجة آدم وموسى (عليهما السلام)

جلس النبي ﷺ يومًا مع أصحابه يحكى لهم قصة عجيبة.. فيا تُرى ما هى هذه القصة العجيبة؟

لقد حكى لهم أن موسى (عليه السلام) طلب أن يلتقى بأبينا آدم (عليه السلام) وقد كان هدف موسى (عليه السلام) من وراء هذا اللقاء محاورة آدم (عليه السلام) وتأنيبه على أنه كان سببًا فى إخراج نفسه وذريته من الجنة لما أكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها.

* ولكن ما هو السبب الرئيس الذى جعل موسى مُصرًا على لقاء آدم (عليهما السلام).

نحن نعلم أن الحياة الدنيا تعب وعناء، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى كَبَدٍ﴾[1] ويظهر هذا العناء فى كل أمر من الأمور، فاللقمة التى يأكلها الإنسان لا تأتى إلا بعد عناء، والشربة كذلك، وكذا اللباس والسكن، أضِف إلى هذا ما

(١) سورة البلد: الآية: (٤).

يصـاب به الإنسان من الأمـراض، ومـا يكيده به أعـداؤه وأصدقاؤه، وقد يأتيه الأذى من أولاده وأقربائه.

وقد عانى مـوسى ما عاناه من فرعون وحـزبه، فقد فرَّ من مـصر إلى مدين بعد قـتل القبطى، ورعى الغنم هناك عشـر سنوات أو ثمانى سنوات، وبـعد أن أرسله الله عـانى ما عـاناه من فـرعون، وعـانى من عناد بنى إسرائيل وتمردهم وأذاهم، ولـعله فى وقت من الأوقات دار فى خلده أن سـبب هذا العناء كله كـان بسـبب آدم الذى أخـرج نفسـه وذريته من الجـنة، فقـد أسكنه الله الجنة بعد أن خلقه، وأباح له ثمارها وأنهارها إلا شجرة واحدة، وتعهد له بأن لا يجوع فيها ولا يعرى، وأنه لا يظمأ فيها ولا يَضحى.

فلمـا عـصى آدم ربه، وأكل من الشـجـرة المنهى عن الأكل منهـا أنزله الـله من دار البـقـاء إلى دار الشـقـاء، وأصبح البشر لا يتمكنون من العيش إلا بمعاناة شديدة.

ولذا فإن موسى عليه السلام عندما التقى بأبيه آدم وجَّه إليه اللوم على إخراجه نفسه وذريته من دار النعيم(١).

(١) صحيح القصص النبوى / د. عمر الأشقر (ص ٧١).

* ولقد بدأ موسى حواره مع آدم (عليهما السلام) بكل أدب وتوقير ومحبة فقال له: أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك فى جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض.

وكأنه يريد أن يقول لآدم (عليه السلام): لقد أنعم الله عليك بكل هذه النعم فما كان ينبغى أن تقابل هذه النعم بمعصية الله والأكل من الشجرة التى نهاك الله عن الأكل منها.

* فواجه آدم لوم موسى (عليهما السلام) بلوم مثله وخاطبه أيضًا بكل رحمة وأدب ومحبة فقال له: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عامًا.

قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾[1]

قال: نعم.

قال: أفتلومنى على أن عملت عملاً كتبه الله علىَّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟

وهنا حكم رسولنا محمد ﷺ بأن آدم حَجَّ موسى

(١) سورة طه: الآية: (١٢١).

وانتصر عليه فى هذا الحوار الذى دار بينهما.

فقد وضح له آدم (عليـه السلام) أنه وإن كان قد أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها فإن الله لم يخبره بأنه إذا أكل من هذه الشـجرة فإنـه سيخـرج من الجنة.. بل إن الله (جل وعلا) كـان من الممكن أن يغفـر له هذا الذنب أو يجعل له أى عـقوبة أخرى غيـر الإخراج من الجنة.. لكن الله (جل وعلا) هو الذى قَدَّر أن يجعل العقوبة هى الإخراج من الجنة لحكمة جليـلة لا يعلمها إلا الله (جل وعلا).

وبذلك استطاع آدم أن يثبت لمـوسى (عليه السلام) أنه لم يكن سببًا فى إخراج نفسه وذريته من الجنة.

❋ ❋ ❋

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحجَّ آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟

فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟

قال موسى: بأربعين عامًا.

قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[1] قال: نعم.

قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟».

قال رسول الله ﷺ : «فحج آدمُ موسى»[2].



(١) سورة طه: الآية: (١٢١).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يصدق النبى ﷺ فى كل ما أخبر عنه من أمور الغيب.. فقد أخبرنا النبى ﷺ بهذا اللقاء الذى كان بين آدم وموسى (عليهما السلام) ونحن لا ندرى متى كان ذلك ولا أين كان لكننا نصدق لأن النبى ﷺ هو الذى أخبر بذلك.

(٢) لا بد عند الحوار بين اثنين أن يعرف كل واحد منهما قدر الآخر وفضله وأن يتم الحوار بينهما بكل رحمة وأدب ومحبة.

(٣) أن الحياة كلها تعب وعناء ومشقة.. وأنه لا راحة إلا فى الجنة.

(٤) أن الأنبياء أشد الناس بلاءً.

(٥) أنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر.. وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن لِيُخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

(٦) أن خروج آدم (عليه السلام) من الجنة كان لحكمة جليلة لا يعلمها إلا الله (جل وعلا).

قصة موسى والخضر (عليهما السلام)

قام موسى (عليه السلام) فى يوم من الأيام يخطب فى بنى إسرائيل ليدعوهم إلى الله ويُذكرهم ويرقق قلوبهم بالمواعظ الغالية فكان حديثه شيقًا رائعًا جذب قلوب الناس من حوله.

وبعد أن انتهى من موعظته قام واحد من بنى إسرائيل وسأله: هل هناك على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبى الله؟!

فقال موسى (عليه السلام): لا.

وإذا بجبريل (عليه السلام) ينزل فى تلك اللحظة ليخبر موسى (عليه السلام) بأن الله (عز وجل) يعتب عليه أنه لم يرد العلم إلى الله ويقول: الله أعلم.

ثم أخبره أن الله يقول له: إن عبدًا من عبادى بمكان يقال له: مَجمع البحرين هو أعلم منك يا موسى.

هنا اشتاق موسى (عليه السلام) لرؤية هذا الرجل الذى هو أعلم منه .. واشتاقت نفسه للتزود من العلم، وقال: يا ربِّ كيف أصل إلى هذا الرجل؟ فأمره الله (عز وجل) أن يحمل حوتًا فى مكتل - أى: يحمل سمكة فى سلة - ويسير فى البحر فإذا جاءت اللحظة التى تعود فيها الحياة للحوت ويقفز فى البحر فسوف يجد هناك هذا العبد العالم.

* وانطلق موسى (عليه السلام) بعدما أخذ الحوت فى المكتل وأخذ معه فتاه يوشع بن نون - الذى صار نبيًّا بعد موسى (عليه السلام).

وحمل الفتى السَّلة التى فيها الحوت وانطلقا ليبحثا عن هذا الرجل العالم.

وليس لديهم أى علامة على مكان هذا العالم سوى عودة الحياة للسمكة وهروبها إلى البحر.

* وكان موسى (عليه السلام) عنده عزم وإصرار على أن يصل إلى هذا العالم ولو ظل مسافرًا سنوات طويلة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1].

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٠).

* المهم أنه وصل موسى (عليه السلام) وفتاه يوشع إلى صخرة كبيرة بجوار البحر وقد تعبا من السفر .. ونام موسى (عليه السلام) وبقى يوشع سهران يحرس نبى الله موسى (عليه السلام).

وفجأة ساقت الرياح موجة عالية على الشاطئ فجاء رذاذ الماء على الحوت فدبَّت فيه الحياة وقفز إلى البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾(١) .. وكانت عودة الحياة إلى الحوت وهروبه إلى البحر علامة أعلم الله بها موسى (عليه السلام) لتحديد المكان الذى سيجد فيه هذا العالم الجليل الذى جاءه موسى ليتعلم منه.

* قام موسى (عليه السلام) من نومه ولم يعرف أن الحوت قد دبَّت فيه الحياة وهرب إلى البحر .. ونسى فتاه يوشع أن يخبره بما حدث.

وسار موسى وفتاه ليلتهما ويومهما حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا فقد شعرت بالتعب الشديد.

وهنا تذكر الفتى تلك اللحظة التى دبت فيها الحياة فى الحوت فهرب إلى البحر وذلك عندما كانا عند الصخرة..

(١) سورة الكهف: الآية: (٦١).

فأخبر موسى بما حدث واعتذر إليه بأن الشيطان هو الذى أنساه أن يذكر له ما حدث رغم غرابة ما حدث أمام يوشع فقد رأى الحوت يشق الماء فيترك علامة على الماء وكأنه يتلوى على الرمال فيترك عليها أثرًا.

* هنا أحسَّ موسى (عليه السلام) بسعادة غامرة عندما علم أن الحوت هرب إلى البحر؛ لأن معنى ذلك أنه قد وصل إلى المكان الذى يريده ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[1].

وعاد موسى (عليه السلام) وفتاه يبحثان عن المكان الذى هرب فيه الحوت.

وبعد بحث طويل وصل موسى إلى المكان الذى هرب فيه الحوت فى البحر.

وصل هو وفتاه إلى الصخرة التى ناما عندها وهناك وجدا رجلاً مُسجَّى بثوب ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2].

فسلم عليه موسى (عليه السلام).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٤).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٦٥).

فقال له الخضر: وهل بأرضك سلام؟ .. مَنْ أنت؟

فقال موسى: أنا موسى.

فقال الخضر: موسى نبي بني إسرائيل.. عليك السلام يا نبي بني إسرائيل.

ثم قال له الخضر: وماذا تريد مني يا موسى؟

قال موسى: أتيتك لتعلمني مما عُلمت رشداً.

فقال الخضر: أما يكفيك أن التوراة بيديك يا موسى؟!

ثم قال له: يا موسى إني على علم من علم الله لا تعلمه أنت .. وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا.

فقال له موسى: هل أتبعك على أن تُعلّمني مما عُلّمت رُشداً؟

فقال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾(١).

أي: أنك ستجد في تصرفاتي أشياء لا تفهم لها سبباً ولا تدري لها علّة ولذلك فلن تصبر معي يا موسى.

* فاحتمل موسى تلك الكلمات وعاد يرجوه أن يأذن له بصحبته ليتعلم على يديه، فقال له: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾[1] .

- وتأمل معي كيف كان تواضع موسى (عليه السلام) للخضر (عليه السلام).

* وهنا اشترط الخضر على موسى (عليهما السلام) شرطًا من أجل أن يكون في صحبته وهو ألا يسأله عن أي شيء حتى يحدثه هو عنه . . فوافق موسى على هذا الشرط.

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[2] .

* وانطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر يتكلمان وفجأة مرت أمامهما سفينة، فكلما أصحابها أن يحملوهما، فوافق أصحاب السفينة وبخاصة أنهم عرفوا الخضر (عليه السلام) فحملوهما بغير أجر إكرامًا للخضر.

فلما ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى! ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر.

(1) سورة الكهف: الآية: (٦٩).
(2) سورة الكهف: الآية: (٧٠).

* وبعد أن وصلوا جميعًا إلى الشاطئ فوجئ موسى (عليه السلام) بأن الخضر (عليه السلام) أخذ فأسًا حين غادر الناس السفينة وأخذ يخرق السفينة فاقتلع لوحًا من ألواحها وألقاه فى البحر .. فتعجب نبى الله موسى (عليه السلام) وقال للخضر (عليه السلام): لقد حملنا أصحاب السفينة بغير أجر وأكرمونا غاية الإكرام، ثم أنت تخرق لهم سفينتهم التى يعملون عليها لتغرقهم فى البحر فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

– لقد كان هذا التصرف الذى فعله الخضر عجيبًا من وجهة نظر موسى (عليهما السلام).

* وهنا قام الخضر ليُذكر موسى بالعهد الذى أخذه عليه.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1].

وهنا اعتذر موسى للخضر؛ لأنه فعل ذلك نسيانًا وطلب منه ألا يؤاخذه على ذلك ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[2]. فطلب منه أن يصبر عليه.

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٢).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٣).

* ومرة أخرى يسير موسى مع الخضر (عليهما السلام) فمرا على حديقة يلعب فيها الصبيان .. ولما شبع الأطفال من اللعب وتعبوا جلسوا جانبًا وناموا.. وفجأة قام الخضر بقتل غلامٍ منهم فثار موسى وظل يسأل الخضر: ما ذنب هذا الغلام وما جريمته حتى تقتله؟!

فقام الخضر يُذكِّر موسى للمرة الثانية بالعهد الذى أخذه عليه، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1] .

- ويعتذر موسى للمرة الثانية بأنه فعل ذلك نسيانًا وأعطاه العهد بأنه لن يسأله مرة أخرى .. فإذا سأله مرة أخرى فله الحق أن يفارقه هذه المرة.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[2] .

* وللمرة الثالثة والأخيرة يسير موسى مع الخضر (عليهما السلام)، فدخلا قرية كان أهلها على درجة عالية من البُخل.. فلما نفد الطعام الذى معهما طلبا من أهل القرية أن يقدموا لهما طعامًا فرفضوا أن يضيفوهما أو

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٥).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٦).

يقدموا لهما طعامًا.. ومرت الساعات عصيبة عليهما بلا طعام ولا شراب.

فجلس موسى والخضر (عليهما السلام) بجوار جدار مائل يكاد أن يسقط وفجأة قام الخضر ليصلح هذا الجدار ويبنيه من جديد.

فتعجب موسى من فعل الخضر.. كيف يقوم ويبنى الجدار فى تلك القرية التى بخل أهلها أن يقدموا لهما الطعام والشراب... قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[(١)].

* وهنا انتهى الأمر.. وكان الفراق بين موسى والخضر (عليهما السلام).

قال الخضر لموسى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[(٢)].

* لقد حذر الخضر موسى (عليه السلام) من السؤال عن أى شىء يراه حتى وإن كان أمرًا غريبًا ولكن موسى (عليه السلام) كان لا يتمالك نفسه من السؤال وبخاصة أنه يرى أشياء غريبة.. ولكنه لم يعلم أن الخضر كان لا

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٧).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٨).

يفعل أى شىء إلا بوحى من الله (جل وعلا) ولم يكن يفعل أى شىء من تلقاء نفسه.

* وبدأ الخضر يكشف لموسى (عليهما السلام) أسرار تلك الأشياء والأفعال التى كان يتعجب منها.

* فأخبره أولاً عن أمر السفينة التى خرقها رغم أن أصحاب السفينة أكرموهما وحملوهما بدون أجر.. فقد يظن موسى (عليه السلام) أن خرق السفينة مصيبة كبيرة لأصحابها لكن الخضر (عليه السلام) أخبره أنه فعل ذلك لأن الملك الظالم الذى كان يحكم البلاد كان فى هذه الأيام يستولى على كل سفينة سليمة خالية من العيوب، فأراد الخضر أن يخرقها حتى يتركها الملك، ثم يصلحها أصحابها بعد ذلك .. ومن المعلوم أن إصلاح لوح فى السفينة خير من ضياع السفينة كلها .. وبذلك استطاع الخضر أن يكون سببًا فى حفظ السفينة من الضياع وبذلك يبقى مصدر رزق هذه الأسرة كما هو فلا يموتون من الجوع ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(١).

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٩).

* ثم وضح له السر في قتل هذا الغلام .. فقد يعتبر موسى (عليه السلام) أن قتل الغلام مصيبة كبيرة بالنسبة لوالديه غير أن الخضر (عليه السلام) وضح له أن هذا الغلام طُبع كافراً وأنه كان سيرهق والديه عندما يكبرا وسيكون عاقًا لهما وأن موته سيكون رحمة لهما وأن الله (عز وجل) سيرزقهما بدلاً منه غلامًا يرعاهما ويُحسن إليهما في سنّ الشيخوخة والضعف.

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾(١).

* ثم وضح السرّ في بناء الجدار من غير أن يطلب أجرًا من أهل القرية.

فأخبره أن الجدار الذي بناه بدون أجر كان تحته كنز لغلامين يتيمين في المدينة وكان الجدار يكاد أن يسقط.. ولو سقط الجدار لظهر الكنز الذي تحته، فأخذه أهل القرية البُخلاء ولم يستطع الغلامان أن يحصلا على كنزهما فلذلك بنى لهما الجدار ليحفظ لهما كنزهما حتى يكبرا فيستخرجا الكنز بإذن الله (جل وعلا).

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٨٠، ٨١).

ولما كان أبوهما صالحًا فقد نفعهما الله بصلاحه فى طفولتهما وضعفهما، فأراد ربُّهما أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1].

* ثم وضح له الخضر أن هذا كله لم يفعله من تلقاء نفسه، وإنما كان ذلك كله بوحى من الله (جل وعلا).. ولذا قال له: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

* ثم اختفى هذا العالم العابد الخضر (عليه السلام) بعد أن تعلم منه موسى (عليه السلام) درسين فى غاية الأهمية:

(١) تعلم منه ألا يغتر بعلمه، فإنه فوق كل ذى علمٍ عليم.

(٢) تعلم منه ألا يتسرع ولا يتكلم إلا بما يعلم[3].

* * *

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٨٢).
(٣) قصص القرآن للأطفال / محمود المصرى (ص: ٢٢٠ - ٢٣٨).

الدروس المستفادة:

(١) ينبغي على المسلم أن يُذكر إخوانه بالله فقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]... ولقد رأينا كيف وقف موسى (عليه السلام) ليذكر بنى إسرائيل بالله (جل وعلا).

(٢) ينبغي على المسلم أن ينسب العلم إلى الله ولا يقول: أنا أعلم الناس... فإنه من تواضع لله رفعه.

(٣) أن المسلم ينبغي عليه أن يحرص على طلب العلم... فقد رأينا كيف أن نبى الله موسى (عليه السلام) سافر طلبًا للعلم.

(٤) لابد لطالب العلم أن يتواضع فى طلب العلم وأن يتأدب بين يدى شيخه حتى ينتفع بعلمه.

(٥) أن هناك أشياء كثيرة لا يعلم العبد ما هى الحكمة من ورائها لكن الله (عز وجل) يعلم... فعلى العبد أن ينفذ أوامر الله دون أن يسأل عن الحكمة من وراء ذلك.

(٦) أن العبد قد يُحرم الخير بسبب تسرعه وعدم صبره.

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٥).

قصة الحجر الذى فرَّ بثياب موسى (عليه السلام)

جلس النبى ﷺ كعـادته مع أصحـابه ﷺ ليحكى لهم قصة الحجر الذى فرَّ بثياب موسى (عليه السلام) . . فيا تُرى ما هى قصة ذلك الحجر؟

تعالوا بنا لنعرف هذه القصة ولكن بعد أن تصلوا على النبى محمد ﷺ .

* لقد كان فى شريعة بنى إسرائيل أنه يجوز أن يغتسل الرجال عُراة ينظر بعضهم إلى بعض.

ولكن نبى الله موسى (عليه السلام) كـان شديد الحياء فكان يستحى أن يغتسل أمـامهم ولذلك كان يغتسل وحده بعيـداً عن أعين الناس ولا يُبدى أى شيء من جسـده ولا عورته.

ونحن نعلم أن الحياء خُلق كريم من أخلاق الإسلام.

وكان رسولنا محمـد ﷺ أشد حياءً من العذراء فى

خدرها . . بل كان يحض المسلمين على الحياء ويقول: «الحياء كله خير»[1].

* وفي يوم من الأيام أشاع بعض الجُهَّال من بني إسرائيل أن موسى (عليه السلام) لا يغتسل وحده حياءً من الناس . . وإنما يفعل ذلك لوجود عيب في جسده لا يريد أن يطلع الناس عليه.

فلما علم موسى (عليه السلام) بهذا الكلام تأذَّى وأحسَّ بشيء من الحزن والضيق.

ونحن نعلم أن نبي الله موسى (عليه السلام) له مكانة عظيمة عند الله (جل وعلا) فهو رسول من أولي العزم الخمسة الذين هم أفضل الرسل . . وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات ربي وسلامه عليهم - .

والرسل في أعين الناس ونظرهم يجب أن يكونوا في أبهى صورة من جمال الخَلق والخُلق.

والله (عز وجل) لا يرضى الأذى لرسوله فكان لا بد من تهيئة الأسباب لتبرئة نبي الله موسى (عليه السلام) من تلك الإشاعة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) واللفظ له.

* وجاءت اللحظة الحاسمة التى برأ الله فيها موسى (عليه السلام) من تلك الإشاعة.

فقد ذهب بنو إسرائيل يغتسلون كالعادة عُراة ينظر بعضهم إلى بعض.

وذهب موسى (عليه السلام) يغتسل بعيدًا عنهم حتى لا يراه أحد.

ووضع ثيابه على الحجر ونزل الماء ليغتسل.

فلما انتهى من اغتساله خرج من الماء ليأخذ ثيابه من على الحجر ليلبسها وإذا بالمفاجأة التى لا تخطر على قلب بشر.

لقد أخذ الحجر ثياب موسى (عليه السلام) وطار وفرَّ بها.

ونحن نعلم يقينًا أن الحجر لا يستطيع أن يتحرك أو يطير لأنه جماد ولكن الله (جل وعلا) جعله يطير بطريقة لا نعلمها وذلك لحكمة جليلة ألا وهى تبرئة موسى (عليه السلام) مما نسبه الناس إليه.

* لم يكن موسى (عليه السلام) يتخيل أبدًا أن يطير

الحجر بثيابه فما كان منه إلا أنه ظل يجرى وراء الحجر ليأخذ ثيابه.. وهكذا ظل موسى (عليه السلام) يجرى عُريانًا خلف الحجر.. والحجر يطير بثيابه حتى بلغ موسى (عليه السلام) المكان الذى يجتمع فيه الناس فنظروا إليه فوجدوه سليم الجسد قوى البنية ليس به عيب فى جسده فزالت تلك الإشاعة الكاذبة التى رماه بها هؤلاء الجهلة.

وهنا توقف الحجر وأخذ موسى (عليه السلام) ثيابه ولبسها ثم أخذ عصاه وأخذ يضرب بها الحجر ضربًا شديدًا بسبب ما فعله معه.

ومع أن نبى الله موسى (عليه السلام) يعلم يقينًا أنه حجر لا يعقل لكنه ضربه لأنه فعل أمرًا لا تفعله الحجارة أبدًا.

والعجيب أن عصا موسى (عليه السلام) رغم أنها كانت من الخشب إلا أنها أثرت فى ذلك الحجر وتركت به آثارًا بعدد تلك الضربات التى وقعت عليه من عصا موسى (عليه السلام).

* وفى هذه القصة يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[1].

❊ ❊ ❊

❊ وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«إن موسى كان رجلاً حييًا ستِّيرًا لا يُرى من جلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده؛ إما برص، وإما أُدْرَة، وإما آفة.

وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فرآوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[2]»[3].

❊ ❊ ❊

---

(1) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).

(2) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).

(3) أخرجه البخاري.

الدروس المستفادة:

(١) أن الحياء خُلق عظيم من أخلاق الإسلام.. فينبغي على كل مسلم أن يتصف بصفة الحياء لأن الحياء كله خير.

(٢) أن الفُساق والجُهال يؤذون الصالحين ويثيرون حولهم الشائعات والأكاذيب فى كل زمان ومكان.

(٣) أن المسلم لا ينبغى عليه أبدًا أن يهتم بتلك الشائعات التى تُقال فى حقه.. بل ينبغى عليه أن يستمر فى طاعته ودعوته ولا يلتفت أبدًا حتى يستمر فى نجاحه.

(٤) أن الله يدافع عن الذين آمنوا.. ولذلك هيأ الله الأسباب التى كانت سببًا فى زوال تلك الإشاعة.

* * *

قصة عجوز بنى إسرائيل

فى يوم من الأيام نزل النبىُّ محمد ﷺ ضيفًا على رجل من الأعراب، فلم يُصدق الرجل نفسه أن ضيفه هو رسول الله ﷺ، فأخذ الرجل يقدم الطعام والشراب والفاكهة لرسول الله ﷺ مع أنه رجل فقير، لا يملك شيئًا لكنه كان فى قمة السعادة لأن بيته قد امتلأ بركة ونورًا بوجود الرسول ﷺ.

تعجب النبى ﷺ من كرم هذا الأعرابى الفقير.

ولكن أين يبلغ كرم هذا الأعرابى بجوار كرم رسول الله ﷺ الذى كان أجود من الريح المرسلة فى الإنفاق وفعل الخيرات.

فما كان من النبى ﷺ إلا أن طلب من هذا الأعرابى أن يأتى إليه بعد ذلك ليجزيه ويكافئه على ما فعله معه ﷺ.

ومرت الأيام وتعرض هذا الأعرابى لأزمة مادية كبيرة،

فتذكَّر أن رسول الله ﷺ كان قد طلب منه أن يأتى إليه ليجزيه ويكافئه، فما كان منه إلا أن ذهب إلى النبىِّ ﷺ واستأذن فى الدخول عليه، فلما علم النبىُّ ﷺ بوصول هذا الأعرابى أذِن له فى أن يدخل عليه.

دخل الأعرابى على رسول الله ﷺ وسلم عليه فردَّ النبى ﷺ عليه السلام ورحَّب به غاية الترحيب .. وأخذ يسأله عن أحواله ليطمئن عليه فبدأ الرجل يشكو إليه الفاقة والفقر والحاجة.

فما كان من النبى ﷺ إلا أن قال له: يا أعرابى اطلب ما تريد.

وكان النبى ﷺ يظن أن هذا الأعرابى سيطلب شيئًا كبيرًا .. وذلك بأن يسأل رسول الله ﷺ أن يدعو له بمغفرة ذنوبه أو بدخول الجنة أو بصحبة النبى ﷺ فى الجنة .. لكن هذا الأعرابى لم يسأل النبى ﷺ أى شيء من كنوز الآخرة بل سأله شيئًا يسيرًا من حُطام الدنيا.

قال له الأعرابى: يا رسول الله! أريد ناقة برحلها

نركبها ونسافر عليها وأعنزًا نحلبها ونشرب حليبها.

فحزن النبي ﷺ حزنًا شديدًا؛ لأن هذا الأعرابي أتيحت له فرصة العمر بأن يدعو له رسول الله ﷺ دعوة مستجابة، فيفوز في دنياه وآخرته.

لكنه ترك كل ذلك وسأل شيئًا يسيرًا يمكن أن يُطلب من أي إنسان.

فإذا بالنبي ﷺ يقول لهذا الأعرابي: «أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟!».

فتعجب الصحابة لأنهم لم يسمعوا بسيرتها قبل ذلك فقالوا: يا رسول الله وما عجوز بني إسرائيل؟

فبدأ النبي ﷺ يحكي لهم قصة عجوز بني إسرائيل التي كانت صاحبة همة عالية .. فلما أُتيحت لها الفرصة بأن تطلب شيئًا من نبي الله موسى (عليه السلام) لم تطلب منه أي شيء من حُطام الدنيا بل طلبت أن تكون معه في الجنة .. فيا تُرى ما هي قصتها؟

تعالوا بنا لنتعرف على قصتها.

* تبدأ القصة من أيام نبي الله يوسف (عليه السلام).

فإنه لما أصبح يوسف (عليه السلام) عزيز مصر وأحس بعد ذلك بقرب أجله وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(١).

وهنا أخذ نبي الله يوسف (عليه السلام) العهد والميثاق على بني إسرائيل عند موته أنهم إذا خرجوا فى يوم من الأيام من مصر أن يحفروا ويأخذوا جسده ليدفنوه فى الأرض المقدسة فى فلسطين.

* ومات يوسف (عليه السلام) .. ومرت سنوات وسنوات ولم يستطع بنو إسرائيل أن يأخذوا جسده من مصر ليدفنوه فى الأرض المقدسة.

* ولما بُعث نبي الله موسى (عليه السلام) وذهب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله (جل وعلا) فأبَى فرعون أن يؤمن بالله بل وحارب رسول الله موسى (عليه السلام) وخرج بجيشه وراء موسى ومن آمن معه من أجل أن يقتلهم.

فخرج موسى (عليه السلام) وقومه .. وبينما هم فى

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠١).

الطريق؛ إذ ضلوا الطريق فتعجب نبى الله موسى (عليه السلام) فسأل من معه من علماء بنى إسرائيل عن سبب ذلك فقالوا له: إن يوسف (عليه السلام) كان قد أخذ العهد على بنى إسرائيل أنهم إذا خرجوا من مصر أن يحفروا ويأخذوا جسده ليدفنوه فى الأرض المقدسة.

فقال موسى (عليه السلام): وهل هناك أحد يعرف مكان قبر يوسف (عليه السلام)؟

قالوا: لا يعرف مكان قبر يوسف (عليه السلام) إلا امرأة عجوز من بنى إسرائيل.

فقال موسى (عليه السلام): ائتونى بها.

فذهبوا إليها وجاءوا بها إلى نبى الله موسى (عليه السلام).

فلما رآها قال لها: دُلينى على قبر يوسف (عليه السلام).

فقالت المرأة: لن أدلك على قبر يوسف (عليه السلام) إلا إذا حققت طلبى.

فسألها موسى (عليه السلام): ما هو طلبك وماذا تريدين؟

قالت: أريد أن أكون معك فى الجنة!!

فتعجب نبى الله موسى (عليه السلام) من طلبها.. وكره أن يحقق لها طلبها لأنه رأى أن هذا العمل الذى ستقوم به لا يساوى أن تكون معه فى تلك المنزلة العالية.. أو لأنه لا يستطيع أن يعدها بشيء لا يملكه هو.. فهو لا يستطيع أن يقول لأحد أنه سيكون معه فى الجنة إلا إذا أوحى الله (عز وجل) إليه بذلك.

وبالفعل أوحى الله إليه فى تلك اللحظة بأن يعطيها حكمها وأن يخبرها بأن الله قد حقق لها أمنيتها وأنها ستكون معه ﷺ فى الجنة.

وهكذا كانت هذه المرأة صاحبة همة عالية فلقد اغتنمت الفرصة عندما أتيحت لها وطلبت من نبى الله موسى (عليه السلام) أن تكون معه فى الجنة.

* وعندما أخبر نبى الله موسى (عليه السلام) هذه المرأة العجوز بأنها ستكون معه فى الجنة.. قامت المرأة وتوجهت إلى بحيرة صغيرة قريبة منهم وطلبت منهم أن ينضحوا ذلك الماء، ثم قالت لهم: احفروا هذا المكان

فلما حفروا وجدوا جسد يوسف (عليه السلام) كما هو وكأنه قد دُفن الآن فلما رفعوه وساروا به أضاء لهم الطريق كأنما هم فى ضوء النهار.

* * *

* ولقد وردت هذه القصة فى سُنة رسول الله ﷺ:

فعن أبى موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابى، فأكرمه، فقال له: «يا أعرابى سَل حاجتك» قال: يا رسول الله، ناقة برحلها، وأعنُز يحلبها أهلى، . . . قالها مرتين.

فقال له رسول الله ﷺ: «أعجزت أن تكون مثل عجوز بنى إسرائيل؟!».

فقال أصحابه: يا رسول الله! وما عجوز بنى إسرائيل؟

قال: «إن موسى أراد أن يسير ببنى إسرائيل فأضلَّ عن الطريق، فقال له علماء بنى إسرائيل: نحن نحدثك أن يوسف أخذ علينا مواثيق الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: وأيكم يدرى أين قبر يوسف؟

قالوا: ما تدرى أين قبر يوسف إلا عجوز بنى إسرائيل،

فأرسل إليها فقال: دليني على قبر يوسف. فقالت: لا والله لا أفعل حتى أكون معك في الجنة».

قال: «وكره رسول الله ما قالت، فقيل له: أعطها حُكمها فأعطاها حُكمها، فأتت بُحيرة فقالت: انضبوا هذا الماء فلما نضبوه قالت: احفروا ههنا، فلما حفروا إذا عظام يوسف، فلما أقلوها من الأرض فإذا الطريق مثل ضوء النهار»[1].

* * *

(١) هذا الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٢٤) ورقمه ٤٠٨٨ . وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

الدروس المستفادة:

(١) أن كرم الضيافة من أخلاق المسلمين .. ولقد رأينا كيف أن هذا الأعرابى الفقير كان فى غاية الكرم مع رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...»**[(١)].

(٢) أن المسلم ينبغى عليه أن يكافئ من أحسن إليه.. ولذلك كان النبى ﷺ لا يترك أحدًا يعمل معه معروفًا إلا ويكافئه أعظم مكافأة.

ولقد رأينا كيف أن الأعرابى لما أحسن ضيافة النبى ﷺ طلب منه النبى ﷺ أن يأتيه حتى يكافأه.

(٣) أن المسلم ينبغى أن يكون أكثر طموحاته مرتبطة بنعيم الجنة والفوز برضا الله (جل وعلا) .. لا أن تكون كل طموحاته فى حُطام الدنيا الزائل.

(٤) أن علو الهمة رزق يعطيه الله لمن يشاء من عباده. ولقد رأينا كيف أن هذه المرأة العجوز كانت عالية الهمة .. فعندما طلب منها نبى الله موسى (عليه السلام)

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم.

أن تدله على قبر يوسف (عليه السلام) قالت له: لن أدلك على قبره حتى تعطينى العهد بأن أكون معك فى الجنة.

(٥) أن العبد قد يُحرم التوفيق إن لم ينفذ أمر الله .. ولقد رأينا كيف تاه بنو إسرائيل وهم خارجون من مصر بسبب أنهم تركوا جسد يوسف (عليه السلام) ونسوا أنه أخذ العهد عليهم أن يُخرجوا جسده من مصر ويدفنوه فى الأرض المقدسة.

(٦) أن الله رحيم بعباده .. فلقد رأينا كيف أوحى الله إلى موسى (عليه السلام) بأن يبشر هذه المرأة بأنها معه فى الجنة رغم أن العمل الذى ستقوم به لا يساوى تلك المنزلة.



قصة دسّ جبريل التراب في فم فرعون

لقد أخبرنا الله (جل وعلا) في كتابه عن حال فرعون الذي طغى وبغى وملأ الأرض ظلمًا وعدوانًا وكفرًا بالله (جل وعلا).

حتى وصل الأمر بفرعون أنه قال: «أنا ربكم الأعلى» وقال: «ما علمت لكم من إلهٍ غيري» .. بل وحارب نبيَّ الله موسى (عليه السلام) ومن معه من المؤمنين.

وتمر الأيام وتأتي اللحظة التي قدَّرها الله (عز وجل) لينتقم من فرعون وجنوده وأتباعه .. فإنه لما سار فرعون بجنوده خلف موسى (عليه السلام) وأتباعه ووصلوا إلى البحر .. وشاء الله (عز وجل) أن تحدث هذه المعجزة الكبرى بأن يضرب موسى البحر بعصاه، فيشقه إلى نصفين، ثم يمر ومن معه من المؤمنين حتى يصلوا إلى الشاطئ الآخر.

ويدخل فرعون وجنوده في ذلك الطريق الذي بداخل البحر ويأمر الله البحر، فيُغرق فرعون وجنوده.

وبينما فرعون يغرق وإذ به يقول: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.. فلما رآه جبريل (عليه السلام) يقول ذلك خاف أن ينطق بكلمة التوحيد، فيرحمه الله (جل وعلا).

فأخذ جبريل (عليه السلام) يدسّ التراب في فم فرعون حتى لا يتمكن من النطق بكلمة التوحيد خشية أن تدركه رحمة الله ويقبل الله توبته.

وجبريل (عليه السلام) لم يفعل ذلك مع فرعون إلا لشدة كراهيته لذلك الطاغية الذي ملأ الأرض فساداً وإفساداً ومحاربة لأولياء الله الصالحين.

* ومن المعلوم أن المؤمن بطبعه يُبغض الظلم والظالمين.. وقد يصل به الأمر أحيانًا أن يدعو عليهم بعد أن يرى إصرارهم على ظلم الناس من حولهم.

وقد دعا موسى (عليه السلام) على فرعون ومن معه فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا

لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[1].

* وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ: «لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾[2]، فقال جبريل: يا محمد! فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر، فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة»[3].

* * *

(١) سورة يونس: الآية: (٨٨).
(٢) سورة يونس: الآية: (٩٠).
(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦).
حال البحر: الطين الأسود الذي يكون في أرض البحر.

الدروس المستفادة:

(١) عِظَم رحـمة الله، فـقد خـشى جبـريل وهو من أعلم الخلق بالله أن تنال رحـمة الله فـرعون عندما نطق بكلمة التوحيد فى غرقه.

(٢) فضل كلمة التوحـيـد، فإن جبريل خشى أن يرحم الله بها فـرعون الكافر، فكيف إذا قـالها العبـد فى حال الصحـة والعافـيـة مـوقنًا بها، لا شك أن فى ذلـك أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً.

(٣) شدة بـغض الملائكة للكفرة المجـرمين، حـتى أن جبريل كان يدسُّ التراب فى فم فرعون عند نزول العذاب به[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٣٦١).

قصة المفاخر بآبائه الكفرة

فى يوم من الأيام جلس النبىُّ ﷺ كالعادة مع أصحابه ﷺ ودار الحديث بينهم فى أمور الدين.

وفجأة قام رجلان أمام النبى ﷺ وأخذ كل واحد منهما يذكر للآخر نسبه وعائلته وآباءه وأجداده.

فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان بن فلان، فمن أنت لا أمَّ لك؟

فأراد النبىُّ ﷺ أن يُلقن هذا الرجل درسًا لا ينساه أبدًا.

فأخبر النبى أنه قد حدث هذا الأمر على عهد موسى (عليه السلام)، فقام رجلان أمام موسى (عليه السلام)، فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان . . حتى عَدَّ تسعة من آبائه وأجداده، ثم قال لصاحبه: فمن أنت لا أُمَّ لك؟

فقال له صاحبه: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام.

فأوحى الله (عز وجل) إلى موسى (عليه السلام) أن

يخبر الرجل الأول الذى عَدَّ تسعة من آبائه وأجداده بأنه قد افتخر وانتسب إلى تسعة من آبائه وأجداده كلهم فى النار وأنه سيكون عاشرهم فى النار.

وأوحى إلى موسى (عليه السلام) بأن يخبر الرجل الثانى الذى قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام .. بأنه قد انتسب إلى رجلين من أهل الجنة وهو ثالثهما فى الجنة.

* وكأن النبى ﷺ أراد أن يعطى هذا الصحابى درسًا كبيرًا فى أنه لا ينبغى أن يفتخر الإنسان بآبائه وأجداده إن كانوا كفارًا أو عُصاة .. أما إن كان الآباء والأجداد من عباد الله الصالحين فمن حق المسلم أن يفتخر بصلاحهم وبخاصة إذا كان يسير على خُطاهم.

كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (١).

* ويُروى أن هذا وقع لسلمان الفارسى رضي الله عنه فقد ذكر

(١) سورة يوسف: الآية: (٣٨).

جمعٌ من الرجال - كان فيهم سلمان - آباءهم، فلما جاء دور سلمان قال: أنا ابن الإسلام، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر، بكى، وقال: وأنا ابن الإسلام.

* * *

* وقد وردت هذه القصة في سُنة النبي ﷺ:

عن أبي بن كعب قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، من أنت لا أمَّ لك؟

فقال رسول ﷺ: «انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أمَّ لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن هذين المتسبين: أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة»[1].

* * *

(١) أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٧٠).

الدروس المستفادة:

(١) أنه يجب علينا أن نحذر من العصبية الجاهلية وذلك بأن نتفاخر على من حولنا بالآباء والأجداد والمال والجاه والمنصب وبخاصة إذا كان الآباء والأجداد كافرين أو من العُصاة.

(٢) أن الفخر بالآباء والأجداد وتحقير شأن الآخرين يُشعل نار العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع المسلم.

(٣) أن قدر المسلم عند ربه لا يكون بحسبه ولا نسبه وإنما يكون بإيمانه وتقواه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

قصة موسى (عليه السلام) وملك الموت

يخبرنا الرسول ﷺ أن من كرامة الأنبياء عند ربهم (جل وعلا) أنهم يُخيَّرون عند الموت بين البقاء فى هذه الحياة وبين الرحيل والانتقال إلى الرفيق الأعلى.

ومن هنا يحكى لنا النبى ﷺ قصة موسى (عليه السلام) أن الله أرسل إليه ملك الموت فى صورة رجل فدخل عليه بيته دون أن يستأذن عليه وقال له: أجب ربك.. وكان ذلك إيذانًا بأن أجله قد حضر وأن ساعة موته قد أتت.

فلم يعرف موسى (عليه السلام) أن هذا هو ملك الموت لأنه جاءه فى صورة رجل.. فما كان منه إلا أنه قام ولطم وجه ملك الموت ففقأ عينه - أى: عينه البشرية التى تمثَّل بها وإلا فلو كان ملك الموت فى صورته الملائكية لما استطاع موسى (عليه السلام) أن يلطم وجهه ولا أن

يقدر عليه -.

فرجع ملك الموت إلى ربه (جل وعلا) ليشكو إليه ما أصابه من موسى (عليه السلام) وقال له: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني.

فما كان من الله (جل وعلا) إلا أن ردَّ إلى ملك الموت عينه كما كانت.

ثم أمره أن يعود مرة أخرى إلى موسى (عليه السلام) وأن يسأله إن كان يريد الحياة فعليه أن يضع يده على ظهر ثَور ثم يعد الشعرات التي غطتها يده فيكون له بكل شعرة من تلك الشعرات سنة يعيشها في هذه الحياة ويكون أجله من السنوات بعدد تلك الشعرات وبذلك يعيش حياة طويلة جداً إن كان يريد الحياة.

ولكن موسى عندما استعلم من ملك الموت عما وراء تلك الحياة المديدة قال له: الموت... فاختار الموت من قريب. فما عند الله لرسله وأنبيائه والصالحين من عباده خيرٌ وأبقى.

إذا كانت أرواح الشهداء في حواصل طير خضر،

تسرح في رياض الجنة تأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، وتأوي إلى قناديل معلقة في سقف عرش الرحمن، فإن حياة الرسل والأنبياء فوق ذلك كله، وماذا كان سينال موسى عليه السلام لو بقي حيًا إلى يومنا، كان سيعاني من مصائب الحياة وبلاياها، وسيعاصر تلك الأحداث الكبار على مر التاريخ التي تشغل الفكر، وتُدمي القلب، أوليس خيرًا له أن يكون في الرفيق الأعلى مع الرسل والأنبياء يتقلب في جنات النعيم، من أن يبقى في دار الشقاء والبلاء؟!!

لقد خُيِّر موسى فاختار، اختار لقاء الله على حياة مديدة طويلة، فما عند الله خير وأبقى، والآخرة خير من الأولى.

وقد طلب من ربه عند قبض روحه أن يُدنيه من الأرض المقدسة حتى يكون منها رمية بحجر.

واستجاب الله دعاء موسى، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن قبر موسى هناك على مشارف الأرض المباركة عند الكثيب الأحمر، وأنه لو كان هناك لأراه أصحابه[1].

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ٩٩-١٠٠) بتصرف.

ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك[1]، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فردَّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور[2]، فما توارت يدك[3] من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مَه؟[4] قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب رب. قال: أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر»[5]، قال رسول الله ﷺ: «والله لو أني عنده، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر[6]»[7].

❊ ❊ ❊

---

(١) أجب ربك: أي للموت، ومعناه: جئت لقبض روحك.

(٢) متن الثور: ظهره.

(٣) فما توارت يدك: أي ما سترت ووارت.

(٤) مه: استفهام، أي: ثم ماذا؟ أحياة أم موت؟

(٥) رمية حجر: قدر ما يبلغه الحجر إذا رمي.

(٦) الكثيب الأحمر: الكثيب: الرمل المجتمع.

(٧) أخرجه البخاري (١٣٣٩) كتاب الجنائز، ومسلم (١٨٤٢) كتاب الفضائل، واللفظ لمسلم.

الدروس المستفادة:

(١) دلَّ الحديث على أن الأنبياء كانوا يُخيَّرون قبل أن تُقبض أرواحهم بين الحياة وبين الانتقال إلى رحمة الله، كما خُيِّر موسى فى هذا الحديث، وقد سمعت عائشة رسول الله ﷺ يقول وهو فى مرض موته: «اللهم الرفيق الأعلى»، فعلمت أنه خُيِّر فاختار.

(٢) قدرة الملائكة على التمثل فى صورة الإنسان، كما تمثل ملك الموت فى صورة البشر عندما جاء إلى موسى عليه السلام.

(٣) الموت حق لا بد منه، ولو نجا منه أحد لنجا منه أنبياؤه ورسله.

(٤) مكانة موسى عند الله حيث لطم ملك الموت ففقأ عينه، ولولا كرامة موسى على الله لانتقم منه ملك الموت انتقامًا شديدًا.

(٥) وجود قبر موسى على مشارف الأرض المقدسة، وعلم الرسول ﷺ بموضع قبره، وقد حدد بعض العلامات الدالة على القبر، فهو بجانب الطريق، عند

الكثيب الأحمر.

(٦) رغبة موسى عليه السلام أن يكون قبره قريبًا من الأرض المباركة، ولا حرج على من أحب أن يموت فى الأرض المباركة.

(٧) الأرض المقدسة المباركة لها حدود معروفة، وقد طلب موسى من ربه أن يدنى قبره منها رمية بحجر، ولذا فهو مدفون خارجها، على مشارفها[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ١٠٠-١٠١).

قصة آسية امرأة فرعون

كان فرعون ملك مصر ملكًا جبارًا ظالمًا وكان يكفر بالله - جل وعلا - بل وكان يدعي أنه هو الله وكان يُجبر الناس على عبادته ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾(١).

وكان فرعون يستخدم بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب - عليه السلام - في أخس الصنائع والحرَف وكان أيضًا: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

وكان الذي جعله يفعل معهم كل هذا أنه في ليلة من الليالي رأى في منامه كأن نارًا قد أقبلت نحو بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر وجميع القبط ولم تضر أحدًا من بني إسرائيل.

فلما استيقظ فرعون، جمع الكهنة والسحرة وأخبرهم

---

(١) سورة القصص: الآية: (٣٨).

(٢) سورة القصص: الآية: (٤).

بتلك الرؤيا فقالوا له: إنه سيولد غلام من بنى إسرائيل وسيكون هلاك مُلكك على يديه فأمر فرعون بقتل كل ولد ذكر يولد من بنى إسرائيل.

وأمر رجاله بأن يبحثوا عن كل امرأة حامل ليعلموا ميعاد الولادة فإذا ولدت أنثى تركوها لها وإذا ولدت ذكرًا ذبحوه فى ساعتها.

ولكن القبط - أهل مصر - اشتكوا إلى فرعون أن عدد ذكور بنى إسرائيل يتناقص يومًا بعد يوم بسبب ذبحه لكل ذكر يولد . . . وأنه بعد ذلك لن يجد من ذكور بنى إسرائيل من يخدمه ويستعمله فى الأعمال والحرف والصنائع فيضطر عندها أن يستخدم القبط فى تلك الأعمال.

هنا أصدر فرعون قرارًا جديدًا بأن يقتلوا ذكور بنى إسرائيل عامًا ويتركوا عامًا . . . فكان ميلاد هارون - عليه السلام - فى عام المسامحة عن قتل الأبناء وكان ميلاد موسى - عليه السلام - فى عام القتل.

وكانت أم موسى فى غاية الخوف على طفلها الذى فى

بطنها - وهو موسى عليه السلام - وظلت تُخبئ حملها إلى أن وضعته - أى: ولدته.

فلما وضعته اتخذت له تابوتًا من الخشب وربطته فى حبل وكانت دارها بجوار النيل مباشرة . . . فكانت تُرضعه فإذا خافت أن يراها أحد وضعته فى التابوت وأرسلته فى نهر النيل وهى تمسك طرف الحبل.

فإذا ذهب الجنود كانت تشد الحبل وتأخذ موسى - عليه السلام - من التابوت.

إلى أن جاء الأمر من الله - جل وعلا - بأن تترك موسى فى التابوت وتلقيه فى البحر.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

وهذا الوحى وحى إلهام، وليس بوحى نبوة.

فالله أمرها ألا تخاف ولا تحزن، ووعدها بأنه سيرد موسى إليها سالمًا غانمًا بل وسيجعله نبيًا مُرسلاً يُعلى كلمته فى الدنيا والآخرة.

(١) سورة القصص: الآية: (٤).

ففعلت أم موسى ما أمرت به وتركت الحبل وذهب التابوت بموسى - عليه السلام - وظل سائرًا فى نهر النيل إلى أن وصل إلى قصر فرعون فرأى جنود فرعون هذا التابوت فأخذوه وذهبوا به إلى فرعون وزوجته آسية.

فلما فتحت آسية التابوت ووقع بصرها على موسى - عليه السلام - أحبته حبًا شديدًا .. فلما رآه فرعون أراد أن يقتله فقالت له: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[1].

فقال لها فرعون: هو قرة عين لك أنت، أما لى فلا.

فهدى الله آسية امرأة فرعون لحبها لموسى - عليه السلام - بل وجعلها الله من أهل الجنة.

* وبعد فترة خرجت أمّ موسى من بيتها لتُرضع ولدها، فلم تجده فى مكانه، فأرسلت نظرها فى النيل، فلم تجد أثرًا للتابوت ... يا تُرى أين ذهب؟

فلما جاءت أخت موسى أمرتها أمها بأن تبحث عنه... وخرجت الفتاة تبحث عن أخيها الرضيع إلى أن علمت أنه الآن فى قصر فرعون.

(١) سورة القصص: الآية: (٩).

* وأما عن موسى - عليه السلام - فإن امرأة فرعون لما أخذته أرسلت للمرضعات ليقمن بإرضاعه ولكنه رفض أن يلتقم أى ثدى ولم يرضع وكاد أن يموت.

فحزنت امرأة فرعون وأرسلت النساء إلى السوق يبحثن عن امرأة تُرضعه . . . فرأتهن أخت موسى فلم تُظهر أنها تعرفه بل قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾(1).

فذهبوا معها إلى منزلهم، فأخذته أُمُّه، فلما أرضعته التقم ثديها، وأخذ يمصُّه ويرتضعه، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا.

وذهب البشير إلى «آسية» ليخبرها بذلك، فاستدعتها إلى منزلها، وعرضت عليها أن تكون عندها، وأن تحسن إليها، فأبت أم موسى، وقالت: إن لى زوجًا وأولادًا، ولستُ أقدر على هذا، إلا أن ترسليه معى، فأرسلته معها، ورتّبت لها رواتب، وأجرت عليها النفقات والكساوى، والهبات، فرجعت به تحوزه إلى رحلها، وقد جمع الله شمله بشملها.

(1) سورة القصص: الآية: (١٢).

قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وبعد أن أتمت أمُّ موسى رضاع ولدها، عاد إلى بيت فرعون، فشبّ هناك، واستوى.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

ولما منَّ الله تعالى على موسى - عليه السلام - وآتاه حُكمًا وعلمًا أظهر خلاف فرعون، وعاب عليهم عبادة فرعون والأصنام.

* وعلم فرعون بعد ذلك أن زوجته آسية قد آمنت مع موسى - عليه السلام - فما كان منه إلا أن أمرها بأن تكفر بالله فأبت ورفضت.

فصلبها وأوتد لها أوتادًا فشد بها يديها ورجليها ثم وضع على بطنها حجرًا كبيرًا وعرَّضها للشمس المحرقة.

فكان يأمر جنوده بتعذيبها فإذا تركوها أظلتها الملائكة بأجنحتها.

---

(١) سورة القصص: الآية: (١٣).
(٢) سورة القصص: الآية: (١٤).

ولما يئس منها فرعون قال لجنوده: انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن أصرت على إيمانها بالله فألقوا عليها الصخرة فاقتلوها وإن رجعت عن دينها فهي امرأتي . . . فلما ذهبوا إليها رفعت بصرها إلى السماء وقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١) فرفع الله لها بيتها في الجنة فرأته فابتسمت وفاضت روحها إلى بارئها - جل وعلا - قبل أن تصل إليها الصخرة.

وهكذا ماتت آسية على الإيمان والتوحيد وكانت من أهل الجنة وذكرها الله - عز وجل- في كتابه العزيز - القرآن الكريم.

❋ ❋ ❋

(١) سورة التحريم: الآية: (١١).

الدروس المستفادة:

(١) أثر الإيمان الصادق فى مواجهة العذاب والهوان الذى يصبُّه الظالمون فوق رؤوس المؤمنين، حتى المرأة الرقيقة المرفهة المنعمة، صبرت على العذاب لتنال رضوان الله ورحمته وجنته.

(٢) مدى حقد أهل الكفر على أهل الإيمان، ففرعون لم يرعَ حق الصُّحبة للزوجة التى عاشت معه، وأذاقها أشد ألوان العذاب، ولم يرحم ضعفها.

(٣) رعاية الله لعباده المؤمنين عندما يصيبهم البلاء، فقد أرسل لآسية - امرأة فرعون - الملائكة تظلها وهى مشدودة إلى الأوتاد، وكشف لها عن المنزلة المعدة لها فى جنات النعيم، وفى ذلك تثبيت لها على الإيمان.

(٤) اختيار بعض عباد الله نعيم الآخرة على نعيم الدنيا، ولو نالوا منه أعلى مراتبه، فهذه المرأة كانت المرأة الأولى فى البلاط الملكى فى قصر فرعون.

(٥) عظيم حِلم الله تبارك وتعالى، فلو شاء لأنجى آسية من محنتها، ولأهلك فرعون وزبانيته، ولكنه حليم، يُمهل ولا يُهمل[1].

---

(١) صحيح القصص النبوى / د. عمر الأشقر (ص: ٢٨٢).

ماشطة ابنة فرعون

كان النبي ﷺ في رحلة التكريم العظيمة التي أكرمه الله بها... وهي رحلة الإسراء والمعراج.

وبينما كان النبي ﷺ مع جبريل (عليه السلام) في السماوات العُلى إذ تنسَّم رائحة جميلة طيبة لم يشم رائحة أجمل منها فقال: «**يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟**».

فقال له جبريل: إنها رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها.

فتعجب النبي ﷺ وقال له: «**وما هي قصتها يا جبريل؟**».

فقال له جبريل: كانت هذه المرأة تعيش هي وأولادها في قصر فرعون الطاغية... وكانت تعتني بابنة فرعون وتمشط لها شعرها وتقوم بكل شؤونها.

وفي يوم من الأيام آمنت هذه المرأة بالله - جل وعلا - وكتمت إيمانها حتى لا يعلم فرعون بذلك... لأنه إذا

علم أنها آمنت بالله فسوف يقتلها هى وأولادها.

وفى يوم من الأيام كانت هذه المرأة المؤمنة تمشط شعر ابنة فرعون فسقط منها المشط على الأرض فمدت يدها لتأخذ المشط وقالت: بسم الله.

فقالت ابنة فرعون: تقصدين أبى؟

فقالت لها الماشطة: لا... ولكن ربى ورب أبيك الله -جل وعلا- فقالت ابنة فرعون: سأخبر أبى أن لك إلهًا غيره فقالت لها الماشطة: افعلى ما شئت فأنا لا أعبد إلا الله.

* وذهبت تلك الفتاة المغرورة ابنة فرعون إلى أبيها وأخبرته بذلك فما كان منه إلا أن دعا الماشطة وسألها: هل تعبدين إلهًا غيرى؟

قالت الماشطة: نعم.. أعبد الله ربى وربك ورب الناس أجمعين.

فما كان من فرعون الطاغية إلا أن استعمل وسيلة من أشد وسائل التعذيب وهى عبارة عن بقرة مصنوعة من النحاس.

فأمر بإشعال النار من تحتها حتى حميت وأصبحت كأنها جمرة من النار ثم أمر بإلقاء أولاد هذه المرأة المؤمنة فى تلك البقرة النحاسية.

* ولكنه قبل أن يُلقى أولادها فى تلك البقرة النحاسية التى أصبحت كالفرن المشتعل طلب منها أن ترجع عن دينها وأن تعبده هو مرة أخرى فرفضت وقالت: لا أعبد إلا الله.

* وبدأ فرعون الطاغية يأمر الجنود بإلقاء أولادها واحدًا بعد الآخر... والأم تنظر إلى أولادها وتبكى لكنها ترفض أن تكفر بالله.. وترجو أن يجمع الله بينها وبين أولادها فى الجنة.

* وكادت هذه المرأة أن ينخلع قلبها وهى ترى أولادها يموتون أمام عينيها تلك الميتة البشعة.

* وبعد قتل أولادها لم يبق إلا طفل رضيع كان يرضع من ثديها فى تلك اللحظة فجاء الجنود بكل قسوة فنزعوه من على صدرها فرقَّ قلب هذه المرأة وتألمت ألمًا شديدًا عندما أرادوا أن يقذفوا هذا الطفل الرضيع فى تلك

البقرة النحاسية المشتعلة وكادت أن تُفتن وترجع عن دينها فثبتها الله بمعجزة لا تخطر على قلب بشر.

فقد أنطق الله هذا الطفل الرضيع فقال لأمه: يا أمه اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

* فأخذ الجنود هذا الطفل وألقوه فى البقرة النحاسية المشتعلة فمات.

* وهنا طلبت الماشطة من فرعون طلبًا وقالت له: إن لى إليك حاجة.

قال فرعون: وما حاجتك؟

قالت: أتمنى أن تجمع عظامى وعظام أولادى فى ثوب واحد وتدفننا.

فوافق فرعون.

واقتحمت الماشطة ونزلت فى تلك البقرة النحاسية المشتعلة فماتت..

وأمر فرعون جنوده أن يجمعوا عظام هذه المرأة وأولادها فى ثوب واحد وأن يدفنوهم فى قبر واحد.

وكانت رائحة الشواء تفوح من عظام المرأة وأولادها

فأكـرمها الله -جل وعلا- بأن جـعل لها ولأولادها عطرًا جميلاً يفوح فى السـماوات السبع ليشم النبى ﷺ تلك الرائحة فى رحلة الإسراء والمعراج.

❋ ❋ ❋

❋ ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«لما كانت الليلة التى أُسـرى بى فيها أتت علىَّ رائحـة طيبة، فقلـت: يا جبريـل! ما هذه الرائحـة الطيبـة؟ فقال: هـذه رائحة ماشطة ابنة فـرعون وأولادها. قال: قـلت: وما شأنهـا؟ قال: بينا هى تمشط ابنة فرعـون ذات يوم إذ سقطت المدرى - أى المشط - من يديهـا، فقـالت: بسم الله فـقالت لهـا ابنة فرعـون: أبى؟ قـالت: لا، ولكن ربى ورب أبيك الله، قـالت: أُخبـره بذلك؟ قـالت: نعم، فأخبـرته، فدعـاها، فـقال: يا فـلانة ! وإن لك ربًّا غـيرى؟ قـالت: نعم، ربى وربُّك الله، فـأمر ببـقرة من نحـاس، فأُحـميت، ثم أمر بهـا أن تُلقَى هى وأولادها فيهـا، قالت له: إن لى إليك حـاجـة، قال: ومـا حـاجتك؟ قـالت: أحب أن تجـمع عظامى وعظام ولـدى فى ثوب واحـد، وتدفننا، قـال: ذلك لك علينا من الحق.

قـال: فأمـر بأولادها فأُلقـوا بين يديهـا واحدًا واحـدًا إلى أن انتـهى ذلك إلى صبي لهـا مُرضَـع، وكأنهـا تقاعسـت من أجله، قال: يا أمـه، اقتحمي فـإن عذاب الدنيا أهون من عـذاب الآخرة فاقتحمت»[1].

❋ ❋ ❋

(١) رواه أحمد في مسنده وحسن إسناده مُحققو المسند (٣/ ٣٠٩).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم إذا ذاق حلاوة الإيمان بالله -جل وعلا- فإنه تهون عليه نفسه فى سبيل الله.

(٢) أنه مهما كانت الفتن فإن المؤمن لا يهتز إيمانه أبدًا.

(٣) أن المسلم لابد أن يثبت على دينه... فقد رأينا كيف أن هذه المرأة ثبتت على دينها رغم التعذيب وإحراقها هى وأولادها.

(٤) أن الله يُكرم أولياءه الذين بذلوا نفوسهم فى سبيل الله.. فقد رأينا كيف أن الله - عز وجل- أعلى مقام هذه المرأة وأكرمها هى وأولادها إكرامًا عظيمًا.

(٥) يجوز للمسلم أن يطلب من الطغاة أمرًا له فيه صلاح، كما طلبت هذه المرأة من الطاغية دفن رمادها ورماد أولادها.

(٦) الجزاء من جنس العمل، فهذه المرأة لما انبعثت روائح احتراق جسدها وأجساد أولادها، جعل الله لها رائحة طيبة عطرة تفوح منها ومن أولادها فى السماوات

العلى . . . ويشمها رسول الله ﷺ .

(٧) تثبيت الله عباده الذين شاء لهم الكرامة فى المواقف الصعبة، فقد أنطق الله الطفل الرضيع، فأمر أمه بالثبات، وبذلك قطع ما دار فى خلدها من وساوس الشيطان التى كادت أن تهلكها .

* * *



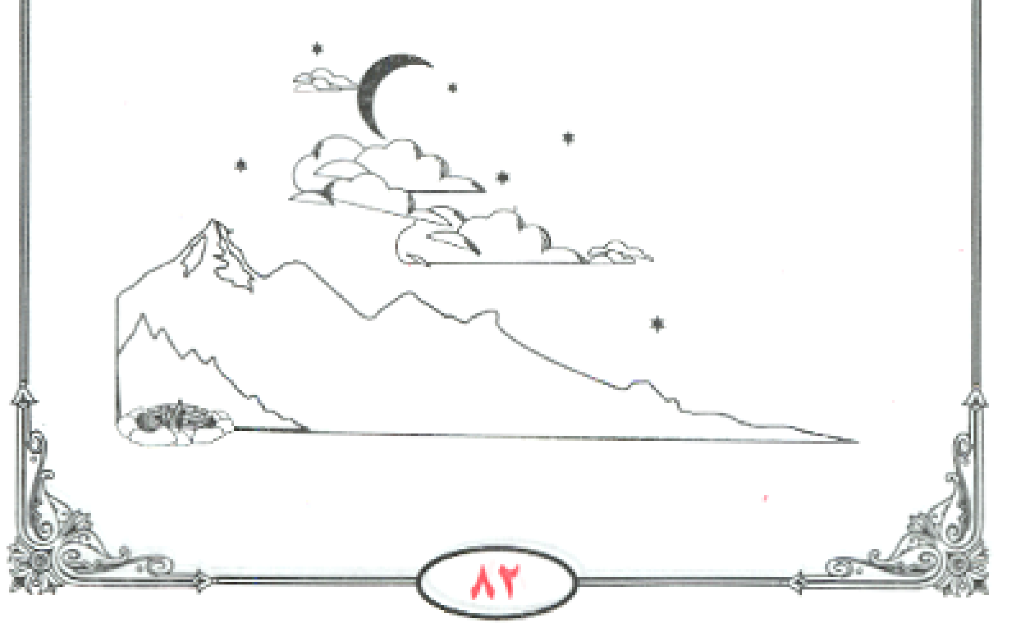
قصة أصحاب الغار

كـان هناك ثلاثة من بنى إسرائـيل يمشــون قريبًـا من الجبل.

وفجأة سمعوا صوت رعدٍ وبرق وبدأت الأمطار تسقط عليهم بـغزارة فأخـذوا يبحثـون عن أى مكان يأويهم من المطر.

فوجـدوا غارًا مـفتـوحًا فى الجـبل فدخلوا فى الـغار بسرعة حتى لا يؤذيهم المطر الغزير.

ومـا أن دخلوا الغار وأحـسوا بالراحـة والأمان حـتى



حدث شيء عجيب لم يكن في الحسبان ... يا ترى ما الذي حدث؟

لقد جرفت السيول الشديدة التي جاءت بسبب الأمطار الصخور الكبيرة من أعلى الجبل فانحدرت صخرة عظيمة من الجبل ومضت في طريقها حتى استقرت على فم الغار الذي دخله هؤلاء الثلاثة فسدَّت الغار فأغلقته تمامًا حتى عزلتهم عن العالم الخارجي فأصبحوا وكأنهم يعيشون في قبر من القبور.

فزع الثلاثة وقاموا يحاولون تحريك تلك الصخرة ولكن الأمر كان مستحيلاً فقد كانت الصخرة كبيرة جداً لا يمكن تحريكها... حقًّا إنها مصيبة كبيرة قد تقضي على حياتهم ... فقد كان الصبر على الأمطار الغزيرة أهون بكثير مما هم فيه الآن.

* أصبحوا محصورين في هذا الغار لا يستطيعون الخروج ولم تكن وسائل الاتصال الحديثة موجودة - كالموبايل.

ولو أراد أحد أن يبحث عنهم فلن يستطيع الوصول

إليهم؛ لأنه لن يخطر على بال أحد أنهم محبوسون وراء هذه الصخرة الكبيرة وحتى آثار أقدامهم أزالتها مياه الأمطار.

هنا أيقنوا جميعًا أنهم لا نجاة لهم إلا باللجوء إلى الله - جل وعلا.

فقام واحد منهم وقال لهم: لا بد أن يبحث كل واحد منا في نفسه عن عمل صالحٍ يكون قد عمله ابتغاء مرضاة الله فيتوسل به إلى الله أن يفرج عنا هذه الصخرة.

وبالفعل قام كل واحد منهم يتوسل إلى الله بعمل صالح عمله ابتغاء مرضاة الله.

* وقد توسل أولهم ببره بوالديه، وكان يعمل راعيًا، وأهل الرعي يعتمدون على حليب أغنامهم وأبقارهم وجمالهم، وكان من أمره أن يحلب بعد عودته مواشيه، ثم يبدأ بوالديه فيسقيهما قبل أولاده وزوجته.

وفي أحد الأيام ابتعد في طلب المرعى، فلم يعد إلا في وقت متأخر من الليل، فحلب كما كان يحلب، وجاء بالحلاب إلى والديه، فوجدهما قد ناما، فكره أن

يوقظهما، وكره أن يسقى صغاره قبلهما، فبقى ليله ساهرًا، إناء الحليب على يده، وصغاره يبكون عند رجليه يريدون طعامهم، وهو يكره إيقاظ والديه، حتى طلع الفجر، فسقاهما، ثم سقى صغاره وأهله بعدهما.

ولا يعلم أحد غير الله مدى المشقة التى عاناها هذا الرجل فى تلك الليلة، فالأمر لم يكن سهلاً عليه، فهو رجل يرعى الغنم، وقد سار بعيدًا عن الديار، فأجهده المسير وأرهقه، وزاده رهقًا أنه لم يتناول عشاءه، أضف إلى هذا وذاك أن صغاره يبكون، وكم يألم الآباء إذا رأوا صغارهم جوعى باكين.

وقال الثانى: أما أنا ... فقد كان لى بنت عم جميلة... وكنت أحبها حبًّا شديدًا ... وفى أحد الأيام احتاجت بنت عمى للمال ... فجاءت تطلبه منى .. فرفضت ... لكننى تذكرت الله وشعرت بالخوف الشديد من عقابه - عز وجل - فأعطيتها المال الذى تحتاجه وانصرفت ولم أفعل بها سوءًا.

وتركتها وهى أحب الناس إلىَّ.

اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

* **وقال الثالث:** أما أنا ... فاللهم إنى استأجرت بعض الرجال ليعملوا عندى وأعطيتهم أجرهم جميعًا غير رجلٍ واحد.. فقد ترك أجرته وذهب فانتظرته فلم يعد... فثمَّرت له ماله حتى كَثُرَت أمواله.

فجاءنى بعد زمنٍ يطلب أجرته فقلت له: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والعبيد هو لك.

فظن الرجل أنى أستهزئ به.

فقلت له: أنا لا أستهزئ بك فقد ثمَّرت لك مالك فكل ما تراه فهو لك.

فأخذ الرجل المال كله ولم يترك منه شيئًا.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرج شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ، وفي رواية: «كُنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساء،

(١) وقوله: (لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً): أي: ما كنت أقدّم عليهما أحدًا في شُرب نصيبهما عشاء من اللبن.
الغبوق: شُرب العشاء. الصبوح: شُرب أول النهار.
فلم أرح: أي: فلم أرجع. يتضاغون: أي: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

فأردتها على نفسها، فامتنعت منى حتى ألَمَّت بها سَنَة من السنين، فجاءتنى، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها فـفعلت، حتى إذا قدرت عليها»، وفى رواية: «فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحبُّ الناس إلىَّ وتركت الذهب الذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أُجَراء وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحد ترك الذى له وذهب، فثمَّرت أجره حتى كَثُرَت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بى، فقلت: لا أستهزأ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤/ ٢٢١٥/ فتح) البيوع/ باب: إذا اشترى شيئًا لغيره، ومسلم (٢٧٤٣) فى الذكر والدعاء / باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة.

الدروس المستفادة:

(١) مشروعية التوسل إلى الله بصالح الأعمال، كما توسل هؤلاء الثلاثة إلى الله بأعمالهم الصالحة التى عملوها فأنجاهم الله.

(٢) أثر التقوى فى تخليص العبد من كربه وبلائه، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾(١).

(٣) مشروعية الدعاء عند حلول الكرب والبلاء، وقد أمر الله بدعائه، فمن لا يدعو الله يغضب عليه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢).

(٤) بر الوالدين من أعظم الأعمال الصالحة التى يحبها الله وتُقرب إليه، وتخلص العبد من كرب الدنيا، وكرب يوم القيامة.

(٥) مخافة الله من العبادات العظيمة التى تدفع النقم، وتقى الفواحش، وتُقرب من الله، فقد كان الخوف من الله السبب فى ترك ذلك الرجل الفاحشة، وكان ذلك أحد الأسباب فى خلاصهم من الغار.

---

(١) سورة الطلاق: الآية: (٢).
(٢) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٦) فضل محافظة العبد على حقوق العباد وأموالهم، فقد حافظ صــاحب المال على أجرة ذلك الأجير ونمَّاه له، ودفع إليه كل ما نتج عنه عندما جاء يطلب حقه.

(٧) بركة العمل فى الزراعــة وتربية الأنعام والمواشى، فقد عمل صاحب الأرض لعــامله فى أجره، فأصبح المال القليل كثيرًا، وبارك الله فيه فأصبح أضعافًا مضاعفة.

(٨) كان صاحب العمل محسنًا إلى العامل بتنمية ذلك المال، ولكن الأجيــر لم يحــسن إلى رب العــمل، فكان الواجب عليه أن يترك له من المال مقدار جهده وتعبه[١].

* * *

(١) صحيح القصص النبوى / د. عمر الأشقر (ص: ٢١١-٢١٣) باختصار.

قصة الأبرص والأقرع والأعمى

كان يا ما كان... كانت هناك مدينة جميلة تقع على شاطئ البحر وكانت الأشجار تحيط بها من كل مكان.

وكان يعيش في هذه المدينة ثلاثة من الرجال الذين ابتلاهم الله عز وجل.

فأما الأول فكان مصابًا بالبرص وهو مرض خطير يصيب الجلد... وأما الثاني فكان أقرع ليس في رأسه شعر... وأما الثالث فكان أعمى لا يرى... وفوق ذلك كله فلقد كان الثلاثة فقراء.

فأراد الله (عز وجل) أن يختبرهم فبعث إليهم ملَكًا في صورة رجل.

فجاء الملَك إلى الرجل الأبرص وأخبره أنه سوف يحقق له كل ما يتمناه -بإذن الله-... فسأله: ماذا تتمنى؟

قال الأبرص: أتمنى أن يصبح جلدي جميلاً وأن يصبح

لونه جميلاً، فإن الناس يبتعدون عنى ولا يتكلمون معى بسبب لونى.

فقام الملك فمسح على جلده، فأصبح جلده جميلاً ولونه جميلاً ففرح الرجل فرحًا شديدًا.

قال له الملك: ماذا تريد من الأموال وأى المال أحب إليك؟

قال له الرجل: أحب الإبل.

فأعطاه الملك ناقة حاملاً فى شهرها العاشر وقال له: بارك الله لك فيها.

* **ثم ذهب الملك للرجل الأقرع وقال له:** سوف أحقق لك كل ما تتمناه -بإذن الله- فماذا تتمنى؟

قال الأقرع: أتمنى أن يصبح لى شعر جميل فإن الناس يبتعدون عنى بسبب ما أنا فيه.

فمسح الملك على رأسه فأصبح له شعر جميل... ففرح الرجل فرحًا شديدًا.

قال له الملك: أى المال أحب إليك؟

قال له الرجل: أحب البقر.

فأعطاه الملك بقرة حاملاً وقال له: بارك الله لك فيها.

* **ثم ذهب الملك للرجل الأعمى وقال له:** سوف أحقق لك كل ما تتمناه -بإذن الله- فماذا تتمنى؟

قال الأعمى: أتمنى أن يرد الله إليَّ بصرى لأرى الناس من حولى.

فمسح الملك على عينيه فعاد إليه بصره ففرح الرجل فرحًا شديدًا.

قال له الملك: أى المال أحب إليك؟

قال له الرجل: أحب الغنم.

فأعطاه الملك شاة والدًا وقال له: بارك الله لك فيها.

* ومرت الأيام وأصبح الثلاثة من الأثرياء... فأصبح للأبرص وادٍ من الإبل وأصبح للأقرع وادٍ من البقر... وأصبح للأعمى وادٍ من الغنم.

* وهنا جاء موعد الامتحان والاختبار.

فلقد جاء الملك مرة أخرى للأبرص فى صورة رجل فقير أبرص... أى جاءه على نفس هيئته التى كان عليها قبل ذلك حتى يرق قلبه ويتذكر نعمة الله عليه.

قال له الملك: أنا رجل فقير لا أملك شيئًا.. فأسألك بالله الذى أنعم عليك بهذا الجلد الحسن وأكرمك بهذا المال أن تعطينى ناقة أسافر عليها وأحلب لبنها.

فقال له الأبرص: لن أعطيك شيئًا... وأما عن هذا المال فلقد ورثته عن آبائى وأجدادى فأنا من عائلة ثرية.

فقال له الملك: كأنى أعرفك والله... ألم تكن أبرص يقذرك الناس فشفاك الله وأعطاك هذا الجلد الحسن... وكنت فقيرًا فأغناك الله.

قال الأبرص: كلا... لقد ورثت هذا المال عن آبائى وأجدادى.

قال له الملك: إن كنت كاذبًا فأسأل الله أن يردك إلى ما كنت عليه. فعاد الرجل أبرص كما كان... فقيرًا كما كان.

* وذهب الملك إلى الرجل الأقرع فى صورة رجل أقرع وفقير... أى جاءه على نفس هيئته التى كان عليها قبل ذلك حتى يرقّ قلبه ويتذكر نعمة الله عليه.

قال له الملك: أنا رجل فقير لا أملك شيئًا. فأسألك

بالله الذى أنعم عليك بهذا الشعر الجميل وأكرمك بهذا المال أن تعطينى بقرة قال له الأقرع: لن أعطيك شيئًا.

قال له الملك: كأنى أعرفك والله... ألم تكن أقرع يقذرك الناس فشفاك الله وأعطاك هذا الشعر الحسن... وكنت فقيرًا فأغناك الله.

قال له الأقرع: كلا.. لقد ورثت هذا المال عن آبائى وأجدادى فأنا من عائلة ثرية.

قال له الملك: إن كنت كاذبًا فأسأل الله أن يردك إلى ما كنت عليه فعاد الرجل أقرع كما كان... فقيرًا كما كان.

* ثم ذهب الملك إلى الرجل الأعمى فى صورة رجل أعمى وفقير... أى جاءه على نفس هيئته التى كان عليها قبل ذلك حتى يرق قلبه ويتذكر نعمة الله عليه.

قال له الملك: أنا رجل فقير لا أملك شيئًا.. وأعمى لا أرى... فأسألك بالله الذى أنعم عليك بنعمة البصر وأكرمك بهذا المال.. أن تعطينى شاة واحدة، فقال له الأعمى: والله لقد كنت أعمى فردَّ الله إلىَّ بصرى وكنت فقيرًا فأكرمنى الله بهذا المال... فخذ ما شئت من الأغنام

فوالله لا أمنع عنك أى شىء أخـذته منى فإنى أفعل ذلك طاعة لله -جل وعلا-.

فقال له الملك: بارك الله لك فى بصرك وفى مالك. . .
فأنا ملك من الملائكة وقد كان هذا اختبارًا لك ولصاحبيك فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك.

❋ ❋ ❋

*** ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:**

«إن ثلاثة من بنى إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتـليهم، فبـعث إليهم ملـكًا، فأتى الأبرص، فـقال: أى شىء أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حـسن، وجلد حسن، ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأُعطى لونًا حسنًا.

قال: فأى المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل فـأُعطى ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فـقال: أى شىء أحبُّ إليك؟ قال: شـعر حسن، ويذهب عنى هذا الذى قـذرنى النـاس، فمـسحـه عنه، وأُعطى شعرًا حسنًا. قال: فأى المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر، فأُعطى بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أى شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يردَّ الله إليَّ بصرى، فأُبصر الناس... فمسحه، فرد إليه الله بصره، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم فأُعطى شاة والدًا، فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرًا أتبلغ به فى سفرى، فقال: الحقوق كثيرةٌ. فقال: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا، فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع فى صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيلٍ انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله

ثم بك، أسألك بالذى ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها فى سفرى؟ فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إلىَّ بصرى، فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله ما أجهدك اليوم بشىء أخذته لله عز وجل.

فقال: أمسك مالك فإنما ابتُليتم فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك»[1].

❋ ❋ ❋

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦/ ٣٤٦٤/ فتح) أحاديث الأنبياء/ باب: حديث أبرص وأعمى وأقرع، ومسلم (٢٩٦٤) فى الزهد.

الدروس المستفادة:

(١) ابتلاء الله لعباده، كما ابتلى الثلاثة، ليظهر الشاكر من الكافر، والصالح من الطالح.

(٢) فضل الشكر في السراء، ومن الشكر الجود بالمال على مستحقيه، وعاقبة الكفر بالنعمة، ومن الكفر البخل بالمال على مستحقيه من أهل الفقر والمسكنة.

(٣) قدرة الملائكة على التمثل في صورة البشر، كما فعل الملك المذكور في الحديث.

(٤) لا يُعدُّ الملك كاذبًا عندما ادَّعى أنه رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره، فمراده ضرب المثل بما فعل.

(٥) إذا بارك الله في مال الرجل نما وكثر، وأصبح مالاً عظيمًا فقد كثَّر الله أموال الثلاثة الذين ابتلاهم، فأصبح لكل واحد منهم وادٍ يموج بالنعم، وأصل ذلك واحدة مما أُعطى من النعم، وقد يهلك المال الكثير ويبيد في الزمن القليل.

(٦) ليس كثرة المال دليلاً على حب الله للعبد، فالله يختبر الذين يهبهم المال، كما اختبر الثلاثة بما أعطاهم.

(٧) قدرة الله على شفاء الأمراض المستعصية التى يظن البشر أنه لا شفاء لها، كالبرص والقرع والعمى.

قصة أصحاب الأخدود

كان ياما كان.

كان هناك ملك اسمه (ذو نواس) وكان يعيش في بلدة تُسمى (نجران) في اليمن.

وكان هذا الملك عنده ساحر يعمل له كل ما يستطيع من الحيل والأعمال السحرية؛ لكي يُقنع الناس بأن هذا الملك هو إله الكون الذى يستحق أن يُعبد من دون الله (جل وعلا).

وهذا الساحر فى الحقيقة هو أهون الناس على الملك، فإذا وجد الملك من هو أفضل منه تخلَّى عنه فى التو واللحظة بل إن حدث منه أى شيء يُغضب الملك فسرعان ما يتحول الملك إلى إعصار مدمر يعصف بحياة الساحر بلا تردد.

* وفى يوم من الأيام كان الساحر جالسًا مع الملك كعادته فإذا به يقول للملك: أيها الملك .. لقد أصبحت

كبيرًا فى السن وأشعر بضعف شديد فى صحتى ولم أعد أستطيع أن أقدم إلا القليل من الحيل والأعمال السحرية.

الملك: وماذا تريد أيها الساحر .. فأنا لا أستطيع أن أستغنى عنك لحظة واحدة .. فأنت الذى تجعل الناس يطيعونى بل ويعبدونى بفضل أعمالك السحرية.

الساحر: أنا لن أتخلى عنك أبدًا يا سيدى .. لكنى أخشى أن أموت فيموت السحر معى .. فأنا أريدك أن تبعث لى غلامًا صغيرًا ذكيًّا أعلمه السحر ليكون ساحرًا لك بعد موتى .. وبذلك أضمن أن يستمر السحر من بعدى.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: لماذا طلب الساحر من الملك أن يبعث إليه غلامًا صغيرًا ولا يبعث إليه شابًّا أو شيخًا كبيرًا؟!

والجواب: لكى يتعلم الغلام السحر من صغره ويبقى مع الملك أكبر وقت ممكن ليخدمه فى تنفيذ ما يريد .. ونحن نعلم جميعًا أن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.

* وأنا أتعجب من أمر هذا الساحر الذى عاش حياته كلها كافرًا بالله (جل وعلا) وعلى الرغم من ذلك بدلاً من أن يفكر فى التوبة قبل أن يموت - فقد اقترب أجله - وإذا به يفكر كيف يستمر هذا الشر من بعده؛ ليكون ذلك فى ميزان سيئاته من بعده.. كما قال النبى ﷺ: **«ومن سَنَّ فى الإسلام سُنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن يَنقص من أوزارهم شيء».**

* المهم أن الملك وافق على طلب الساحر .. وعلى الفور أمر الملك أعوانه أن يبحثوا عن أذكى غلام فى المملكة كلها ليكون ساحرًا للملك... وبعد بحثٍ طويل وقع الاختيار على غلام فى قمة الذكاء.. وذهبوا به إلى الملك، فرحب به وأخبره أنه سيتعلم السحر على يد الساحر الكبير؛ ليكون بعد ذلك هو الساحر الخاص بالملك.

* فرح الغلام فى بداية الأمر .. فهو الآن على أبواب الشهرة والثراء... وذهب الغلام إلى الساحر فى اليوم التالى، فوجد أن أعوان الملك قد أحضروا له ملابس جديدة وتركوا له أموالاً كثيرة، ففرح بذلك أشد الفرح

وعلم أنه سيصبح قريبًا من المشاهير الأثرياء في هذه المملكة.

* وبدأ الساحر الكبير يعلم الغلام فنون السحر، والغلام يتعلم منه كل يوم شيئًا جديدًا .. والهدايا والأموال تنهال كل يوم على الغلام؛ لكي يحب السحر ويُخلص في خدمة الملك بعد ذلك.

وتدبروا معي كيف أن الملك وكل من حوله يجندون كل طاقاتهم ليصنعوا من هذا الغلام ساحرًا كافرًا .. ولكن الله (عز وجل) يريد أن يصنع منه مؤمنًا موحدًا بل وداعية إلى دين الله (جل وعلا): ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾[1].

* وكان الغلام يذهب إلى الساحر كل يوم ليتعلم السحر على يديه... وكان الطريق من بيت الغلام إلى قصر الملك طويلاً وشاقًا على الغلام فكان الغلام أحيانًا يجلس؛ ليستريح من التعب.

وبينما كان الغلام يومًا جالسًا ليستريح وإذا به يسمع صوتًا يصدر من بيت صغير.. وكان صاحب الصوت شيخًا كبيرًا وإذا به يقول: لا إله إلا الله .. يا فاطر

(١) سورة يوسف: الآية: (٢١).

السماوات والأرض.. يا حى يا قيوم، اللهم اجعلنى من عبادك الصالحين ..

فتعجب الغلام من تلك الكلمات .. ولم يعلم ماذا يقصد هذا الشيخ الكبير بهذه الكلمات ..

وانصرف الغلام وخاف أن يدخل على هذا الشيخ ليسأله.. ولكن الكلمات ظلت تتردد فى عقل هذا الغلام.

* ذهب الغلام إلى الساحر وبدأ يتعلم على يديه الدرس اليومى فى السحر، فظل الغلام يسمع تلك الطلاسم السحرية والكلمات التى لا يفهم منها أى شيء.. وأخذ يقارن بين كلمات الساحر التى لا يفهمها أحد وبين كلمات هذا الراهب الشيخ الكبير وهو يقول تلك الكلمات السهلة الجميلة، فأحس الغلام لأول مرة بارتياح شديد لكلام الراهب.

* وفى اليوم التالى جلس الغلام بجوار صومعة الراهب يستمع إليه وهو يدعو بتلك الكلمات الجميلة.

وأصبح الغلام يمر على صومعة الراهب وهو ذاهب إلى الساحر وكذلك وهو عائد إلى بيته.. حتى أحس

فجأة أنه يريد أن يدخل على هذا الراهب ليعرف من هو وماذا يصنع.

* وفي يوم من الأيام.. كان الغلام ذاهبًا إلى الساحر، فمرَّ على صومعة الراهب وسمعه وهو يقول: يا حي يا قيوم يا فاطر السماوات والأرض أنت الإله الحق، لا إله غيرك ولا ربَّ سواك.. أسألك باسمك الأعظم أن تغفر لي وترحمني.

فدخل الغلام عليه فجأة وهو يبكي ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال الراهب: من أنت أيها الغلام الصغير؟

فقال الغلام: أنا ساحر الملك الصغير.. وقد سمعتك وأنت تقول هذه الكلمات الجميلة فتأثرت وأردت أن أعرف من هو هذا الإله الذى تعبده.

فقال الراهب: إنه الله الذى خلقنا ورزقنا وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

فقال الغلام: إن الناس يقولون إن الملك الذى يحكمنا هو الله.

فقال الراهب: يا بُنى! إن الملك ما هو إلا بشر ضعيف لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا .. إنه بشر يحتاج إلى الماء والطعام والدواء، فهو يخدع الناس ويقول: إنه إله .. وليس هناك إله إلا الله.

فانشرح صدر الغلام وقال للراهب: علمنى كيف أعبد الله (جل وعلا).

فأخذ الراهب يعلم الغلام كيف يعبد الله وكيف يذكره وكيف يوحده، فأصبح الغلام مسلمًا عابدًا لله (جل وعلا).

* أصبح الغلام بعد ذلك يكره لقاء الساحر لكنه يذهب إليه؛ لأن الملك أمره بذلك.

وعلى الرغم من أنه يذهب للساحر إلا أنه أصبح زاهدًا فى تعلم السحر.. فقد علم أن هذا الساحر كذاب ودجال وأنه هو والملك على باطل.

* وفى المقابل أصبح الغلام يشتاق كل لحظة للقاء الراهب ليتعلم منه كيف يعبد ربه ويوحده.

فكان كلما ذهب إلى الساحر ضربه؛ لأنه تأخر

عليه.. وكلما ذهب إلى أهله ضربوه لأنه تأخر عليهم..
فشكا ذلك إلى الراهب فقال له الراهب: إذا سألك
الساحر لماذا تأخرت؟ فقل: حبسنى أهلى.. وإذا سألك
أهلك لماذا تأخرت؟ فقل: حبسنى الساحر.

وبذلك تخلَّص هذا الغلام من بطش الساحر وأهله.

* وفى يوم من الأيام كان الغلام فى طريقه إلى
الراهب، فوجد الناس مذعورين خائفين.. فنظر فوجد
أسدًا كبيرًا قد قطع الطريق على الناس.. فاغتنم الغلام
هذه الفرصة وقال فى نفسه: اليوم أعرف وأتيقن أيهما
أفضل عند الله: الساحر أم الراهب.

فأخذ الغلام حجرًا صغيرًا وقال: اللهم إن كان أمر
الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة
حتى يمضى الناس.. فرماها فقتل الأسد ومضى الناس
وهم يظنون أن الغلام قتل الدابة بسبب نبوغه فى السحر.

ولذلك علينا أن نتخيل هذا المشهد: غلام صغير، لا
يستطيع أن يحمل إلا حجرًا صغيرًا فكيف يضرب الأسد
بذلك الحجر الصغير فيموت؟! إن الحجر الذى أمسك به

الغلام لا يقتل فأراً صغيراً، فضلاً عن أن يقتل أسداً كبيراً.. لكنها كانت كرامة من الله أكرم بها هذا الغلام لأنه لجأ إلى الله وتوكل عليه.. وفى نفس الوقت أراد الله (عز وجل) أن يُعرفه طريق الخير من طريق الشر ليكون على يقين من أنه على الحق فيبذل من أجله كل ما يملك حتى نفسه التى بين جنبيه.

* ثم ذهب الغلام إلى الراهب وأخبره بما حدث.

فقال له الراهب: أى بُنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى .. ولكن اعلم أنك ستتعرض لابتلاءٍ شديد، فإذا وقعت فى هذا البلاء فلا تدل الناس علىّ مكانى ولا تخبرهم عنى.

وهذا درس عظيم فى التواضع لأن الراهب أفضل من الغلام - بلا شك - فهو الذى علمه التوحيد ولقَّنه العلم وعلى الرغم من ذلك يقول له: أنت اليوم أفضل منى.

وقد أجرى الله على يد الغلام شفاء المرضى، وإبراء الأكمه والأبرص، وكان يخبر الناس أن الشافى هو الله، وأن من آمن بالله فإنه يشفيه، فكان يتخذ من المعالجة

طريقًا لنشر دعوته، ونشر الإيمان.

* فسمع جليس الملك - وكان أعمى - أن هناك غلامًا يداوى الناس من كل الأمراض.

فما كان من جليس الملك إلا أن أحضر الهدايا الثمينة والأموال الكثيرة وذهب لهذا الغلام فوجد زحامًا شديدًا على بابه فاستأذن من هؤلاء الناس ودخل على الغلام .. وإذا بالمفاجأة الكبرى!!

لقد علم جليس الملك أن الغلام الذى يداوى الناس من الأمراض هو ساحر الملك .. فقال له جليس الملك: لقد جمعت لك كل هذه الهدايا والأموال على أن تشفينى وترد إلىّ بصرى.

فقال له الغلام: «إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك... فآمن بالله فشفاه الله».

هكذا بدأ الغلام يضع بذرة التوحيد فى قلب جليس الملك ليعلم أن الله وحده هو النافع الضار وأنه بيده مقاليد السماوات والأرض وأنه هو وحده الذى يملك الشفاء.

* والفائدة الثانية: أن الداعية الصادق يستغل حاجة الناس فى دعوتهم إلى الله عز وجل.

* ولكن جليس الملك كان مترددًا، فقال للغلام: ومن هو الله؟

فقال الغلام: الله الذى خلقنا جميعًا وخلق الكون كله.. وهو الذى سيشفيك من مرضك إن آمنت به ودعوته.

جليس الملك: أليس ملك البلاد هو الله؟

الغلام: كلا.. إنه عبدٌ ضعيف ولو كان إلهًا لشفاك ولكن إن كنت فى شكٍّ، فاذهب الآن إلى الملك واطلب منه أن يرد إليك بصرك.

فتيقن جليس الملك أن الملك عبدٌ ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا.

فرفع جليس الملك رأسه إلى السماء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقام الغلام فدعا الله أن يشفى جليس الملك وأن يرد عليه بصره.

فشفاه الله وردَّ إليـه بصره.. فصرخ جليس الملك من شدة الفـرح وهو يردد: أشهد أن لا إله إلا الله.. أشـهد أن لا إله إلا الله.

فقال له الغلام: لا تُخبر الملك عنى ولا تدله علىَّ.

فوعـده جليس الملك بذلك، ثم خـرج وهو فى قمـة السعادة.

فلمـا أسلم جليس الملك وشفـاه الله (عز وجل) جـاء إلى الملك «فجلس إليـه كما كان يجلس فـقال له الملك: مَن ردَّ عليك بصـرك؟ قـال: ربى. قـال: ولك ربٌّ غيـرى؟ قـال: ربى وربُّك الله».

فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دل على الغلام.

ومع أن هذا الرجل كـان جليسًـا للملك إلا أن الملوك ليس عندهم وفاء لمن حولهم.. فمـا إن تعارضت وجهة الجليس مع وجـهة المـلك وإذا به يأمر بتـعـذيبه فى التـوِّ واللحظة.

قال ﷺ: «فجيء بالغلام، فـقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إنى

لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب».

* علم الملك أن الغلام وراء هذه الدعوة الجديدة على مملكته: دعوة التوحيد وإنكار ربوبية الملك، فماذا يفعل الطاغية لاحتواء هذه الدعوة؟

إن بطشه بالغلام الذى أحبه الناس وعرفوا إحسانه إليهم، وأنه هو الذى قتل الدابة، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويداويهم من سائر الأدواء؛ سوف يزيد من محبته ويجعله بطلاً أو شهيدًا، ويصبح موته وقودًا دافعًا لاستمرار دعوته؛ فلا بد من محاولة الاستمالة أولاً، فهو يعرف جيدًا حقيقة دعوة الغلام وأنها تهدف إلى تحقيق العبودية لله وحده ونبذ عبودية الملك، ومع ذلك يقول له: «أى بنى».

والنداء بالبنوة أول محاولات الاستمالة والتلطف، فهو يقول له: أنت ابنى وأنا الذى توليت تربيتك، ثم يقول له: «قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل».

فهو يريد أن يقول له: لا مانع عندى من استمرارك فى ما تفعل، بشرط أن تقول للناس: إن هذا سحر تعلمته فى مدرسة الملك، وأن ما تدعو إليه هو بتوجيهات الملك وتحت إشرافه وبرعايته، . . . وهو يقول له ذلك وهو على يقين من أنه هو الذى قال لجليسه ولغيره: ربى وربك الله، وأنه سبحانه الذى يشفى الناس.

رفض الغلام إذن أن يسمى ما يفعله سحرًا، وأبى إلا أن يجابه الملك بأن دعوته هى دعوة التوحيد الخالص بمقولته العظيمة: «**إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى**»، وفشلت محاولة الاحتواء وإلباس الحق ملابس الجاهلية، فانكشف الملك على حقيقته ولجأ إلى الأسلوب المعتاد: البطش والتنكيل؛ فجىء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شِقَّاه».

وهنا وصل الملك إلى النبع الذى استقى منه الغلام وجليس الملك (الإيمان والتوحيد)، فأراد الملك أن يجفف هذا النبع وذلك بأن يتخلص منه ويقتله. . ولذلك لم

يتكلم معه بنفس اللطف الذى قابل به الغلام فى البداية بل قال له بكل صراحة ووضوح: ارجع عن دينك.

فأبى الراهب أن يرجع عن دينه رغم أنه يعلم أنه سيتعرض للعذاب الشديد.

فأمر الملك بقتل الراهب فى التوّ واللحظة.

وكان الذى شجع الملك على قتل الراهب أنه لم يكن مشهورًا ومعروفًا بين الناس ولذلك لن يعترض أحدٌ لقتله.

وقتله الملك أبشع قتلة وذلك بأنه أمر أن يُنشر بالمنشار نصفين وعلى الرغم من ذلك صبر الراهب على هذه القتلة البشعة؛ لأنه يعلم يقينًا أن موت الجسد أفضل بكثير من موت الإيمان والتوحيد فى قلب العبد؛ لأن صاحب التوحيد لو قُتل عشر مرات فإنه سيحيا فى جنات النعيم وسيَجبر الله كسره فى تلك الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. بل إنه سينسى كل شقاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن.

فجيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى

فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقَّه به حتى وقع شقاه».

* لقد حدث لجليس الملك مثلما حدث للراهب...

لقد ذاق الرجل حلاوة الإيمان فهان عليه أن يقدم حياته لله (جل وعلا) بدلاً من أن يعيش مُنعمًا فى قصر الملك وهو بعيد عن الله (سبحانه وتعالى).

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

* لقد كان الملك حتى هذه اللحظة لا يريد أن يقتل الغلام؛ لأنه مازال عنده بريق أمل فى أن يستخدمه فى السحر ويستفيد من مواهبه وإمكانياته.. فاختار طريقة لقتله يستطيع الغلام من خلالها أن يفكر مرة أخرى.

طلب الملك من زبانيته أن يذهبوا بالغلام إلى أعلى

الجبل ويعرضوا عليه أن يرجع عن دينه أو يلقوه من قمة الجبل .. ومن المعلوم أنهم سيسيرون مسافات طويلة؛ لكى يفكر الغلام مرة بعد مرة.

ولكن الغلام كان الإيمان فى قلبه ثابتًا ثبات الجبال الراسيات، فلم يضعف قلبه ولم ترتعد فرائصه لحظة واحدة بل كان يتمنى الشهادة فى سبيل الله من أجل أن تحيا الأمة كلها على التوحيد والإيمان.

* ولما صعدوا به فوق الجبل ما كان من الغلام إلا أن لجأ إلى الله وتوكل على الحى الذى لا يموت فقال بقلبه ولسانه: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» ولم يختر الغلام الطريقة التى ينجيه الله بها من كيد هؤلاء بل ترك الأمر لمالك المُلك وملك الملوك (جل وعلا) ليدبر له الأمر وينقذه بالطريقة التى يراها هو (سبحانه وتعالى).

فما كان من الحق (جل وعلا) إلا أن أمر الجبل فتزلزل بهم الجبل وسقطوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وبقى الغلام الصغير الضعيف فى جسده القوى فى إيمانه .. بقى الغلام سالمًا بأمر الله (عز وجل).

إنه التوكل على الله وإنها الثقة فى الله الذى بيده مقاليد الأمور.

* وعاد الغلام إلى الملك مرة أخرى!!

وقد يسأل سائل ويقول: ما الذى جعل الغلام يعود إلى الملك مرة أخرى ولم يهرب مع أنه على يقين من أن الملك يريد أن يقتله؟!

والجواب: إن الغلام لا يريد النجاة لنفسه بل يريد الحياة لأمته، فهو يريد أن تنتصر العقيدة مهما كان الثمن ولذلك رجع ليعلم الكون كله أنه لن يكون إلا ما قدره الله.

فكان الغلام يريد أن يرجع إلى الملك؛ لأنه حريص على هداية الأمة .. وهذا هو شأن الدُّعاة المخلصين الذين يتحملون كل أنواع الأذى والبلاء من أجل أن تحيا الأمة فى ظلال التوحيد والإيمان.

ولك أن تتصور كم كانت دهشة الملك وهو يرى الغلام الصغير حيًّا يمشى إليه، وقد ذهب الأصحاب من الجنود الأشداء الأوفياء لملكهم إلى غير رجعة!!

فيسأل الغلام متعجبًا: ما فعل أصحابك؟! فيقول الغلام: كفانيهم الله تعالى. فلم يخبره بما جرى.

ولم يُعلق بكلمة واحدة على تلك الكرامة التى أكرمه الله بها ولكنه اكتفى بأن يذكر للملك بأن الله هو الذى كفاه شرَّ هؤلاء الرجال، فهو وحده الله الذى يستحق أن نتوكل عليه وليس أنت أيها الملك الضعيف الذليل.

* فأرسله الملك مع نفر من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا به فى سفينة صغيرة وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت؛ فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، ورجع يمشى إلى الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

وهنا لجأ الملك إلى حيلة أخرى لقتل الغلام.. ولكنه اختار أيضًا طريقة تجعل الغلام يفكر مرة أخرى.

وكأن الملك حتى تلك اللحظة لم يعرف أن الغلام لو عُرض على القتل كل يوم مائة مرة، فلن يرجع عن دينه أبدًا.

* فأمر الملك زبانيته أن يأخذوا الغلام إلى البحر ويهددوه بالرجوع عن دينه أو أن يقذفوا به فى وسط البحر.. فأبى الغلام.

وبنفس الثقة فى الله والتوكل على الله لجأ الغلام إلى الحق (جل وعلا) وقال: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» فما كان من أمواج البحر إلا أن تفاعلت مع تلك الكلمة - بأمر الله - «**وما يعلم جنود ربك إلا هو**».

فانكفأت السفينة وغرقوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وحملت مياه البحر هذا الغلام الصغير ليصل إلى الشاطئ سالمًا غانمًا.. ومع ذلك لم يفكر أبدًا فى الهروب بل عاد إلى الملك ليعطى الكون كله درسًا فى الثبات على الدين والإصرار على انتصار الإيمان والعقيدة.

فتعجب الملك.. كيف يعود الغلام هذه المرة أيضًا سالمًا. وكان الملك يظن أن ربَّ الغلام الذى نجاه من على الجبل لن يستطيع أن ينجيه من البحر... فسأل الملك الغلام: «**ما فعل أصحابك؟**».

قال الغلام بثقة ويقين: «كفانيهم الله».

* ثم تحول الغلام من مأمور إلى آمر .. فقام يأمر الملك، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال الملك: وما هو؟

قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: **«بسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمني؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني»**.

* لقد أحسَّ الملك بعجزه الشديد وأنه لا يستطيع أن يقتل هذا الغلام الصغير ولا حتى أن يكون سببًا في هروب الغلام وخروجه من مملكته؛ ليحفظ الملك ماء وجهه أمام رعيته الذين علموا بعجزه عن قتل غلام صغير مع أنه يدَّعي أنه إله من دون الله (عز وجل).

* وهنا يتحول الغلام الصغير من مأمور إلى آمر.. يقوم الغلام ليأمر الملك ويقول له: **«إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به»**.

الله أكبر!! يا لها من كرامة... أن يتحول الغلام من

مأمـور إلى آمر بل ويخبر الملك بعـجزه وضعفـه عن قتله حتى يفعل الأمر الذى يوجهه الغلام إليه.

* ولما كان الملك قد أحس بأن وجود هذا الغلام أصبح خطرًا على مُلكه قال له بلهفـة وشوق: «وما هو؟» أى ما هو الطريق الذى يجعلنى أستطيع أن أقتلك.

فـقال له الغـلام الذكى: «تجـمع الناس فى صعـيد واحـد» وذلك ليرى الناس جميعًا هذا المشهد ويعلموا الحقيقة كلها ويعـرفوا أنه لا شيء يحـدث فى الكون كله إلا بأمـر من الله (عز وجل).

* وقول الغـلام للملك: «ثم تصلبنى على جـذع» ليظهر للجميع الظلم الواقع على الغلام بدون جريمة ارتكبها إلا أن يقول ربى الله، وهذا بالتـأكيد من أسبـاب ميل الناس إليه وتعاطفهم معه ومع دعـوته؛ فقد فطر الله العباد على كراهية الظالم وعداوته والميل إلى المظلوم ومناصرته.

فإذا أضـيف إلى ذلك أنهم يعلمـون عن المظلوم حـبّه للخير وحرصه على الإحسان إلى الناس، وجربوه من قبل فى قضاء حوائجهم، وكونه كان دائمًـا مستشعرًا لمشاكلهم

فى حين غابت مشاكلهم عن الملك وحاشيته؛ بداية من الدابة التى قتلها وانتهاءً بأمراضهم المستعصية التى كان لا يستطيع، بل ولا يلتفت إلى محاولة مداواتها، فلا شك أن هذه الأمور مجتمعة تجعل هذا الجمع كله يعلم الظلم الواقع على الغلام، وعندما يتساءلون ما جريمته؟ يقال: لا شيء إلا أنه يقول ربى الله.

فهكذا ينبغى أن يكون الدُّعاة إلى الله حريصين على ألا يكون لهم تهمة إلا أن يقولوا: ربُّنا الله، مع إحسانهم إلى الناس... وعليهم ألا يحزنوا من الظلم الواقع عليهم، فإنه قدَّره الله لحِكمٍ عظيمة لانتشار دينه وقبول الناس له، كما أنه سرعان ما يزول، فيكون لهم الأجر الجزيل عند ربهم.

وقول الغلام للملك: «ثم خذ سهمًا من كنانتى» مزيد من إظهار عجز الملك وأنه ليس بيده الأمر، فلو أخذ سهمًا من كنانة الملك لم يقتل الغلام حتى يأخذه من كنانة الغلام؛ ليعلم الناس أن الأمر أمر ربِّ الغلام، وأن قتل الغلام كان بإرادته لا إرادة الملك.

وفى أمره أن يقول: «بسم الله رب الغلام» إعلان بالعجز التام والافتقار القهرى الاضطرارى إلى الله سبحانه.

* فإن قيل: ألم يكن الغلام يعلم باحتمال أن يقتل الملك الناس لو آمنوا، . . . بل يغلب على ظنه ذلك، وهو يعلم عجز الناس عن الدفاع عن أنفسهم، فهو بالتالى قد ألزمهم الصبر على القتل خلافًا لما ذكرت؟

فالجواب: أن الموازنة هنا بين البقاء على الكفر مع الحياة أو الدخول فى الإسلام مع القتل، ولا شك أن الدين مُقدَّم على النفس.

* فقام الملك وجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه، فوضع يده فى صدغه فمات، فقال الناس: «آمنا بالله رب الغلام».

* وفعل الملك ما أمره به الغلام . . وكان هذا الملك فى غاية الغباء لأنه لو ترك الغلام يدعو الأمة إلى توحيد الله لما آمن معه إلا القليل ولكنه لما قُتل الغلام؛ آمنت

الأمة كلها وقاموا جميعًا على قلب رجلٍ واحد فقالوا: آمنا بالله رب الغلام.

* ورحل الغلام الشهيد عن دنيا الناس عزيزًا كريمًا.. وهو الذى صدق الله فصدقه الله وآمنت الأمة كلها لتأتى يوم القيامة فى ميزان حسنات الغلام ومن قبله الراهب الذى علَّم الغلام التوحيد لله (جل وعلا) وقُتل قبل أن يرى ثمرة دعوته.. وهذا أمر يحفز الدُّعاة على بذل وسعهم فى الدعوة وإن لم يروا ثمرة دعوتهم فى حياتهم، فقد تأتى الثمرة بعد موت الداعية.

«فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟! قد والله نزل بك ما كنت تحذر، قد والله آمن الناس، فأمر بالأخاديد (الحُفر) بأفواه السكك فخُدَّت «أى حُفرت»، وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبىٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها (أى ترددت وهمَّت أن ترجع)، فقال لها الغلام (أى ابنها الصبى): يا أُمه! اصبرى، فإنك على الحق».

* فقامت البطانة السيئة لتخبر الملك بأن الأَمَةَ قد آمنت بالله (عز وجل) فما كان من الملك - الذى لا يملك الحُجة ولا الإقناع - إلا أن لجأ إلى البطش والعنف، فأمر زبانيته أن يحفروا الأخاديد فى أفواه السِّكك حتى لا يترك مكانًا يستطيع الناس أن يهربوا منه.

وجىء بالموحدين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان منذ ساعات معدودة وخيّروهم بين الكفر وبين دخول نار الدنيا، فاختاروا جميعًا أن يموتوا على التوحيد والإيمان وأن يدخلوا نار الدنيا على أن يكفروا بالله (عز وجل) ويدخلوا نار الآخرة التى هى أشد من نار الدنيا سبعين مرة.

* * *

المشهد الأخير

ويأتى هذا المشهد الأخير المؤثر.

قال ﷺ: «حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه اصبرى فإنك على الحق».

ويا له من مشهد مهيب أن يُنطق الله هذا الطفل الصغير، ليربط على قلب أمه ولتعلم يقينًا أنها على الحق.

* وهكذا رحل هؤلاء الشهداء الأبرار عن دنيا الناس؛ ليسعدوا بالنعيم المقيم فى جنة الرحمن (جل وعلا).

* ولقد ذكر الله قصتهم فى سورة البروج، فقال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (١).

أولئك هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله فى كتابه وذكرهم الرسول ﷺ فى سُنته.

---

(١) سورة البروج: الآيات: (٤ - ١٠).

لم ينتقموا منهم ويحرقوهم إلا لأنهم آمنوا بالله، وهذه هي سُنة الله في خلقه المؤمنين الموحدين.

ولا تزال الحرب بين الإيمان وأهله والكفر وأهله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

نسأل الله أن يثبتنا على ديننا حتى نلقى نبينا ﷺ على حوضه يوم القيامة.

* * *

الدروس المستفادة:

(١) حرص أهل الشَّرِّ على استمرار شرهم من بعدهم، كما حرص الساحر على تعليم من يرث علمه الفاسد، ليبقى هذا العلم حيًا يضلُّ به عباد الله.

(٢) أن السحر من كبائر الذنوب، ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر؛ لأن السحر لا يتمُّ إلا مع الكفر وتعظيم الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[1].

(٣) اختار الملك الغلام ليكون الساحر الذى يثبت دعائم ملكه، وأراد الله له أن يكون الداعية الصالح الذى يدمر ملكه، ويهدى الناس إلى الدين الحق، وفى ذلك آية للمعتبرين، فالله يهيئ لدينه رجالاً.

(٤) الإيمان لا يحتاج إلى وقت طويل؛ كى يستقر فى القلوب، ويحيى النفوس، فالقوم الذين رضوا بعذاب النار لم يكن مضى على إيمانهم ساعات قليلة،... ومثل هؤلاء سحرة فرعون آمنوا، فلم يردعهم جبروت فرعون وعذابه عن الإيمان.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

(٥) قد يُجرى الله على يد بعض أوليائه كرامات يؤيده بها، ويثبت بها إيمانه ويقينه، فالغلام لم يكن نبيًا، وقد استجاب الله له فى قتل الدابة، وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص، ومداواة المرضى، واستجاب دعاءه فى تخليصه من القتل، والقضاء على أعوان الملك الذين أمرهم بقتله.

(٦) التضحية بالنفس فى سبيل الله ليست من الانتحار فى شيء، فالغلام دَلَّ الملك على الطريقة التى يقتله بها، والمؤمنون كان بعضهم يُلقَى فى النار، وآخرون يقتحمونها، ولم يكن اقتحامهم لها انتحارًا، بل كان فيه إغاظة للظالمين، وإرضاء لله رب العالمين.

(٧) شدة عداء أهل الكفر لأهل الإيمان، فقد نشر أعوانُ الملك الراهبَ وجليس الملك بالمنشار، وأحرقوا الناس بالنيران.

(٨) حفظ الله لأوليائه، وإذلاله لأعدائه، فقد حفظ الغلام من القتل، واستجاب دعاءه، فأهلك من أرادوا به سوءًا.

(٩) وجوب الصبر على الأذى فى الله، كما صبر الراهب وجليس الملك والغلام، وكما صبر المؤمنون على الحرق بالنار.

(١٠) جواز الكذب فى الحرب ونحوها، فقد أرشد الراهب الغلام إلى أن يدَّعى أن الكاهن حبسه إذا سأله أهله، وأن أهله حبسوه إذا سأله الكاهن.

(١١) قد يضعف رجل العقيدة عن احتمال الأذى، وقد يبوح بأسرار لا يجوز له البوح بها من شدة العذاب، فجليس الملك الذى ردَّ الله عليه بصره دل على الغلام تحت وطأة العذاب، والغلام دل على الراهب لما ناله من العذاب، ومع ذلك فلم يُنقص اعترافهما من مكانتهما، ولكنهما احتملا العذاب الذى أدَّى بهما إلى الموت عندما طُلب منهما التنازل عن عقيدتهما، والكفر بالله.

(١٢) قد يكون التلميذ أفضل من شيخه، فقد حقق الغلام ما لم يستطع الراهب تحقيقه، ويبقى للراهب فضل هداية الغلام.

(١٣) التضحية بالنفس فى سبيل نشر الدعوة، حيث دل الغلام الملك على الطريقة التى يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان بالله، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو.

الرجل الذى قتل مائة نفس

كان ياما كان... كان هناك رجل يعيش فى قرية مليئة بالأشرار الذين يقتل بعضهم بعضًا ليل نهار ولا يجدون من يُنكر عليهم.

وكان هذا الرجل يعيش فى صراع مع نفسه... فهو إما أن يكون قاتلاً أو مقتولاً وذلك لأن أهل هذه القرية لا يعرفون إلا القتل فاختار هذا الرجل أن يكون قاتلاً... حتى إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم ندم ندمًا شديدًا وقرر أن يتوب ولا يقتل أحدًا أبدًا بعد ذلك اليوم خوفًا من عذاب الله يوم القيامة... سأل هذا الرجل كل من حوله عن أعلم أهل الأرض فدلوه على أعبد أهل الأرض... والعابد قد يعبد الله على جهل ولا يعلم شيئًا.

ذهب الرجل للعابد وقال له:

أيها العابد! جئت أسألك عن شيء؟

قال له العابد: قل أيها الرجل ما سؤالك؟

قال له الرجل: قتلت تسعة وتسعين رجلاً.

نظر العابد للرجل في تعجب: قلت: قتلت تسعة وتسعين رجلاً؟!

قال له الرجل: نعم.. قتلت تسعة وتسعين.

قال له العابد: ماذا تريد مني إذن؟

قال له الرجل: أريد أن أتوب.. فهل يتقبل الله مني التوبة؟

نظر العابد للرجل وقال له: لا... لن يتقبل الله توبتك.. وسيعاقبك عقابًا شديدًا؛ لأنك قتلت تسعة وتسعين رجلاً، فكيف يقبل الله توبتك بعد كل هذه الجرائم؟!!

شعر الرجل بالضيق من كلام العابد... فقتله هو الآخر.

وبذلك قتل الرجل مائة شخص.

مشى الرجل وهو يشعر بالحزن الشديد والندم لأنه قتل العابد.

ثم أخذ الرجل يسأل الناس حتى دلوه على رجل عالم..

فذهب الرجل للعالم وأخبره بحكايته... وأنه قتل مائة رجل.. فقال له العالم في تعجب: قتلت مائة رجل؟!

قال له الرجل: نعم قتلت مائة رجل.

قال له العالم: وماذا تريد؟

قال له الرجل: أريد أن أتوب، فهل يتقبل الله منى التوبة!

قال له العالم: نعم.. سيقبل الله منك التوبة... فالله غفور رحيم.

شعر الرجل بالفرح الشديد عندما علم أن الله سيقبل توبته.

فقال له العالم: ولكن كى يقبل الله توبتك فعليك أن تفعل شيئًا مهمًا.

قال له الرجل: ما هو وسأنفذه فى الحال؟

قال له العالم: اترك هذه القرية التى تعيش فيها فهى قرية سيئة، وأهلها أشرار.. واذهب لقرية أخرى أهلها طيبون... صالحون.. كى تعبد الله معهم.

نفذ الرجل كلام العالم وقرر أن يذهب لقرية أخرى.

فترك الرجل القرية وتوجه إلى القرية الصالحة.

ولم يعلم هذا الرجل التائب أن ملك الموت فى انتظاره فى منتصف الطريق فقبض ملك الموت روحه فى منتصف الطريق قبل أن يصل إلى القرية الصالحة.

فأرسل الله له ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

واختلفت الملائكة أيهما يقبض روحه: ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب فملائكة الرحمة تقول: إن هذا الرجل جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه على الله.

وملائكة العذاب تقول: إنه قتل مائة رجل ولم يعمل خيرًا قط.

فأرسل الله إليهم مَلَكًا فى صورة بشر فقال لهم: قيسوا المسافة التى مات عندها هذا الرجل.

فإذا كان هذا الرجل قريبًا من القرية الصالحة تأخذه ملائكة الرحمة.

وإذا كان هذا الرجل قريبًا من القرية الفاسدة فتأخذه ملائكة العذاب.

فأمر الله - سبحانه وتعالى- الأرض التى بينه وبين القرية الصالحة أن تتقارب، وأن تتباعد المسافة بينه وبين القرية الفاسدة..

فقاسوا المسافة فكان أقرب إلى القرية الصالحة بشبرٍ واحد فكان من أهلها فقبضته ملائكة الرحمة ليكون من أهل الجنة.

❋ ❋ ❋

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذا الرجل، فقال ﷺ:

«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبةٍ؟

فقال: لا، فقتله، فكمَّل به مائة.

ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالم، فقال: إنه قتل مائة نفسٍ فهل له من توبةٍ؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلقِ إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوءٍ.

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه

ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

وفي رواية: «... فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقرَّبي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوُجد إلى هذه أقرب بشبرٍ، فغفر له».

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

الدروس المستفادة:

(١) أن الصُّحبة السيئة والمجتمع السيئ يؤثر على سلوك الإنسان وحياته . . . ولقد رأينا كيف أن هذا الرجل لما عاش فى تلك القرية التى انتشر فيها القتل قتل تسعة وتسعين نفسًا.

(٢) أن المسلم مهما فعل من الذنوب والمعاصى فلا ينبغى أن ييأس من رحمة الله بل عليه أن يتوب إلى الله - جل وعلا- لأن رحمة الله واسعة.

(٣) أن المسلم لابد أن يسأل أهل العلم حتى يدلوه على الطريق الصحيح الذى يوصله إلى الجنة ويبعده عن النار.

(٤) أن الله يقبل توبة كل عاصٍ ولو كان قاتلاً إذا تاب توبة صادقة.

(٥) أن العالم أفضل من العابد . . . فقد رأينا كيف أن العابد أغلق باب التوبة فى وجه هذا الرجل التائب فقتله . . . وأما العالم فقد فتح أمامه باب الأمل وأرشده إلى أنه يجب عليه أن يترك قرية الأشرار وأن يذهب إلى

القرية الطيبة التى يسكنها أُناس طيبون ليعبد الله معهم .

(٦) أن المسلم إذا أخلص النية لله فإن الله يكرمه ويُسخر له الكون . . . فقد رأينا كيف أن الله أمر الأرض الطيبة أن تقترب حتى يكون هذا الرجل أقرب إليها بشبر واحد لتقبضه ملائكة الرحمة فيكون من أهل الجنة .

(٧) لا بد من فتح باب الأمل أمام العصاة حتى يتوبوا ولا يقنطوا من رحمة الله .

❊ ❊ ❊

الرجل الذى استلف ألف دينار

كان ياما كان... كان هناك تاجر أمين فى بنى إسرائيل حدثت له ضائقة مالية واحتاج لمن يُقرضه مبلغًا من المال ليشترى به بضائع من أجل التجارة.

فذهب إلى رجل من أصحاب الأموال الذين عُرف عنهم أنهم يُسلِّفون الناس فطلب منه أن يسلفه ألف دينار... وهو مبلغ كبير جداً.

فطلب منه الرجل الذى سيُقرضه إياه أن يأتى بالشهود الذين يشهدون أنه أخذ هذا المال.

فقال له: كفى بالله شهيداً.

فطلب منه صاحب المال أن يأتيه بكفيل يضمنه إذا عجز عن السداد، فقال له المقترض: كفى بالله وكيلاً وكفيلاً.

* ولقد كان صاحب المال رجلاً صالحًا فلم يراجع المقترض عندما قال له ذلك فأعطاه الألف دينار ورضى بالله شهيدًا وكفيلاً.

* ومضى المقترض بالألف دينار بعد أن حدد له موعدًا لسداد الدَّين.

أخذ التاجر المال وتوجه إلى البحر وركب السفينة وسافر.. وفى السفر كسب أموالاً كثيرة... ثم وجد التاجر أن الشهر الذى حدده قرب أن ينتهى؛ لذا عليه أن يعود لبلده ويعطى المال لصاحبه.

جهز التاجر المال وقرر العودة كى يعطى جاره ما أخذه من أموال.

وعندما وصل التاجر لشاطئ البحر.. ظل يبحث عن سفينة فترة طويلة ليعود بها إلى بلده.. لكنه لم يجد سفينة؛ لأن الأمواج كانت عالية.

وقف التاجر على شاطئ البحر لا يدرى ماذا يفعل..

أخذ التاجر يفكر ماذا يفعل.. وبينما هو يمشى على شاطئ البحر رأى خشبة تعوم فوق الماء فنظر التاجر للخشبة وظل يفكر حتى توصل للحل..

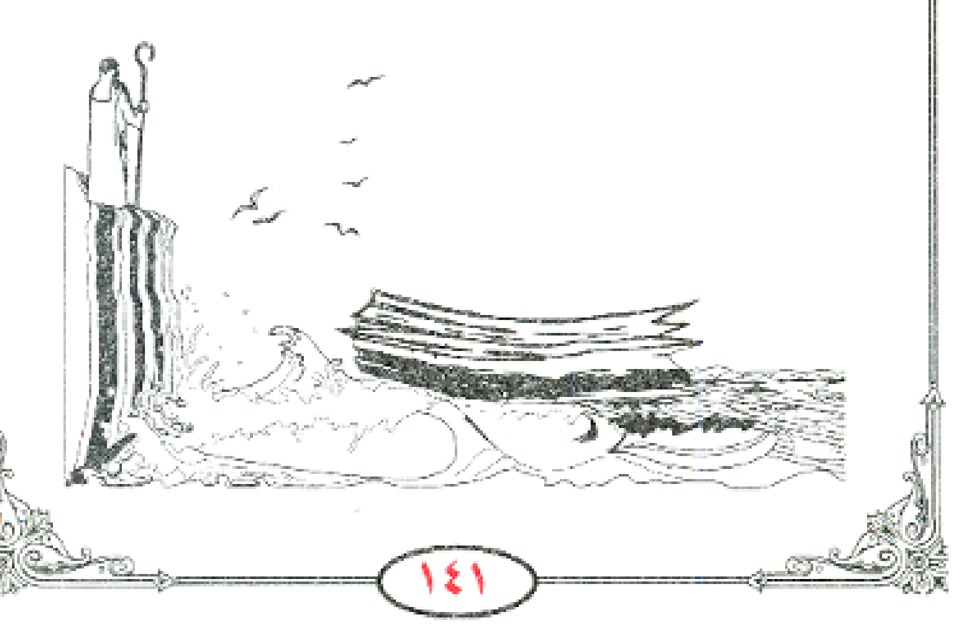
أخذ التاجر الخشبة وثقب بها فتحة، ثم وضع بداخلها المال الذى أخذه وبعث أيضًا خطابًا لصاحبه يخبره فيه أنه

بعث إليه بالمال . . . وأنه لم يستطع الرجوع عند انتهاء الشهر .

ثم أغلق التاجر الغطاء على المال والخطاب جيداً، ثم ألقى الخشبة فى الماء ودعا الله أن يجعل المال يصل لجاره صاحب الألف دينار .

حملت الأمواج الخشبة والتاجر واقف على الشاطئ ينظر إليها حتى اختفت من أمامه .

* ولم يكن هذا الرجل غبيًا ولا مخبولاً عندما وضع الألف دينار فى الخشبة ولكنه أراد أن يرد المال لصاحبه فى الموعد المحدد ولم يجد سفينة يسافر بها إليه ففعل ما قدر على فعله ووكل أمره إلى الله وكان عنده يقين وثقة فى



الله أن الله سيتولى حفظ هذه الخشبة حتى تصل بالألف دينار إلى صاحبها.

* وكان على الشاطئ الآخر صاحب المال قد خرج ينتظر قدوم صاحبه ليعطيه المال وبخاصة وأنه كان فى هذا الوقت فى أشد الحاجة إلى ماله.

وبعد طول انتظار علم أن صاحبه لن يأتى فقرر أن يعود إلى منزله وفى تلك اللحظة نظر الرجل صاحب المال فرأى خشبة تعوم فوق الماء فنزل وأخذها ليشعل فيها النار ليستدفئ بها هو وزوجته وأولاده. وكان من الممكن أن تغوص الخشبة أو تحملها الأمواج إلى مكان بعيد لكن الله قدر أن تصل إلى صاحب المال.

* أخذ الرجل تلك الخشبة وذهب بها إلى البيت فلما كسرها وجد فيها المال والخطاب الذى كتبه له صاحبه.

فرح الرجل فرحًا شديدًا وحمد الله على عودة ماله إليه.

* أما الرجل المقترض فإنه خشى أن تكون الخشبة لم تصل لصاحب المال فأخذ ألف دينار أخرى واستأجر سفينة

فى اليوم التالى وذهب إلى صاحب المال وشكره على ما فعله معه وأخرج له الألف دينار فقال له صاحب المال: أمسك عليك مالك فقد وصلتنى الخشبة بالأمس وفيها المال والخطاب الذى بعثته.

* وهكذا حفظ الله تلك الخشبة ووصل المال لصاحبه.

* * *

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فأخبر: «أن رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائتنى بالشهداء أُشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتنى بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت.

فدفعها إليه على أجل مُسمًّى، فخرج فى البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجَّج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر.

فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلَّفت فلانًا ألف دينار، فسألنى كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضى بك، وسألنى

شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضى بك، وأنى جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذى له، فلم أقدر، وإنى أستودعكها.

فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبًا، يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها، وجد المال والصحيفة.

ثم قَدِم الذى كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهدًا فى طلب مركبٍ لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذى أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلىَّ بشىء؟ قال: أُخبرك أنى لم أجد مركبًا قبل الذى جئت فيه، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذى بعثت فى الخشبة، فانصرِف بالألف الدينار راشدًا»(1).

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البخارى (٢٢٩١) كتاب الكفالة.

الدروس المستفادة:

(١) أن من أخذ دينًا وهو ينوى أن يؤديه؛ أعانه الله على أدائه.

(٢) الوفاء بالوعد؛ فإن هذا الرجل لما جاء موعد سداد الدين، ولم يستطع الوصول إلى صاحبه وضع النقود في خشبة ورمى بها في البحر، وهو على يقين بأن الله سبحانه وتعالى سوف يساعده على أداء دَينه؛ لأنه اتخذه وكيلاً وشهيدًا.

(٣) لما حفظ هذا الرجل عهده ووفَّى بوعده، حفظ الله له ماله وساق الخشبة على الأمواج إلى صاحب الدَّين، ولم تذهب يمينًا ولا يسارًا، فسبحان من سيَّرها!!

(٤) اعتمد على الله سبحانه في كل أمورك، ولا تعتمد على نفسك، ولا على حولك ولا قوتك، واجعله كفيلك وحسبك واصدق في ذلك ولن يضيعك الله أبدًا.

(٥) الأمانة؛ فإن هذا الرجل صاحب المال اعترف للآخر بأنه قد وجد النقود في الخشبة ولم ينكر، ولم يأخذ منه الألف الأخرى.

قصة السحابة

كان ياما كان... كان هناك رجل صالح اسمه أحمد يعيش فى قرية جميلة مليئة بالزروع والثمار.

وفى يوم من الأيام تذكر أحمد أنه منذ سنة لم يذهب إلى عمه ليزوره وخرج أحمد لزيارة عمه فى إحدى القرى البعيدة التى كان يفصل بينها وبين قريته صحراء شاسعة.

ركب أحمد حصانه وخرج من قريته ذاهبًا لزيارة عمه وبدأ يسير فى تلك الصحراء الشاسعة... وبعد فترة بدأ يشعر بالتعب والعطش.

ظل أحمد يبحث عن الماء لفترة طويلة فقد نفد الماء الذى معه ويريد أن يشرب الماء ويستريح قليلاً من عناء الطريق.

وبينما كان أحمد يبحث عن الماء وإذا به يرى فى وسط الصحراء الشاسعة سحابة كبيرة فى وسط السماء على

الرغم من الحرارة الشديدة!!!

وفجأة سمع أحمد صوتًا يصدر من السحابة ويقول: اسقِ حديقة عبد الله.

فتعجب أحمد وقال فى نفسه: هل من المعقول أن يصدر هذا الصوت من السحابة؟

ويا تُرى من هو عبد الله الذى جاء الأمر للسحابة بأن تسقى حديقته؟

أخذ أحمد يمشى هنا وهناك وراء هذه السحابة ليرى أين ستذهب وفجأة نظر أمامه فوجد حديقة جميلة وسط هذه الصحراء الشاسعة.

ونظر أحمد فوجد أن السحابة توقفت وأفرغت ماءها كله فى هذه الحديقة.

وبعد دقائق وجد رجلاً طيبًا يدخل الحديقة ويوزع الماء الذى نزل من السحابة على كل أحواض الحديقة.

فدخل عليه أحمد وسلم عليه وقال: ما اسمك أيها الرجل؟

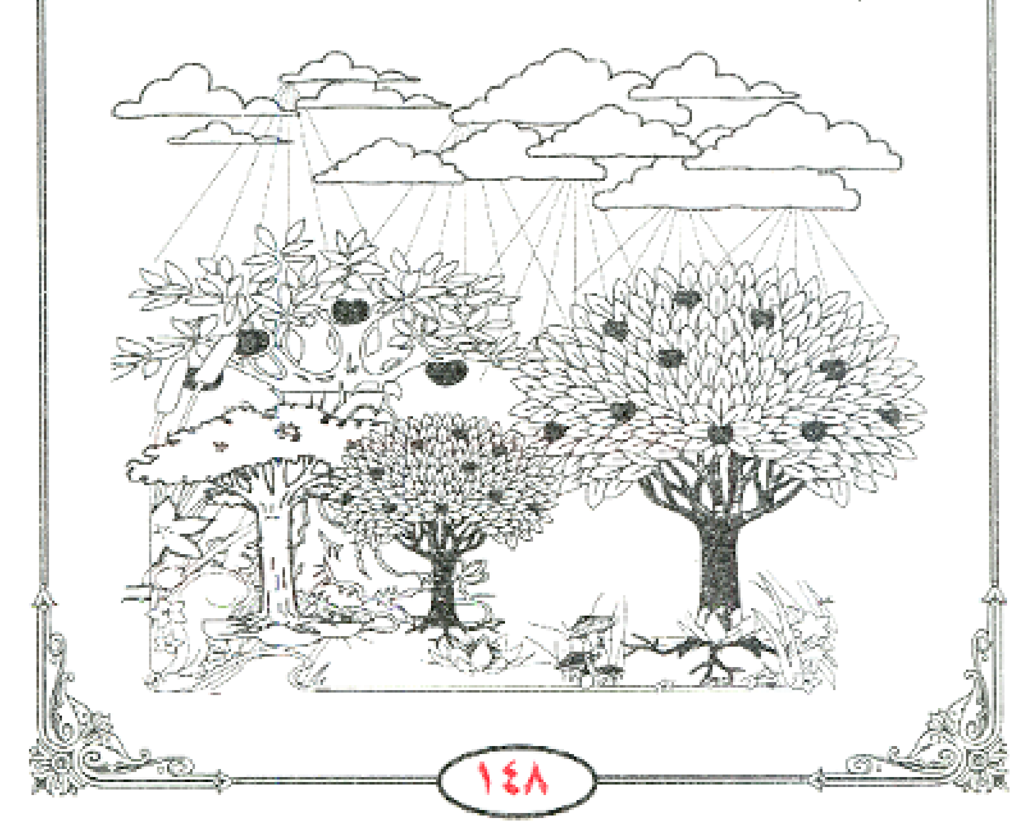
فقال له الرجل: اسمى عبد الله.

فتعجب أحمد وقال: إنه الاسم الذى سمعته من السحابة.

فقال له الرجل: هل سمعت اسمى فى هذه السحابة؟

قال أحمد: نعم.. لقد سمعت صوتًا يصدر من هذه السحابة التى أفرغت ماءها فى حديقتك يقول: اسق حديقة عبد الله.. فماذا تصنع فى هذه الحديقة؟

قال عبد الله: عندما أجمع المحصول فإنى أقسمه ثلاثة أقسام:



أعطى الفقــراء الثلث. . وآكل أنا وأهل بيتى الثلث. .
وأزرع الحديقة بالثلث الأخير.

قال أحمد: لهذا بارك الله لك فى حديقتك وأرسل لك
تلك السحابة لتسقى حديقتك.

* ولقد ذكـر النبى ﷺ هذه القـصة دون الأســماء
والتفاصيل التى ذكرتها لتبسيط القصة لحبايبى الحلوين.

قال ﷺ: «بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا فى
سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحَّى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه فى
حَرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله،
فتتبعَ الماء، فإذا رجل قائم فى حديقته، يحول الماء بمسحاته، فقال
له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان... للاسم الذى سمع فى
السحابة.

فقال له: يا عبد الله! لِمَ تسألنى عن اسمى؟ فقال: إنى
سمعت صوتًا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة
فلان لاسمك فما تصنع فيها؟

قال: أما إذ قلت هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق
بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثًا، وأرد فيها ثلثه»[1].

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤) كتاب الزهد والرقائق.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يعمل ليأكل من عمل يده.. فقد قال النبي ﷺ: «ما كسب الرجل كسبًا أطيب من عمل يده».

(٢) أن المسلم إذا أنفق على أهله وأولاده فإنه يُكتب له صدقة فقد قال النبي ﷺ: «ما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة».

(٣) أن المسلم لا ينسى حق الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل... ولقد رأينا كيف أن هذا الرجل كان يتصدق بثلث ماله على الفقراء فأكرمه الله بأن أرسل له سحابة مخصوصة لتسقى بستانه ليزيد الإنتاج فى أرضه.

(٤) أن المؤمن لابد أن يعترف بفضل الله ونعمه عليه.



قصة جُريج العابد

كان ياما كان.

كان هناك رجل عابد من بني إسرائيل اسمه جُريج.

وكان هذا الرجل في بداية أمره تاجرًا أمينًا يحبه كل الناس ويثقون في صدقه وأمانته.. ثم زهد بعد ذلك في التجارة وأحب العبادة حبًا جمًا فاتخذ صومعة يعبد الله فيها.

واعتزل جُريج الناس وجلس في صومعته يعبد الله (عز وجل) فكان يصوم النهار ويقوم الليل.. وظل على تلك الحالة زمنًا طويلاً.

وكان لجريج أمٌ صالحة تأتي إليه في بعض الأيام لزيارته ومحادثته والجلوس معه.

وفي يوم من الأيام جاءت إليه وقد اشتاقت لرؤيته فأخذت تنادي عليه.. وكان جريج يصلي في هذا الوقت.. وبدلاً من أن يرد على أمه استمر في صلاته ولم يُجب نداء أمه.

لقد كان الواجب على جـريج أن ينصرف من صلاته، ويجـيب نداء أمه، فـإجابة الأم أولى من صـلاة النافلة، وكان يمكنه أن يخفف صلاتـه، ويبادر بإجابة أمه، ولكنه قدَّم صلاته علـى إجابة أمه، ويبدو أنه كان يـجد للصلاة حـلاوة فى قلبه، تُغـريه بعـدم تَرك الصلاة لأى أمـر من الأمور.

* وذهبت الأم وهى غاضبة لأن ابنها لم يرد عليها.

وعادت فى اليـوم التالى وهى فى أشد الشـوق لرؤيته فنادت عليه فلـم يرد عليها؛ لأنه كـان مشغـولاً بالصلاة فعادت الأم أيضـًا وهى غاضبة، ثم عـادت إليه فى اليوم الثالث ونادت عليه فوجدته يصلى فلم يرد عليها.

فما كان منها إلا أنها دعت علـيه أن لا يُميته الله حتى يرى وجوه البغايا (النساء السيئات).

وقد أخـبرنا رسول اللـه ﷺ أن أم جريج لو دعت عليه أن يُفتن لفُتن.

ونحن نعلم أن الله (عز وجل) إذا أراد شيـئًا فإنه يُهيئ له أسبابه.

فقد أخذ بنو إسرائيل يتذاكرون جُريجًا وعبادته فأرادوا أن يفتنوه وأن يجعلوه يقع فى معصية الله (جل وعلا).

فأخذوا يبحثون عن امرأة تغويه، فوجدوا امرأة فى غاية الحسن والجمال فقد كان الناس يضربون بها المثل فى الحسن والجمال.. وكانت مغرورة وواثقة فى نفسها وجمالها.

فلما ذهبوا إليها واتفقوا معها على أن تفتن جريج العابد، قالت لهم بكل ثقة: إن شئتم فسوف أفتنه لكم.

وذهبت إليه هذه المرأة وتعرضت له فى خلوته وأظهرت مفاتنها له، ولكنه لم يلتفت إليها فأحست بأنه قد أهانها فى جمالها وأنوثتها، فشقَّ عليها هذا الذى حدث فلم تستطع أن تعود إلى القوم لتعلن عن فشلها فى فتنة جُريج.

فما كان منها إلا أنها ذهبت إلى رجلٍ راعٍ كان يأوى إلى صومعة جريج، وتعرضت له وفتنته وأمكنته من نفسها فوقع عليها، وفعل معها الفاحشة، وحملت هذه المرأة من الرجل الراعى فى تلك الليلة، فلما ولدت غلامًا

صغيرًا ادَّعت أن هذا الولد من جُريج العابد، وأنه هو الذى فعل معها الفاحشة، ورغم أن بنى إسرائيل كانوا يتمنون فتنة جُريج العابد إلا أنهم لم يكن يخطر على بالهم أن هذا العابد يصدر منه هذا الفعل الذى أخبرتهم به هذه المرأة زورًا وكذبًا.

* لم يعلم أهل القرية أن هذه المرأة كاذبة.. وظنوا فعلاً أن هذا العابد قد فعل معها الفاحشة؛ فجاءوا إليه وهم فى قمة الغضب وأمروه أن ينزل من صومعته، وأخذوا يشتمونه شتمًا قبيحًا فلم يرد عليهم لأنه كان منشغلاً بصلاته... وإذا بهم يضربون الصومعة ويهدمونها بالفؤوس فلما رأى منهم ذلك نزل من صومعته وهو لا يعلم ما الذى حدث ولماذا يفعلون كل هذا؟

أخذ الناس يضربونه ضربًا شديدًا وهو يسألهم: لماذا تفعلون كل هذا؟ فأخبروه أن هذه المرأة أخبرتهم أنه قد فعل معها الفاحشة، وأنها قد أنجبت منه ولدًا من الحرام.

فتبسم جُريج لأنه واثق من أنه صادق فى عبادته واستقامته وأن هذه المرأة كاذبة.. فطلب من الناس أن

يعطوه الفرصة لكى يتوضأ ويصلى فتركوه ليتوضأ ويصلى.

فلما صلى وانتهى من صلاته قال لهم: أين الصبى الذى تدَّعون أنه ابنى من الزنا؟.. فجاءوا بالصبى الذى لم تمض على ولادته أيام، فطعنه فى بطنه بإصبعه بكل رقة وحنان وقال له: يا غلام مَن أبوك؟ فأنطق الله الصبى المولود، وقال: أبى فلان الراعى.

فأدرك الناس عِظَم الجريمة التى ارتكبوها فى حق العبد الصالح، وعلموا أن جُريجًا لم يكن من الصنف الذى ظنوه،... لم يكن مُرائيًا ولا مخادعًا، بل كان صادقًا فى تعبُّده وصلاحه، وأن هذه المرأة البغى كانت كاذبة فيما رمته به، وعلموا أنهم تسرعوا فى تصديق التهمة، كما تسرعوا فى إيذاء الرجل، وهدم صومعته، وحاول هؤلاء المتعجلون أن يُكفِّروا عما وقع منهم فى حق جريج، فعرضوا عليه أن يعيدوا له بناء صومعته من الذهب أو الفضة، ولكنه أبَى، وأصر على إعادتها من الطين كما كانت، وكذلك فعلوا، فلما أتموا بناءها، علاها جريج

عائدًا إلى عبادة ربه.

لقد استجاب الله في جريج دعاء أمه، فحقق ما طلبته، ولكن الله نجاه بصلاحه وتُقاه، وكان في استجابة الله دعاء أمه ثم نجاته بعد ذلك درسان عظيمان[1].

* * *

ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعة[2] فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج.

فقال: يا ربِّ أمي وصلاتي[3]. فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جُريج، فقال: يا ربِّ أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: أي ربِّ أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته؛ فقالت: اللهم لا تُمته حتى ينظر إلى وجوه الموسات[4].

---

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ٢٧٧).
(٢) الصومعة: بناء مرتفع محدد أعلاه.
(٣) أمي وصلاتي: أي هل اجيب أمي، أو استمر في صلاتي؟
(٤) المومسات: الزواني البغايا المتجاهرات بذلك - والواحدة مومسة.

فتذاكر بنو إسرائيل جُريجًا وعبادته وكانت امرأة بغي يُتمثل بحُسنها [١] فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم - قال: - فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيًا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاءوا به فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعي - قال: - فأقبلوا على جريج يُقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا» [٢].

* * *

---

(١) بغي يتمثل بحسنها: أي يُضرب به المثل لانفرادها به.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٥٥٠) كتاب البر والصلة.

الدروس المستفادة:

(١) بيان أثر عقوق الوالدين وترك برهما والاستجابة لأمرهما، وأن ذلك قد يكون سببًا لمصائب تحل بالإنسان، كما وقع لهذا العابد الصالح.

(٢) يجب على المصلى ترك صلاة النافلة إذا دعى المصلى أحد والديه لغرض مشروع، فالحديث يفيد أن جريجًا عصى ربه بعدم إجابة أمه.

(٣) محاولة أهل الفجور تشويه صفحة الصالحين الأخيار، كما فعلت هذه المرأة البغى بجريج.

(٤) لا يجوز المسارعة بتصديق التهمة من غير دليل ولا برهان، كما فعل أهل القرية عندما صدقوا ما قالته المرأة الفاجرة فى جريج، وكان الواجب عليهم أن يتحققوا من مقولتها، قبل مهاجمة جريج وسبّه وضربه.

(٥) قد يوجد عند العباد الصالحين من الثبات واليقين وحسن الظن بالله ما يجعله يواجه الأمور العظام بشجاعة ورباطة جأش، كما فعل جريج.

(٦) شأن الصالحين أن يفزعوا إلى الصلاة عند نزول الكرب والبلاء.

(٧) إنجاء الله للعبد بصلاحه وتقواه، كما أنجى جُريجًا وبرَّأه من التهمة التي رُمي بها.

(٨) قدرة الله على إنطاق من لم يعهد النطق من أمثالهم، كما أنطق هذا الغلام الصغير، فبرَّأ جُريجًا.

(٩) في الحديث إثبات كرامات الأولياء.

(١٠) عاقبة الابتلاء إلى خير إذا صبر العبد واتقى ربه، فجريج بعد بلائه كان أفضل عند الناس وعند رب الناس منه قبل الابتلاء[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ٢٧٧-٢٧٨) بدون ترتيب.

قصة المتكلم فى المهد الذى دعا الله أن لا يجعله كالجبار

فى يوم من الأيـام جلس النبىُّ ﷺ مع أصــحـابه ليحدثهم عن الثلاثة الذين تكلمـوا فى المهد .. فأخبرهم أن أولهم كان نبى الله عيسى (عليه السلام) وثانيهم جُريج العابد وثالثهم هذا الطفل الذى سنحكى لكم قصته.

* وهنا يخبرهم النبى بقـصة هذا الطفل الرضيع الذى تكلم فى المهـد. وتتلخص قصة هذا الطفـل فى أنه كانت أمه تجلس به على قارعة الطريق تُرضعـه فمرَّ أمامها رجل غنىٌّ يبدو عليه أثر الغنى والثراء، فـهو يلبس ملابس أنيقة ويركب دابة فـارهة .. وفوق ذلك فـهـو جمـيل الشكل والمنظر قـوى الجسـد والبنية.. فـأُعجبت الأم بمنظر هذا الرجل فقالت: اللهم اجعل ابنى مثله.

وإذا بالمفـاجأة التى لا تخطـر على قلب بشر .. لقـد ترك الطفل الرضيع ثدى أمـه ونظر إلى هذا الرجل وقال:

اللهم لا تجعلنى مثله.

ثم عاد مرة أخرى يرضع من ثدى أمه .. فتعجبت الأم من فعل هذا الطفل الرضيع.

وبعد وقت قصير مرَّ على هذه المرأة وطفلها جماعة من الناس يجرون جارية ويضربونها ضربًا قاسيًا وهم يقولون لها: زنيتِ .. سرقتِ .. وهى تقول: حسبى الله ونعم الوكيل.

فقالت الأم: اللهم لا تجعل ابنى مثلها .. وإذا بالطفل الرضيع يترك ثدى أمه مرة ثانية وينظر إلى تلك الجارية ويقول: اللهم اجعلنى مثلها.

فتعجبت الأم من فعل هذا الطفل الرضيع، ثم دار بينها وبين طفلها الرضيع حوار، فسألته أمه عن السبب الذى جعله يدعو ربه (جل وعلا) دعاءً يخالف دعاءها.

فأخبرها هذا الطفل الرضيع الذى ألهمه الله بهذا الجواب، فقال لها: إن هذا الرجل الغنى كان جبارًا كافرًا فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله، وإن هذه الجارية فتاة صالحة قد اتهموها بالزنى وهى بريئة من الزنا واتهموها بالسرقة

وهي لم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها في طهارتها وإيمانها وصبرها على البلاء.

* * *

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة، فقال ﷺ: «بينا صبيٌ يرضع من أمه، فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة[1]، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي، وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع، ومروا بجارية وهم يضربونها، ويقولون: زنيتِ سرقتِ، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها.

فهناك تراجعا الحديث فقالت: حَلْقَى[2]، مرَّ رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومرُّوا بهذه الأمَة وهم يضربونها، ويقولون: زنيت،

(١) ذو شارة حسنة: الشارة الحسنة تعني جمال المظهر في الهيئة والملبس والمركب.
الجبار: العاتي المتكبر القاهر للناس.
فارهة: قوية.

(٢) حلقى: دعاء مفاده: أصابه الله بوجع في حلقه، وهو دعاء يقوله الإنسان عندما يُستثار، لا يريد به الإضرار بالمدعو عليه.

سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإنَّ هذه يقولون لها: زنيت ولم تزن، وسرقتِ ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها»[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه مسلم.

الدروس المستفادة :

(١) أن الغِنى ليس دليلاً على كرامة العبد عند الله . . وأن الفقر ليس دليلاً على أن هـذا العبد ليس له قدر عند الله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] .

(٢) أن العبد قد يتمنى ما فيه هلاكه وضياعه . . فقد طلبت هذه المرأة أن يكون ابنها مثل هذا الجبار الكافر وهى لا تعلم أن فى ذلك هلاكه . . كما أنها دعت أن لا يكون ابنها مثل هذه الجارية الصالحة وكان الخير فى أن يكون ابنها مثلها .

(٣) أن العبد لا بد أن يرضى باختيار الله له . . وذلك لأن الله (جل وعلا) أرحم به من رحمة الأم بطفلها الرضيع .

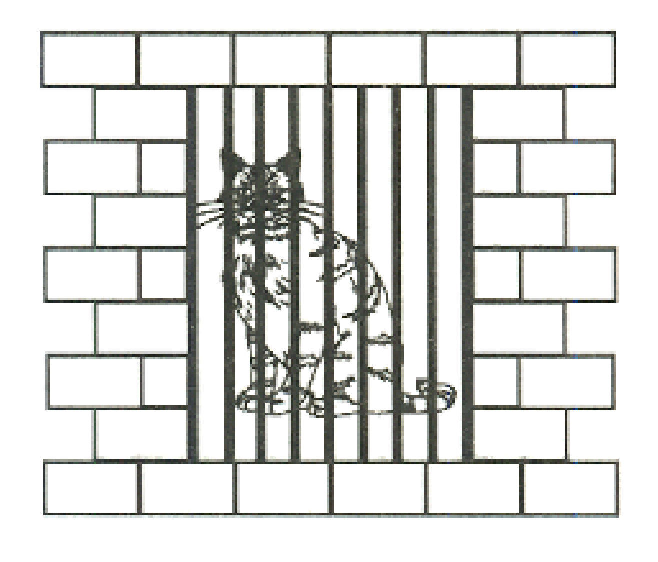
* * *

---

(١) سورة الحجرات : الآية : (١٣) .

المرأة التى دخلت النار في هرة (قطة)

كان ياما كان... كان فى بنى إسرائيل امرأة قاسية القلب، لا ترحم أى أحد حولها حتى ولو كان هرة (قطة) ضعيفة وفى يوم من الأيام خرجت هذه المرأة القاسية من بيتها لقضاء بعض حوائجها، فوجدت هرة ضعيفة تسير فى الطريق، فأخذتها ووضعتها فى البيت وأغلقت عليها الباب.



ظنت الهرة فى بداية الأمر أن هذه المرأة سترحمها وتقدم لها الطعام والشراب وتتركها لتنام فى هذا البيت الجميل.

لكن الذى حدث أن المرأة حبست الهرة فى البيت وتركتها بلا طعام ولا شراب.

اشتد الجوع والعطش بتلك الهرة، فظلت تصرخ ليل نهار والمرأة تسمع صوتها ومع ذلك لم تستجب لنداء الهرة ولم ترحمها بأن تأتى إليها بالطعام والشراب أو أن تتركها لتبحث عن رزقها فى مكانٍ آخر.

ولعلها وقد حبستها كانت تموء ليل نهار، وهى تعانى الجوع والعطش، وصوت الهرة فى هذه الحال يحمل الاستجداء والاستغاثة، وهو صوت مميز يدركه العارفون بأصوات الحيوان، ولكن قلب هذه المرأة المتحجر لم يستجب لنداء الهرة، ولم يقبل رجاءها وتوسلها، وبقى الصوت يخفت حتى انقطع، وماتت الهرة تشكو إلى ربها ظلم الإنسان، وقسوته وتحجر قلبه.

لقد كان بإمكان تلك المرأة إن كانت تريد القطة فى

منزلها أن تقدم لها ما يحفظ حياتها من الطعام والشراب، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أننا نؤجر في الإحسان إلى البهائم، فإن أبت أن تقدم لها ما يحفظ حياتها، فعليها أن تخلي سبيلها، وتتركها تنطلق في أرض الله الواسعة، فلن تعدم وجود ما يقيتها، ويحفظ حياتها، خاصة وأن الله قد جعل لها رزقًا فيما يلقيه الناس من بقايا الطعام، وما تصطاده من الحشرات والهوام.

فأخبر النبي ﷺ أن هذه المرأة دخلت النار بسبب ظلمها لتلك الهرة ولقد رأى الرسول ﷺ هذه الهرة وهي تهاجم تلك المرأة في النار، فتُحدث بها خدوشًا في وجهها وجسدها جزاءً على ما صنعت بها في الدنيا[1].

❋ ❋ ❋

(١) حكايات عمو محمود / محمود المصري - الجزء الأول (ص: ٧٠ - ٧١) بتصرف.

وقد ذكر النبى ﷺ قصة هذه المرأة، فقال ﷺ : «دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها، فلم تُطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض».

وقد رأى الرسول ﷺ هذه المرأة التى ربطت الهرة فى النار عندما رأى الجنة والنار فى صلاة الكسوف، ففى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر أن الرسول ﷺ قال: «ودنت منى النار حتى قلت: أى ربٌ وأنا معهم؟ فإذا امرأة تخدشها هرة، قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعًا، لا أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض».

❊ ❊ ❊

الدروس المستفادة:

(١) بيان عِظم وزر الذين يعذبون الحيوان ويعتدون عليه بالضرب والقتل، فقد أُدخلت هذه المرأة النار؛ لأنها تسببت فى موت الهرة.

(٢) يجوز للإنسان حبس الحيوانات من القطط والطيور ونحوها إذا قدم لها طعامها وشرابها، فإن عجز عن ذلك، أو بخل عليها بالطعام، فعليه أن يُخلى سبيلها ويُطلقها فى أرض الله الواسعة، تطلب رزقها بنفسها.

(٣) يُعذَّب الإنسان فى آخرته بمثل ما أساء به، فهذه المرأة تُمثَّل لها القطة فى النار تهاجمها، وتخدش جسدها.

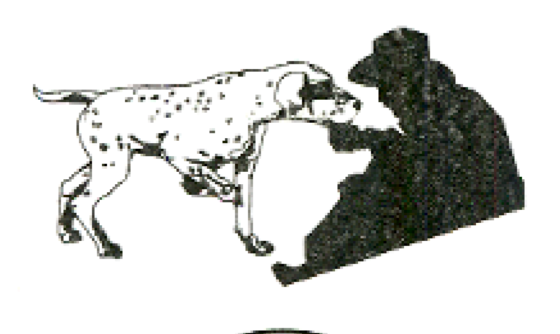


الرجل الذى سقى كلباً فغفر الله له

كان ياما كان... كان فى بنى إسرائيل رجل طيب كريم الأصل وكان يحب السفر والترحال.

وفى يوم من الأيام خرج هذا الرجل إلى الصحراء مسافراً.

وبينما هو فى وسط الطريق إذ اشتد عليه العطش فأخذ يبحث عن الماء فى كل مكان حتى وجد بئراً ولكن الماء الذى فيه كان بعيداً فبحث عن حبلٍ ودلوٍ ليُخرج الماء من البئر فلم يجد... فنزل بنفسه إلى أسفل البئر وأخذ يشرب حتى ارتوى... فحمد الله وصعد من البئر قبل أن تخرج عليه حية فتلدغه أو يحدث له أى مكروه فلما



صعد من البئر وجد كلبًا قد عطش عطشًا شديدًا حتى إنه لشدة عطشه كان يمد لسانه فيضعه على التراب الرطب الذى بجوار البئر ليخفف العطش الذى به.

نظر الرجل إلى الكلب وهو على تلك الحالة الشديدة من العطش فتذكر حاله قبل أن يشرب من البئر.

أخذ الرجل يفكر كيف يسقى هذا الكلب... فلقد نزل بنفسه إلى البئر ليشرب ولكن الكلب لا يستطيع أن ينزل... وليس هناك حبل ودلو لينزع للكلب الماء من البئر فماذا يصنع؟

لم يجد الرجل أى وسيلة لإخراج الماء من البئر إلا بأن يخلع حذاءه وينزل البئر فيملأ الحذاء بالماء ويقدم ذلك الماء للكلب. وبالفعل نزل الرجل إلى البئر ولم يستطع أن يحمل الحذاء فى إحدى يديه لأنه كان يحتاج إلى يديه فى نزول البئر والصعود منه فاضطر لحمل الحذاء بفمه فحمله بفمه ونزل وأحضر الماء فى الحذاء ثم خرج ووضع الماء أمام الكلب فشرب الكلب حتى ارتوى... فشكر الله لهذا الرجل وغفر له ذنبه وأدخله فى رحمته وجنته.

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«بينا رجل يمشى، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلبٍ يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلَغ بى، فملأ خُفَّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم أجرًا؟ قال: «فى كل كبدٍ رطبةٍ أجر»[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣) كتاب المساقاة.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا يحتقر أى عمل صالح... فقد يعمل المسلم عملاً يسيرًا فيكون سببًا فى الفوز برحمة الله وجنته.

(٢) أن المسلم كلما كان مخلصًا فى عمله فإن الله يتقبل منه هذا العمل ويجزيه عليه خيرًا فى الدنيا والآخرة... وقد رأينا كيف أن هذا الرجل كان مخلصًا لأنه سقى كلبًا فى صحراء ولا يراه أحد إلا الله (جل وعلا)... بل إنه كان من الممكن أن يموت وهو ينزل البئر مرة أخرى ليأتى بالماء للكلب ومع ذلك نزل ابتغاء مرضاة الله -جل وعلا.

(٣) أن المسلم لابد أن يكون رحيمًا حتى يرحمه الله (جل وعلا). فقد قال النبى ﷺ: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

فلا بد أن يكون المسلم رحيمًا بالناس من حوله وبالدواب أيضًا وبكل ما فى الكون.

(٤) أن يشكر المسلم ربه (جل وعلا) على نعمه التى لا تُعد ولا تُحصى.

فإن هذا الرجل لما شرب بعد العطش الشديد ورأى الكلب يلهث من شدة العطش أحس بنعمة الله عليه أن سقاه فشكر نعمة الله بأن سقى ذلك الكلب.

❊ ❊ ❊

الرجل الذى أمر أولاده أن يحرقوه بعد موته

كان ياما كان... كان هناك رجل من بنى إسرائيل وكان يحب أولاده حبًا جمًا وكان يُغدق عليهم بكل أنواع النعيم والملذات الدنيوية. ولكن هذا الرجل لم يعمل خيراً ولا أى طاعة تُرضى الله عز وجل بل كان مسرفًا على نفسه فى ارتكاب المعاصى والسيئات.

وفى يوم من الأيام أصيب هذا الرجل بمرضٍ شديد واستمر معه المرض مدة من الزمان حتى أحسَّ أن أجله قد اقترب وأنه سيموت قريبًا، جمع أولاده وأمرهم بشىء أن يفعلوه... وهددهم إن لم يفعلوا هذا الشىء فسوف يحرمهم من ماله وثروته وذلك بأن يعطى أمواله لغيرهم... فوعدوه بأن ينفذوا كل ما يطلب منهم.

ولكن... يا تُرى ما هو الشىء الذى طلبه منهم؟

لقد طلب هذا الرجل من أولاده طلبًا عجيبًا فقال

لهم: إذا أنا متُّ فاجمعوا لى حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا حتى إذا أكلت النار لحمى ووصلت إلى عظمى، فخذوا عظامى فاطحنوها وانتظروا حتى إذا كان يوم ريح عاصف، فألقونى فى الهواء لتحملنى الرياح فوق الجبال وعلى الأرض وفى البحار.

فتعجب أولاده وسألوه: ولماذا نفعل ذلك يا أبتاه؟

قال: لأنى أسرفت على نفسى كثيرًا وارتكبت ذنوبًا تُغضب الله فوالله لئن قدر الله علىَّ ليعذبنى عذابًا لم يُعذبه أحدًا من العالمين.

فأعطوه العهود والمواثيق على أن ينفذوا وصيته.

ومات الرجل فأحضروا له حطبًا كثيرًا وأحرقوه حتى إذا صار كالفحم طحنوه... ولما كان يوم ريح عاصف ألقوه فى مهب الريح فانتشر الرماد فى البحار وعلى الأرض والجبال.

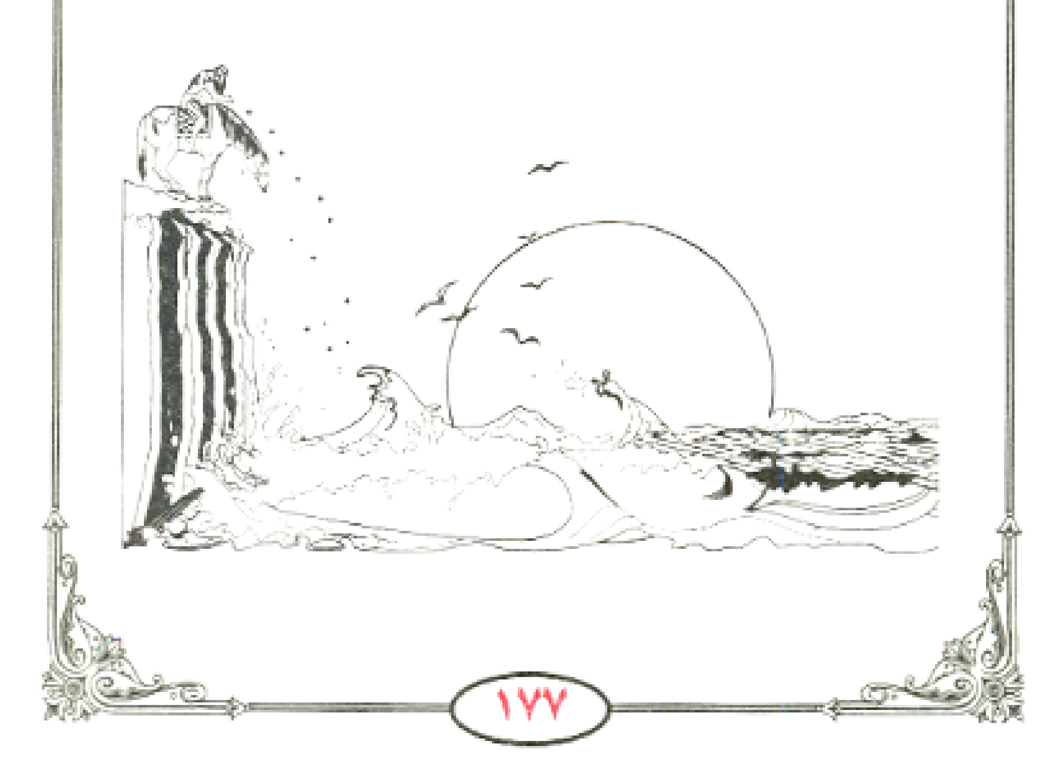


فأمر الله جل وعلا الأرض والبحار والجبال بأن تجمع ذراته ثم قال تعالى لتلك الذرات كونى فلانًا - يعنى: هذا الرجل - فإذا هو قائم بشحمه ولحمه بين يدى الله عز وجل.

فقال له الله عز وجل: ما الذي جعلك تفعل هذا؟

قال الرجل: من خشيتك يا ربِّ.

فغفر الله له ذنوبه بمخافته منه.. وعذَرَه فى ظنه - أى عدم قدرته على إعادته - لأنه لم ينكر ذلك وإنما قال ذلك جاهلاً.



* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة، فقال ﷺ :

«أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا متُّ فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم أذروني[1] في البحر، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذَّبه أحدًا، ففعلوا ذلك به، فقال الله للأرض: أدِّ ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك»[2].

* * *

(١) أذروني: يعني: طيِّروا رمادي في الجو.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

الدروس المستفادة :

(١) الخوف من الله من أعلى مقامات الصالحين، يغفر الله به الذنوب الكثيرة، فقد غفر الله لهذا الرجل ذنوبه العظيمة لما وقع في قلبه من مخافة ربه .

(٢) قد يعذر الله المرء بجهله كما عذر هذا الذي ظن أن الله لا يقدر عليه إن ذرى أولاده رماده في يوم عاصف .

(٣) قدرة الله - تبارك وتعالى - على البعث والإحياء، فقد أمر الله الأرض والبحر بجمع ما تفرق من ذرات رماده، وأمر الله تلك الذرات فعاد ذلك الرجل كما كان، وكذلك يحيي الله في يوم القيامة الخلائق بعد أن بليت عظامهم، وتقطعت أوصالهم .

(٤) لا يجوز تكفير العباد بالذنوب، فالمؤمن المذنب الذي لم يتب أمره إلى الله؛ إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له .

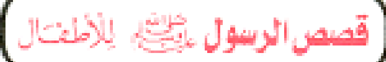
(٥) العاصي المسرف على نفسه في الذنوب قد يكون مُحبًا لأولاده، حريصًا على رعايتهم، وتقديم الخير لهم،

فقد أقر أبناء هذا الرجل أن أباهم كان خير أب لهم.

(٦) كـــان الواجب عـلى أولاد هذا الـرجل أن لا يطيعـوه، فلا طاعة لمخلوق فى مـعصيـة الخالق، وأبوهم أمرهم بمعصية[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح القصص النبوى د./ عمر الأشقر (ص: ٢٣٤-٢٣٥).



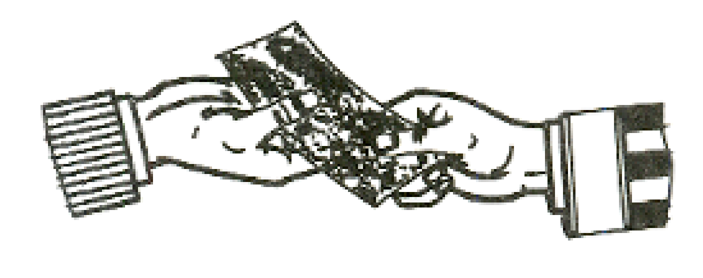
الرجل الذى تجاوز الله عنه لتجاوزه عن عباد الله

كان ياما كان... كان هناك رجل صالح اسمه عبد الرحمن وكان هذا الرجل تاجرًا مشهورًا وكان يحمل قلبًا رحيمًا فكان يعطف على الفقراء والمحتاجين ويقرضهم من أمواله ويصبر عليهم.

* وفى يوم من الأيام طرق بابه رجل وطلب منه أن يُقرضه مبلغًا من المال ليتاجر به لأنه خسر ماله كله فى التجارة.

فأعطاه عبد الرحمن كل ما يريد وحدد معه موعدًا لسداد الدَّين.

* وجاءه رجل آخر فطلب منه أن يقرضه مبلغًا ليتزوج



به فأعطاه عبد الرحمن وحدد معه موعدًا لسداد الدَّين.

* وجاءه رجل ثالث وطلب منه أن يقرضه مبلغًا ليدفع به تكاليف العلاج لأمه وأبيه.

فأعطاه عبد الرحمن وحدد معه موعدًا لسداد الدَّين.

* وهكذا جاءه عدد كبير من الناس فاقترضوا منه وحدد معهم موعدًا لسداد الدَّين.

* ولما جاء موعد سداد الدَّين أرسل عبد الرحمن غلمانه ليجمعوا له أمواله وأوصاهم وصية عظيمة فقال لهم: إذا رأيتم رجلاً معسرًا لا يستطيع أن يدفع ما عليه فتجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا... فكان يتجاوز عن الناس فأكرمه الله بسبب ذلك فتجاوز عنه وأدخله الجنة.

* ولقد أخبر النبي بقصة هذا الرجل دون ذكر الاسم والتفاصيل التى ذكرتها لتبسيط القصة لحبايبي الحلوين.

قال ﷺ: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه» (1).

---

(1) أخرجه البخاري (2078) كتاب البيوع.

* وروى البخارى فى صحيحه عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خيرٍ؟ قال: ما أعلم. قيل له: انظر. قال: ما أعلم شيئًا، غير أنى كنت أبايع الناس فى الدنيا وأجازيهم، فأُنظر الموسر، وأتجاوز عن المُعسِر، فأدخله الله الجنة»[1].

* * *

(١) أخرجه البخارى (٣٤٥١) كتاب أحاديث الأنبياء.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم ينبغي أن يكون رحيمًا بإخوانه المسلمين وأن يساعدهم على تفريج همهم وكربهم إن استطاع ذلك... وله الأجر والثواب عند الله -جل وعلا.

(٢) إذا اقترض أحدٌ منك مالاً ولم يستطع أن يرده إليك فتجاوز عنه ولا تضيق عليه فإن الله يتجاوز عنك يوم القيامة.

(٣) إن استطعت أن تعفو عمن اقترض منك مالاً وتسامحه فاعف عنه واحتسبه عند الله صدقة.

(٤) أن رحمه الله واسعة... فبالعمل القليل الذى عمله هذا الرجل نال هذا الأجر العظيم وتجاوز الله عنه.

(٥) إذا أنظرت معسرًا فأنت فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسرًا أو وضع له؛ أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله».





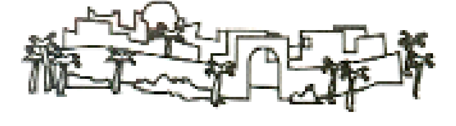
الرجل الذى أحبه الله لحُبّه لأخيه

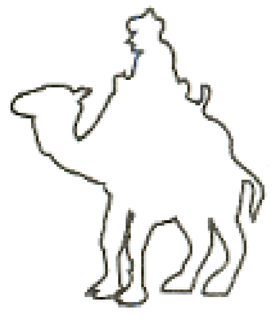
كان ياما كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان . . . كان هناك رجل طيب القلب يحب الناس من حوله ويتمنى لهم الخير .

فإذا سمع أن أحد إخوانه قد مرض فإنه يزوره . . . وإذا علم أنه يحتاج إلى المال أعانه وساعده .

وفى يوم من الأيام تذكر أحد إخوانه فى إحدى البلاد البعيدة فقد انقطعت عنه أخباره منذ فترة طويلة .

فقرر أن يسافر إليه ليطمئن عليه على الرغم من طول المسافة ومشقة السفر .





خرج هذا الرجل فى هذه الرحلة الطويلة الشاقة لزيارة أحد إخوانه الذين يحبهم فى الله.. وعندما اقترب من القرية قابله مَلَكٌ فى صورة رجل فقال له الملك: إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل؟

فقال له: ذاهب لزيارة أحد إخوانى الذين أحبهم فى الله.

قال له الملك: هل لك مصلحة تريد أن يقضيها لك..

قال له: لا.. ليس لى مصلحة..

قال له الملك: هل لك دَين تريد أن تأخذه منه..

قال له: لا.. ليس لى دَين عنده..

قال له الملك: إذًا لماذا تريد أن تذهب إليه؟

قال له: إنه صديقى.. وأنا أحبه حبًّا شديدًا.. فقد جئت من قريتى لأطمئن عليه..

قال له الملك: إذًا أبشر أيها الرجل الطيب.. فإن الله يحبك كما تحب أنت صاحبك..

فأنا رسول الله من الملائكة وقد أمرنى ربى أن أخبرك بهذا.

* ولقد ذكر النبيُّ ﷺ هذه القصة بدون التفاصيل التى ذكرتها لتبسيط القصة لحبايبى الحلوين.

* أخبر النبى ﷺ:

«أن رجلاً زار أخًا له فى قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟

قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أنى أحببته فى الله عز وجل، قال: فإنى رسولُ الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

الدروس المستفادة:

(١) فضل الحبّ في الله والتزاور في الله، فإن الله أحب هذا الرجل لحبه لأخيه ورحلته إليه لزيارته.

(٢) مشروعية السفر لزيارة الأخ لأخيه في الله.

(٣) قد يرسل الله إلى بعض عباده ملائكة لإبلاغهم بعض الأمور، دون أن يكونوا من الأنبياء أو المرسلين.

(٤) قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر، فالملك جاء ذلك الرجل في صورة رجل، لا في صورته الملائكية.

(٥) فضل الإخلاص، فإن هذا الرجل نال ما ناله لحبه لذلك الأخ في الله، لا من أجل إنعامه عليه، ولا من أجل مصالح بينه وبينه.

❊ ❊ ❊

قصة المذنب والمجتهد

كان ياما كان... كان في بني إسرائيل رجلان متواخيان - أي: صديقان متآخيان - وكان أحدهما نشيطًا ومجتهدًا في عبادة الله جل وعلا فكان يصلي ويصوم ويذكر الله ويفعل الخيرات.

وكان الآخر مقصرًا في طاعة الله جل وعلا فكان لا يصلي ولا يصوم ولا يذكر الله إلا قليلاً.

وكان هذا الرجل المجتهد يرى صاحبه يرتكب الذنوب والمعاصي فكان ينكر عليه بشدة ولم يكن رحيمًا في إنكاره عليه.

فكان هذا الرجل المذنب في غاية الضيق والضجر من صاحبه الذي كلما مر عليه أنكر عليه كل ما يفعله.

وفي يوم من الأيام مر الرجل المجتهد على صديقه المذنب فوجده مقيمًا على ذنب فأنكر عليه بشدة.

فقال المذنب: خلني وربي أبُعثت عليَّ رقيبًا؟

فتجرأ المجتهد وقال كلمة أهلكت عليه دنياه وآخرته... قال له: والله لا يغفر الله لك أو لا يُدخلك الجنة.

وما كان لهذا العابد المجتهد أن يقول هذه الكلمة لأن الجنة والمغفرة بيد الله وليست بيد أحد من البشر.

فمات بعد فترة العابد المجتهد والمذنب العاصي فاجتمعا عند رب العالمين ووقفا بين يديه.

فقال الله لهذا الرجل المجتهد موبخًا ومؤنبًا له: أكنت بي عالمًا أو كنت على ما في يدي قادرًا.

وأمر الملائكة بأن يأخذوه إلى النار ثم أمر الحق جل وعلا بإدخال المذنب الجنة.

* * *

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فذكر: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٨) كتاب البر والصلة والآداب.

* وفي رواية أخرى عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يُذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصِر.

فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر. فقال: خَلِّني وربي أبُعثت عليَّ رقيبًا؟

فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يُدخلك الله الجنة.

فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب، فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلَّم بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته[1].

* * *

(١) رواه أبو داود وأحمد وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٤٥٥).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم يجب عليه إذا وجد أخاه على معصية أن ينصحه بالرفق واللين والرحمة حتى لا ييأس من رحمة الله وحتى لا تأخذه العزة بالإثم فيستمر على معصية الله.

(٢) على المسلم أن يحذر من أن يتعدى حدوده... فالمسلم عبدٌ لله ولا يجوز للعبد أن يحكم على عباد الله ويقول: هذا فى الجنة وهذا فى النار.. وهذا سيغفر الله له وهذا لن يغفر الله له.. فإن هذا كله لا يكون لعبد من عباد الله وإنما هذا يكون لله وحده فهو الذى يملك المغفرة والرحمة والجنة وكل شيء فى هذا الكون.

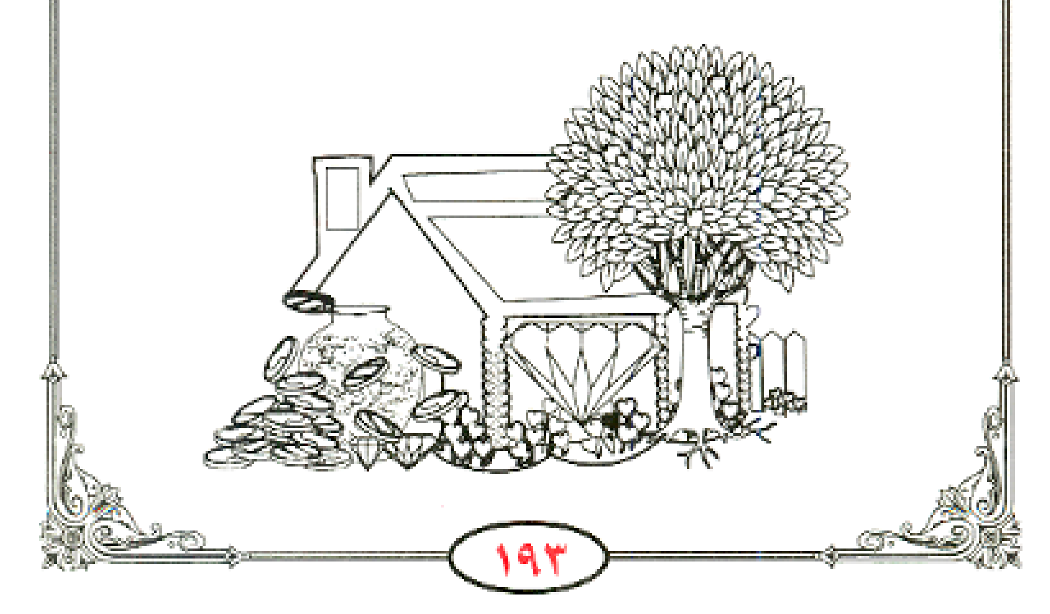
(٣) فى هذه القصة دليل لمن يقول بأن الله قد يغفر الذنوب من غير توبة إن شاء... كما غفر لهذا العاصى مع أنه لم يتب.

(٤) الخوف من سوء الخاتمة... فقد دخل العابد النار... ودخل العاصى الجنة.

قصة جرة الذهب

كان ياما كان.. كان هناك رجل طيب اسمه باسم يعيش في إحدى القرى الريفية وكان يحب الزراعة ويتمنى أن يعمل بها.. فجمع كل أمواله وعزم على أن يشترى أرضًا ليزرعها.

ظل يسأل أهل قريته عن أى رجل يريد أن يبيع أرضًا زراعية فأخبروه أن هناك رجلاً فى آخر القرية اسمه أحمد يريد أن يبيع أرضه فذهب إليه وسلم عليه فرد عليه السلام.



فقال له باسم: لقد جئت إليك لأشترى منك الأرض.

فقال له أحمد: مرحبًا بك يا باسم.. إن كنت قد جئت لتشترى الأرض، فلا بد أن تراها أولاً، فإذا أعجبتك فسوف أبيعها لك فى أى وقت شئت.

* فذهب معه باسم، فرآها فأعجبته فاشتراها من أحمد.

* وفى اليوم التالى أخذ باسم يعمل فى الأرض ليزرعها حتى يرى فيها ثمرة جهده وتعبه وليأكل منها هو وأسرته.

وبينما هو يحفر في الأرض بالفأس إذ سمع صوت شيء اصطدم الفأس به... فظل يحفر حول هذا الشيء حتى وجد جَرة قديمة فأخرجها وفتحها فوجدها مملوءة ذهبًا ففرح بالجرة وقال: كنز كنز.. إنه كنز كبير.

وظل يقول لنفسه: ماذا سأفعل بهذا الكنز؟

ثم قال لنفسه: هذا الكنز ليس من حقى.. إنه من حق أحمد الذى باع لى هذه الأرض.. ولابد أن أذهب إليه لأعطيه هذه الجرة بكل ما فيها من الذهب.

* ذهب باسمٌ بتلك الجرة إلى أحمد وحكى له ما حدث وأخبره أنه وجد هذا الكنز فى الأرض التى اشتراها منه وقال له: خذ هذه الجرة فهى من حقك أنت.

فقال أحمد: ولكنى بعت لك الأرض بما فيها فخذ أنت هذه الجرة فهى من حقك أنت.

فقال له باسم: بل هى من حقك أنت...

* ورفض كلٌ منهما أن يأخذ الجرة؛ لأنه يعتقد أنها من حقّ الآخر.

* وبعد مناقشات طويلة قرر الاثنان أن يذهبا إلى رجل حكيم ليحكم بينهما.

* فلما ذهبا إليه وأصرَّ كل واحد منهما على أن الجرة من حق الآخرِ قال هذا الرجل الحكيم: هل عندكما أولاد؟

قال باسم: عندى بنت.

وقال أحمد: عندى ولد.

فقال الرجل الحكيم: أنكحوا البنت للولد وأنفقوا عليهما من هذا الكنز.

فوافق الرجلان على هذا الرأى وعاش الجميع فى سرور وسعادة.

ولقد ذكرها النبى ﷺ بدون التفاصيل التى ذكرتها لتبسيط القصة لحبايبى الحلوين.

فقال ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرَّة فيها ذهب، فقال له الذى اشترى العقار: خذ ذهبك منى، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب.

وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجلٍ، فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لى غلام، وقال الآخر: لى جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدَّقا»[1].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخارى (٣٤٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء ومسلم (١٧٢١) كتاب الأقضية.

الدروس المستفادة:

(١) يجب على المسلم أن يحرص على العمل من أجل إعمار الأرض وخدمة بلده والإنفاق على أهله وأولاده... فقد رأينا كيف أن هذا الرجل (باسم) كان حريصًا على أن يشترى أرضًا ليزرعها وليأكل هو وأولاده من ثمارها.

(٢) أن المسلم لا يجعل المال غاية يسعى إليها بل هو وسيلة يستطيع من خلالها أن يعيش هو وزوجته وأولاده حتى لا يسأل الناس شيئًا... ولقد رأينا كيف أن الرجلين تنازعا من أجل الهروب من الذهب وليس من أجل الحصول على الذهب.. فكان كلٌّ واحد منهما يريد أن يعطى الذهب لأخيه.

(٣) أن المسلم إذا وجد شيئًا لا يخصه أو وجد شيئًا يشك فى أنه من حقه، فعليه أن يعيده لأصحابه فى التوِّ واللحظة.

(٤) أن من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه... ولقد رأينا كيف أن كلًّ واحد منهما لما ترك الذهب

لصاحبه عاد الذهب إليهما لينفقاه على أولادهما... بل وفوق ذلك كان ذلك الموقف سببًا فى التقارب بين الأسرتين فيتزوج ابن أحمد ببنت باسم ويصبح الجميع أسرة واحدة.

* * *

قصة الرَّحَى التى تطحن

كان ياما كان .

كان هناك رجل مؤمن فقير يعيش مع زوجته المؤمنة التقية فى كوخ صغير وكانا يحمدان الله على كل حال .

وفى يوم من الأيام نفد الطعام من البيت ولم يجدا طعامًا لمدة أيام فلما اشتد الجوع خرج الرجل من البيت ولم يطق أن يمكث فى البيت لشدة الجوع .

وهنا جلست زوجته المؤمنة التقية فى كوخ صغير وكانا يحمدان الله على كل حال .

وفى يوم من الأيام نفد الطعام من البيت ولم يجدا طعامًا لمدة أيام فلما اشتد الجوع خرج الرجل من البيت ولم يطق أن يمكث فى البيت لشدة الجوع .

وهنا جلست زوجته المؤمنة لتدعو ربها (جل وعلا) وتسأله أن يرزقها طحينًا لتعجنه عجينًا وتخبزه من أجل أن تأكل هى وزوجها .

وظلت تدعو وتدعو وتبكى إلى أن استجاب الله دعاءها ورزقها طحينًا مباركًا.

وبعد فترة عاد زوجها إليها فلما دخل رأى شيئًا عجيبًا.. لقد رأى الإناء الكبير قد امتلأ عجينًا .. ورأى الرَّحى التي يطحنون بها الحب تدور وتطحن الحب .. ورأى الفرن قد امتلأ باللحم المشوى.

فقال لزوجته: من أين هذا؟

قالت: هذا رزق ساقه الله إلينا.

ففرح زوجها وقام يكنس الطحين الذى حول الرحى.

* وقد أخبرنا الرسول ﷺ: أن هذا الرجل لو ترك الرحى تطحن لبقيت كذلك إلى يوم القيامة.



* وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«أصاب رجلاً حاجة، فخرج إلى البرية، فقالت امرأته: اللهم ارزقنا ما نعتجن وما نختبز، فجاء الرجل والجفنة ملأى عجينًا، وفي التنور الشواء، والرحى تطحن، فقال: من أين هذا؟ قالت: من رزق الله، فكنس ما حول الرحي»، فقال رسول الله ﷺ : «لو تركها لدارت أو طحنت إلى يوم القيامة»(١).

* * *

(١) أورد الشيخ ناصر الدين الألباني هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٥١/٦) ورقمه: ٢٩٣٧ .

الدروس المستفادة:

(١) أن الواجب على المسلم أن يصبر على الفقر والابتلاء حتى يفوز بالأجر والثواب.

(٢) أن المسلم إذا أصابه بلاء فلا بد أن يلجأ إلى الله (جل وعلا) وأن يكثر من الدعاء وأن يُحسن الظن بالله أنه سيُفرج عنه ذلك الكرب والبلاء.

(٣) أن الله رحيم بعباده يستحى إذا رفع العبد يديه بالدعاء أن يردهما صفرًا خائبتين.

(٤) إثبات كرامة الأولياء .. فإن الذى حدث هذا كرامة لهذه المرأة الصالحة وزوجها.

(٥) إن بعض الناس قد ينكر مثل هذا الخبر، زاعمًا أن العقل يرفضه، ونسى هؤلاء أن هذا رزق رزقه الله لبعض عباده الصالحين كرامة لهم، والله على كل شىء قدير.

وقد وقع للرسول ﷺ وأصحابه وقائع كثيرة، كثَّر الله فيها طعامهم وشرابهم، فأكلوا وشربوا وهم

كثيرون من طعام وشراب لا يكفى إلا القليل من الناس.

(٦) أن العبد إذا رزقه الله بنعمة فلا بد أن ينسب الفضل لله (جل وعلا).

❋ ❋ ❋

الذين أحيا الله لهم ميتًا

كان يا ما كان.

كان هناك جماعة من بنى إسرائيل أرادوا أن يعرفوا شيئًا عن الموت وشدته، فخرجوا سويًا حتى أتوا إلى مقبرة من المقابر، فاقترح بعضهم أن يُصلُّوا ركعتين، ثم يدعوا الله (عز وجل) لكى يُخرج لهم أحد الموتى المدفونين فى تلك المقابر لكى يسألوه عن الموت ويخبرهم عما رآه من أجل أن يزدادوا علمًا ويقينًا.

* وفى الحقيقة أن العبد إذا جلس مع نفسه وتذكَّر أحوال الموت والسكرات وما يحدث فى القبور من نعيم أو عذاب فإنه يتأثر كثيرًا وقد يكون ذلك سببًا فى إقباله على الطاعة وبُعده عن المعصية.

وإذا شهد المرء إحياء الموتى، وخاطبهم وخاطبوه، فإن إيمانه يزداد إن أراد الله به الخير، ورزقه قلبًا مُنيبًا مُخبتًا، وقد شاهد كثير من الناس عبر القرون إحياء الموتى، فقتيل

بنى إسرائيل ضربه قومه ببعض البقرة التى أمرهم الله بذبحها، فأحياه الله، وأخبر عن قاتله.

والذى مرَّ على قرية وهى خاوية على عروشها، وتعجَّب من إحياء الله هذه القرية بعد موتها، أماته الله وحماره مائة عام، ثم أحياه الله، فنظر إلى العظام كيف ينشزها الله، ثم يكسوها لحمًا، فإذا اكتمل الخلق، عادت إليه الروح.

وأمر الله إبراهيم عليه السلام عندما سأله أن يريه كيف يحيى الموتى أن يقطع أربعة طيور بعد ذبحها، ويفرقها على رؤوس الجبال، ثم يدعوها، فإذا بأجزائها تتجمع، وتُرد إليها أرواحها، وتنطلق مُسبِّحة ربها.

وقد شاهد الناس فى زمن عيسى إحياءه للموتى، وأحيا الله الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوفٌ حَذَرَ الموت، بعد موتهم.

ومن ذلك إحياء هذا الميت الذى أحياه الله بعد طلب هؤلاء الرفقة من بنى إسرائيل أن يحيى الله لهم ميتًا ليسألوه عن الموت.

* وقد استجاب الله دعاءهم فقام رجل ميت فأخرج لهم رأسه من قبره، وقد وصف الرسول ﷺ ذاك الرجل، كأنما كان حاضرًا معهم، فقد كان أسمر اللون، بين عينيه أثر السجود، فناداهم وخاطبهم مُنكرًا عليهم ما فعلوه به، فقد أخبرهم أنه مات منذ مائة عام، ولم تسكن حرارة الموت عنه حتى كان هذا الوقت الذى أحياه الله فيه، وطلب منهم أن يدعوا ربهم كى يُعيده كما كان.

* * *

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«خرجت طائفة من بنى إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين، ودعونا الله عز وجل أن يُخرج لنا رجلاً ممن قد مات نسأله عن الموت، قال: ففعلوا فبينما هم كذلك؛ إذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك المقابر، خلاسيٌّ(1)، بين عينيه أثر السجود، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلىَّ؟ فقد مِتُّ منذ مائة سنة، فما سكنت عنى حرارة الموت حتى كان الآن، فادعوا الله عز وجل لى يعيدنى كما كنت»(2).

(1) خلاسى: أسمر اللون، يقال: ولدٌ خلاسى، إذا ولد بين أبوين: أبيض وأسود.
(2) أورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (١٢٠٩).

الدروس المستفادة:

(١) أنه يُستحب للمسلم أن يُكثر من ذكر الموت حتى لا يتعلق قلبه بالدنيا.

قال ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يذكره أحدٌ في ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه»(١).

(٢) حب الإنسان لمعرفة الغيب.

(٣) مشروعية التحديث عن أخبار بني إسرائيل وقصصهم، فإن كانت هذه الأخبار توافق ما جاء في الكتاب والسنة، فلا إشكال في التحدث بها، وإن كان مما يتناقل في الكتب، فإن كان يتضمن ما يخالف ما ثبت عندنا في حق الله وفي حق رسله، فلا يجوز التحدث به، إلا مُبيِّنًا ما فيه من التحريف، وإن كان خبرًا مجردًا فلا بأس بالتحدث به.

(٤) قدرة الله على إحياء الموتى، فقد أحيا لأولئك النفر ذلك الرجل الذي حدثهم عن الموت.

---

(١) رواه البيهقي وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢١١).

(٥) يُستحب لمن أراد أن يدعو بأمر عظيم أن يصلى قبل دعائه ركعتين، كما فعل الذين قَصَّ علينا الرسول ﷺ قبل دعائهم.

(٦) إثبات الكرامة للصالحين من عباد الله فقد أحيا لهم رجلاً أخبرهم عن الموت.

(٧) قد يجيب الله دعوة الصالحين، وإن كان في إجابتهم وقوع أمور مخالفة للمعهود من أمور البشر[١].

* * *

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ١٨٥، ١٨٦) بتصرف.

قصة النبى الذى أحرق قرية النمل

يحكى لنا النبى ﷺ قصة نبى من الأنبياء كان فى سفر طويل فأحسَّ بشىء من التعب فأراد أن يستريح تحت ظل شجرة ليتقى بظلها حرارة الشمس وليستريح جسده من عناء السفر.

وكان بجوار المكان الذى نزل فيه هذا النبى الكريم قرية من قرى النمل.

ولعل نزول هذا النبى وقومه فى أرض قرية النمل أزعج النمل وذلك لأن النمل يحب أن يعيش آمنًا فى مملكته.

ومن المعلوم أن النمل يهاجم كل من يعتدى عليه أو على مملكته .. ولذلك قامت نملة وتوجهت إلى هذا النبى الكريم وقرصته.

ونحن نعلم أن النبى قد يغضب كما يغضب البشر.. وقد يفعل أحيانًا شيئًا ثم يندم عليه .. ومن ذلك ما

حدث من هذا النبى الكريم فإنه لما قرصته النملة غضب غضبًا شديدًا وعزم على أن يعاقب قرية النمل كلها.

فأمر هذا النبى أتباعه بإخراج متاعه من تحت تلك الشجرة ثم أشعل النار فى قرية النمل كلها .. فأحرقت تلك النار كل النمل الذى كان فى قرية النمل .. سواء من كان يتجول فى القرية أو من كان داخل جُحره فى باطن الأرض.

وقد كان العدل يقتضى فى تلك اللحظة ألا يؤخذ البرىء بذنب المسىء وإن كان لا بد من العقاب فلا ينبغى أن تُعاقَب إلا النملة التى أخطأت وقرصت هذا النبى الكريم.

* ولذلك عاتب الحق (جل وعلا) هذا النبى الكريم على أنه أحرق قرية النمل وذلك لأنه اعتدى فى العقوبة فعاقب البرىء بذنب المذنب وقتل أمة كانت تُسبح الله (جل وعلا) .. فأوحى الله إليه: هلا نملة واحدة ..

يعنى: يا ليتك عندما أردت المعاقبة أن تكتفى بمعاقبة نملة واحدة.

وأوحى إليه أيضًا: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح الله؟!

يعني: ما كان ينبغي أن تقتل أمَّة من الأمم تُسبح الله (جل وعلا) بسبب أن قرصتك نملة واحدة.

❋ ❋ ❋

❋ ولقد ذكر النبي ﷺ قصة هذا النبي ﷺ فقال: «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه[1] فأُخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأُحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة»[2].

وفي رواية عند مسلم عن أبي هريرة: «أن نملة قرصت نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟!!»[3].

❋ ❋ ❋

---

(١) جهازه: أي متاعه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢١٩) كتاب بدء الخلق.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٤١) كتاب السلام.

الدروس المستفادة:

(١) أن الأنبياء قد يحدث لهم أحيانًا ما يحدث لسائر البشر من التعب أو الغضب لكنهم إن أخطؤوا في أمرٍ يسير فإنهم لا يصرون أبدًا على الخطإ بل يرجعون ويتوبون فهم معصومون من الكبائر ومعصومون أيضًا من الإصرار على الأخطاء والصغائر.

(٢) أخبر الحديث أن النمل أمة من الأمم، وقد أخبرنا الله أن المخلوقات من الطيور والحيوانات كلها أمم أمثالنا ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾(١).

(٣) أنه لا يجوز قتل النمل كما لا يجوز قتل بقية الحيوانات إلا المؤذى منها.

ولذلك جاء فى الحديث أن النبى ﷺ نهى عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصُّرد.

ويُستثنى من الحيوانات التى لا يجوز قتلها الفواسق الخمس، فإنهن يُقتلن فى الحِلّ والحرم، والفواسق الخمس كما ورد فى حديث رواه البخارى فى صحيحه هن:

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٣٨).

الفأرة، والعقرب، والغراب، والحديا [1]، والكلب العقور [2].

وأمر الرسول ﷺ علاوة على الفواسق الخمس بقتل الوزغ، وأخبر أن في قتله أجرًا [3]، وكذا أمر بقتل الحيات إلا حيات البيوت، فلا تُقتل حتى تؤذن ثلاثًا، فإن رؤيت بعد ذلك قُتلت، واستثنى من ذلك نوعين من الحيات هما الأبتر وذو الطفيلتين فإنهن يُقتلن مطلقًا، ولو كُن من سكان البيوت؛ لأنهن يُسقطن ولد الحامل، ويُذهبن البصر [4].

(٤) أن التحريق بالنار لأى كائن حى لا يجوز فى شريعة الإسلام.

وقد ذكر النبى ﷺ العلة فى ذلك بأنه لا يعذب بالنار إلا ربُّ النار... ولعل هذا الفعل كان جائزًا فى الشرائع التى قبلنا ولذلك حرَّق هذا النبى قرية النمل ولم

---

(١) الحديا: المعروفة باسم الحداية.

(٢) صحيح البخارى: ٦/٣٥٥، ورقمه: ٣٣١٤.

(٣) انظر الأحاديث الآمرة بقتله فى صحيح مسلم: ٤/١٧٥٧، ورقمه: ٢٢٣٧ - ٢٢٤٠ - والوزغ هو البرص المعروف.

(٤) انظر الأحاديث الواردة بشأن الحيات فى صحيح مسلم: ٤/١٧٥٤.

يعاتبه الله على الحرق وإنما عاتبه على أنه عاقب البريء بذلك المسيء وأنه قتل أُمَّة تُسبح الله (جل وعلا).

(٥) أن النمل يسبح الله (جل وعلا) .. وليس النمل وحده بل الكون كله يسبح الله.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

عيسى (عليه السلام)
يُكذب عينيه ويصدق السارق

إنها قصة صغيرة جداً لكنها عجيبة جداً .. فهى قصة توضح لنا كيف كان أنبياء الله (صلوات ربى وسلامه عليهم) يعرفون قدر الله ويُعظمونه غاية التعظيم.

يحكى لنا النبى ﷺ أن نبى الله عيسى (عليه السلام) كان يسير يومًا فى أحد الطرقات .. وإذا به يرى منظرًا عجيبًا .. يا تُرى ما هو؟

لقد رأى رجلاً يسرق .. نعم رآه بعينيه .. ولكنه لما سأل هذا الرجل وقال له: أسرقت؟

إنه يسأله ولا يحتاج إلى سماع إجابته لأنه رآه وهو يسرق.

ومع ذلك سأله: أسرقت؟

وكانت الإجابة المنتظرة: نعم .. سرقت وسوف أتوب إلى الله (جل وعلا).

لكن الذى حدث أن اللص قال لنبى الله عيسى (عليه السلام): كلا والله الذى لا إله إلا هو.

فلما سمعه عيسى (عليه السلام) يحلف بالله كاذبًا كان الله فى قلب عيسى (عليه السلام) أعظم من أن يحلف به أحدٌ كاذبًا فقال له عيسى (عليه السلام): آمنت بالله وكذبت عينى.

❋ ❋ ❋

❋ ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ كما فى الصحيحين: «**رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذى لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله وكذَّبت عينى**».

❋ ❋ ❋

الدروس المستفادة:

(١) أن السرقة حرام .. وأن السارق سيعاقبه الله إن لم يتب ويرد المظالم إلى أهلها.

(٢) أن المسلم إذا رأى رجلاً يسرق فعليه أن يُذكره بالله (جل وعلا) .. وإن استطاع أن يساعده على أن يجد عملاً حلالاً فإن ذلك من أعظم الأعمال التى يتقرب بها العبد إلى الله.

(٣) أن المسلم لا بد أن يستحضر فى قلبه عظمة الله (جل وعلا) فلا يحلف بالله كاذبًا أبدًا.

(٤) أن الذى يحلف بالله كاذبًا ليهرب من العقوبة فى الدنيا فإنه لن ينجو من عقاب الله فى الآخرة.

❋ ❋ ❋

قصة الرجل الذى ارتكب الموبقات بشربه الخمر

كان ياما كان.

كان هناك فترة قد مرت على مجتمع بنى إسرائيل قد ساد فيها الفساد الأخلاقى .. وكان هناك فى تلك الفترة ملك من ملوك بنى إسرائيل يُبغض أهل الدين والصلاح ويحب أهل الضلال والفساد.

وفى يوم من الأيام سمع هذا الملك برجلٍ صالح يحب الناس ويحبه الناس جميعًا، فخشى هذا الملك من تأثير هذا الرجل على الناس فى أن يجعل الناس جميعًا صالحين.. وبالتالى فإن ذلك سيؤثر على مُلكه وسلطانه، فأخذ يدبر المؤامرات من أجل أن يفتن هذا الرجل الصالح.

فطلب هذا الملك من امرأة فاسدة أن تفتن هذا الرجل الصالح وعرض عليها أموالاً كثيرة مقابل أن تقوم بهذه المهمة.

أخذت هذه المرأة تفكر فى حيلة تستطيع من خلالها أن تفتن هذا الرجل الصالح .. وأخيرًا توصلت إلى حيلة ماكرة استطاعت من خلالها أن تستدرجه لكى يأتى إليها فى بيتها.

لقد أرسلت المرأة خادمتها لتقول له: إنا ندعوك للشهادة.

ومن المعلوم أن الصالحين لا يرفضون الاستجابة لشهادة الحق ولا يكتمون الشهادة أبدًا لما فى ذلك من الأجر والثواب .. فما كان من هذا الرجل إلا أن ذهب مع هذه الخادمة لبيت سيدتها.

ويبدو أن هذا الرجل لم يكن على دراية بالحيل والمكائد.

فلو أنه كان ذكيًّا لأخذ معه أحد أصحابه أو جيرانه؛ حتى يُفسد على تلك المرأة خطتها.

المهم أنه لما دخل الدار مع الخادمة، أخذت الخادمة تغلق الأبواب خلفه حتى وصل إلى غرفة نوم سيدتها وكانت امرأة فى غاية الحُسن والجمال يقف بجوارها غلام

صغير وتضع على الجانب الآخر زجاجة خمر.

فقالت له هذه المرأة: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتفعل معي الفاحشة أو لتشرب كأسًا من الخمر أو لتقتل هذا الغلام.

ولو كان هذا الرجل ذكيًا لاختار أن يموت على الإيمان بدلاً من أن يفعل شيئًا يُغضب الله (عز وجل).

فما كان منه إلا أنه ظن أن أهون هذه الشرور هو شرب الخمر فاختار أن يشرب الخمر.

فلما شرب الخمر ذهب عقله وأصبح سكرانًا، فقام وقتل الغلام، ثم فعل الفاحشة معها.. كل هذا بسبب شرب الخمر.

ولذلك حذّرنا الرسول ﷺ من شرب الخمر.. وذلك لأن شاربها لا تُقبل له صلاة أربعين ليلة، وإذا مات وفي جسده منها شيء حُرمت عليه الجنة، وإن مات في الأربعين التالية لشربها مات ميتة جاهلية.



* ولقد جاء ذكر هذه القصة في سُنة الحبيب ﷺ . . . عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه، قال: سمعت عثمان رضي الله عنه، يقول: «اجتنبوا الخمر، فإنها أمُّ الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تَعبَّد، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليَّ، أو تشرب من هذه الخمرة كأسًا، أو تقتل هذا الغلام.

قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسًا، فسقته كأسًا، قال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه».

* وعن عبد الله بن عمر، أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ جلسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها علم ينتهون إليه.

فأرسلونى إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أسأله عن ذلك، فأخبرنى: أن أعظم الكبائر شرب الخمر.

فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، ووثبوا إليه جميعًا، حتى أتوه فى داره، فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكًا من بني إسرائيل أخذ رجلاً، فخيَّره بين أن يشرب الخمر، أو يقتل صبيًا، أو يزني، أو يأكل لحم الخنزير، أو يقتلوه إن أَبَى، فاختار أن يشرب الخمر، وإنه لما شربها لم يمتنع من شيء أرادوه منه» وإن رسول الله ﷺ قال لنا حينئذ: «ما من أحد يشربها فتُقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموتَ وفى مثانته منها شيء إلا حُرمت عليه الجنة، وإن مات فى الأربعين مات ميتة جاهلية»[1].

* * *

(1) حديث عثمان رواه النسائى فى سننه: ٨/ ٣١٥ موقوفًا عليه. وهو فى صحيح سنن النسائى: ٣/ ٤٦ . ورقمه: ٥٢٣٦ .

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد صحيح مرفوعًا، انظر تخريجه فى سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٦/ ٤٣٨ . ورقمه: ٢٦٩٥ .

الدروس المستفادة:

(١) حرص الفاسدين على إفساد الصالحين، وإيقاعهم في الموبقات والذنوب، كما فعل الملك وهذه المرأة الغوية بذلك الرجل الذى اتجه إلى الاستقامة.

(٢) لا بد أن يكون المسلم ذكيًّا وأن يحتاط لنفسه من مكائد المجرمين ومن مخططات شياطين الجن والإنس.

(٣) أن المسلم لو خيَّروه بين الموت وبين معصية الله (جل وعلا) لكان ينبغى عليه أن يختار الموت عن أن يقع في معصية الله (جل وعلا).

(٤) أن الخمر أمُّ الكبائر؛ لأنها تجرُّ العبد إلى كل الشرور والمعاصي.

* * *

الرجل الذى أضلته ناقته بأرضٍ فلاة

كان ياما كان... كان هناك رجل صالح يحب السفر كثيرًا وفى يوم من الأيام أخذ هذا الرجل ناقته ووضع عليها طعامه وشرابه وكل ما يحتاج إليه فى سفره هذا.

وانطلق بناقته فى صحراء شاسعة لا ينجو فيها إلا من كان عارفًا بُطرقها.

وكان هذا الرجل قد أخذ معه من الطعام والشراب ما يكفيه فى تلك المدة التى سيقضيها فى سفره.

* وبينما هو فى سفره إذ أحس بشيء من التعب فأراد أن يستريح فنزل من على الناقة ونام تحت ظل شجرة.

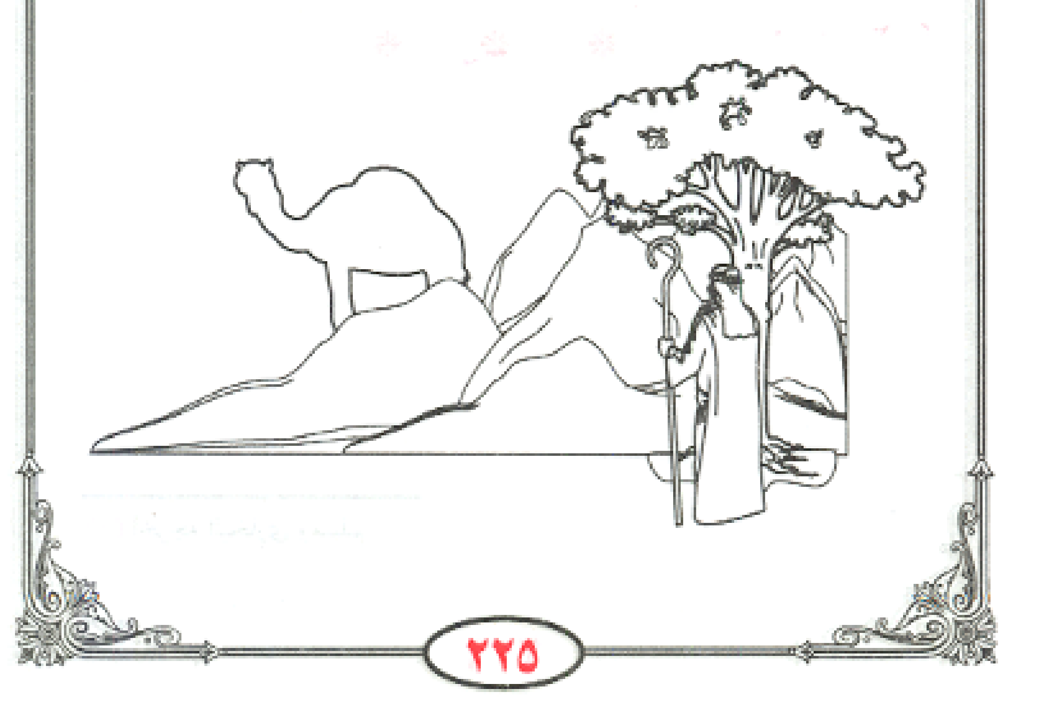
وما أن أغمض عينيه حتى ذهبت الناقة وعليها طعامه وشرابه وماله... فلما قام ولم يجدها فزع فزعًا شديدًا وذلك لأنه إن لم يجد الناقة فسوف يموت من الجوع والعطش بل وقد يخرج عليه وحش مفترس فيأكله.

أخذ الرجل يجرى هنا وهناك يبحث عن ناقته فلم يجدها ثم عاد إلى نفس المكان الذى كان فيه... ومن شدة التعب نام الرجل مرة أخرى... لكنه فى هذه المرة نام وهو ينتظر الموت.

وبينما هو على هذه الحالة الشديدة استيقظ من نومه فوجد الناقة واقفة قريبًا من رأسه ففرح فرحًا شديدًا فقد أحس بأن الله قد كتب له عُمرًا آخر.

فأخذ بخطام الناقة وأراد أن يشكر الله (عز وجل) فأخطأ من شدة الفرح فقال: اللهم أنت عبدى وأنا ربك.

بدلاً من أن يقول: اللهم أنت ربى وأنا عبدك.



* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح -: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»[1].

* * *

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم.

الدروس المستفادة:

(١) أن الإنسان إذا أراد أن يسافر فلابد أن يأخذ معه كل ما يحتاج إليه من الطعام والشراب والملابس وبخاصة إذا كان الطريق ليس فيه أحد كالصحراء وغيرها من الأماكن الموحشة.

(٢) لابد للمسلم أن يأخذ بالأسباب ويحتاط لنفسه... فقد رأينا كيف أن هذا الرجل كاد أن يفقد حياته عندما فقد الناقة.

وكان ينبغي عليه من البداية عندما أراد أن ينام ويستريح تحت الشجرة أن يربط خطام الناقة بالشجرة حتى لا تهرب.

(٣) إذا كتب الله النجاة لعبده من أي مصيبة فلابد أن يشكر الله (عز وجل) على أنه كتب له النجاة.



الرجل الذى تصدق على سارق وغنى وزانية

كان ياما كان... كان هناك رجل طيب القلب يحب الناس من حوله ويُحسن إليهم ويكرمهم ويُغدق عليهم من ماله الحلال.

وفى ليلة من الليالى خرج هذا الرجل يريد أن يتصدق فظل يبحث عن رجل فقير ليتصدق عليه حتى رأى رجلاً من بعيد فنادى عليه وقال له: أيها الرجل...

فجاء إليه الرجل... وكان لصًّا يأتى كل ليلة ليسرق بيوت الناس ولكن الرجل المتصدق لا يعرف أنه لص فأعطاه الصدقة.

فتعجب اللص من هذا الرجل.. لكنه أخذ النقود وانصرف.

* وفى تلك اللحظة كان هناك رجل ثالث قد رأى هذا الرجل الطيب وهو يتصدق على ذلك اللصّ فأصبح يخبر

الناس بما حدث وشاع الخبر فى المدينة حتى علم المتصدق بذلك فحزن حزنًا شديدًا ولكنه مع ذلك خرج فى الليلة التالية ومعه كيس النقود وظل يبحث عن فقير يحتاج إلى الصدقة لأنه ظن أن الصدقة التى دفعها بالأمس لم تُقبل.

* خرج هذا الرجل فوجد امرأة فنادى عليها فقالت: ماذا تريد؟

قال: خذى هذه الأموال فهى صدقة لك.

فأخذت المرأة كيس النقود وهى تتعجب وتقول فى نفسها: من المؤكد أن هذا الرجل لا يعرفنى لأنه لو كان يعرفنى جيدًا ويعرف أننى امرأة سيئة ولا أحد يحبنى فى هذه المدينة لما أعطانى هذا المال.

- وللمرة الثانية يراه أحد أهل المدينة وهو يعطى الصدقة لهذه المرأة فأصبح الناس يتحدثون أن هذا الرجل الطيب تصدق على امرأة سيئة لا تستحق الصدقة.

فحزن هذا الرجل للمرة الثانية على أنه أعطى الصدقة لامرأة سيئة لا تستحق الصدقة... وظن أن صدقته لم تُقبل.

وقرر أن يخرج فى الليلة الثالثة ليتصدق . . . وأخذ يبحث عن رجل فقير . . وفجأة وجد رجلاً يمشى فى الشارع فنادى عليه وأعطاه المال.

وكانت المفاجأة أن أهل المدينة أصبحوا يتحدثون أن هذا الرجل الطيب أعطى صدقته لرجل غنى لا يستحق الصدقة.

* حزن هذا الرجل الطيب وجلس يكلم نفسه ويقول: دفعت الصدقة لمن لا يستحق . . . لسارق وامرأة سيئة ورجل غنى . . . إنا لله وإنا إليه راجعون.

* ونام هذا الرجل الطيب فجاءه فى منامه من يبشره بأن الله تقبَّل منه صدقته وأثابه عليها . . . ثم ذكر له الحكمة العظيمة من وراء التصدق على هؤلاء الثلاثة فقال له: أما دفع الصدقة للسارق فلعله أن يستعف بها عن السرقة . . . وأما المرأة السيئة فلعلها أن تتوب . . . وأما الرجل الغنى فلعله يقلدك ويُخرج من ماله ويتصدق على الفقراء.

* فاستيقظ هذا الرجل الطيب من نومه وهو يحمد الله على قبول الصدقة.

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ : «قال رجل: لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق.

فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية! لأتصدقن بصدقة.

فخرج بصدقته، فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية، وعلى غني!! فأُتي، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر، فينفق مما أعطاه الله»(١).

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٢٢) كتاب الزكاة.

الدروس المستفادة:

(١) لا تندم على فعل الخير أبدًا حتى وإن كنت فعلت هذا الخير مع من لا يستحق.

(٢) كن على يقين من أنك طالما عملت هذا العمل ابتغاء مرضاة الله خالصًا لوجه الله فإن الله سوف يتقبله منك ويجزيك عليه خيرًا.

(٣) لا تنشغل بكلام الناس فأنت تعمل العمل لله وليس للناس.

(٤) أن الأعمال بالنيات فما عليك إلا أن تُخلص العمل لله ودع القبول على الله.

(٥) سعة رحمة الله في قبول الصدقة، ولو وقعت في غير موضعها.

(٦) قد ينتج عن فعل الإنسان آثار طيبة لم يُردها يؤجره الله عليها، فهذا الرجل قد ينتفع بفعله السارق والمرأة السيئة والرجل الغني... كما ورد في القصة.

(٧) فضل التسليم لقضاء الله وقدره، فهذا الرجل لما قدر الله له أن لا تصل صدقته إلى من يستحقها من

الفقراء والمساكين، استسلم لقضاء الله ورضى به، فأعقبه الله خيراً.

(٨) الرؤيا الصادقة من المبشرات، وهى جزء من ستٍ وأربعين جزءاً من النبوة، ومن ذلك رؤيا هذا الرجل الذى بشره ربه فيها بقبول صدقته، وبيَّن له وجه ما لم يعرفه، ولم يعلمه منها.

❋ ❋ ❋

قصة القرد والتاجر الغشاش

كان يا ما كان .. كان فى بنى إسرائيل رجل يبيع الخمر فى إحدى السفن المسافرة.

وكان شرب الخمر فى شريعتهم حلالاً.

وكان هذا الرجل يخلط الخمر ويغشها بالماء.

وكان مع هذا الرجل قرد يلازمه فى كل مكان.

أخذ الرجل يبيع الخمر المغشوش بالماء حتى انتهى من بيع الخمر وجلس يستريح قليلاً .. وإذا بالقرد يأخذ الكيس الذى فيه الدنانير وصعد بالكيس فى أعلى السفينة



وفتح الكيس وأخذ يُلقى ديناراً فى البحر وديناراً فى السفينة حتى ألقى نصف الدنانير فى البحر وترك النصف الباقى فى السفينة .

❋ ❋ ❋

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«إن رجلاً كان يبيع الخمر فى سفينة وكان يشوب الخمر بالماء ومعه قرد، فأخذ الكيس فصعد الدَّقل، فجعل يُلقى ديناراً فى البحر وديناراً فى السفينة، حتى جعله نصفين»[1] .

❋ ❋ ❋

(١) أورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (٢٨٤٤).
والدقل: خشبة يمد عليها شراع السفينة - وهى التى تُسمى: الصارى.

الدروس المستفادة:

(١) أن الله سخر القرد ليعطى لصاحبه درسًا فى الأمانة فقد كان التاجر ينظر إلى القرد وهو يلقى نصف المال فى البحر ويترك نصفه فى السفينة . . . فكان ذلك درسًا للتاجر لأنه كان يضيف على الخمر ما يعادلها ماءً. . وهكذا بيَّن القرد لصاحبه حلال ماله من حرامه لعله يتذكر أو يخشى.

(٢) التحذير من كل أنواع الغش: مثل غش الحليب بالماء وغش البنزين بالجاز وغش الجاز بالماء، وغير ذلك من أنواع الغش. وقد قال النبى ﷺ: «من غشنا فليس منا».

(٣) أن الغش يمحق البركة.

قال بعض أهل العلم: جاء الحرام على الحلال ليُكثره أخذ الحرامُ الحلال فبعثره.

(٤) قد يسأل سائل: كيف نذمُّ هذا التاجر على أنه غش الخمر، ولم نلمه على أنه باع الخمر التى حرمها الله (عز وجل)؟

والجواب: أن الخمر لم تكن حرامًا فى شريعة ذلك الرجل .. وقد كانت الخمر فى أول بعثة النبى ﷺ حلالاً، ثم ذمَّها الله (عز وجل) من غير تحريم ثم حرم شربها قرب وقت الصلاة مع عدم تحريم بيعها ثم حرم شربها، وقد كان المسلمون أيام كانت حلالاً يبيعونها ويشترونها من غير إنكار عليهم... وكان الغشُّ فيها فى ذلك الوقت حرامًا.

❋ ❋ ❋

قصة المتكبر الذى خسف الله به الأرض

كان ياما كان . . . كان فى بنى إسرائيل رجل متكبر وكان الناس يكرهونه لأنه كان يعاملهم بكبر وينظر إليهم باحتقار .

ونسى هذا الرجل أن الله عز وجل نهى عن الكبر والخُيلاء فقال تعالى : ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾[1] .

وجاء فى وصية لقمان أنه قال لابنه: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[2] .

ونسى هذا الرجل أن الله عز وجل قال فى الحديث القدسى : «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما قذفته فى النار».

ومع ذلك كان هذا الرجل متكبراً على كل من حوله .

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٧).
(٢) سورة لقمان: الآية: (١٨).

وفي يوم من الأيام أعجبته نفسه فدخل قصره فلبس أجملَ حُلة وأخذ يزين وجهه ويمشط شعره ويضع أجمل العطور، ثم خرج يمشي أمام الناس مختالاً بين قومه يتهادى في مشيته ويجر إزاره من خلفه فغضب الله عليه فخسف به الأرض كما فعل بقارون من قبله فهو يغوص في الأرض ويندفع من مكان إلى مكان أسفل الأرض.

ويظل هكذا حتى يوم القيامة جزاءً له على الكبر والتعالي والغرور.

❋ ❋ ❋

* ولقد ذكر النبي ﷺ قصة هذا الرجل فقال ﷺ:

«بينما رجلٌ يمشي في حُلة[1] يعجبه نفسه مُرجِّل[2] جُمَّته[3] إذ خسف الله به فهو يتجلجل[4] إلى يوم القيامة».

وفي رواية: «بينما رجل يجرُّ إزاره من الخُيلاء خُسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[5].

---

(١) الحُلة: ثوبان.. أحدهما فوق الآخر.

(٢) مُرجل: ترجيل الشعر يعني: تسريحه ودهنه.

(٣) جُمته: الجمة من الشعر هو ما سقط على المنكبين.

(٤) يتجلجل: أي: يغوص في الأرض حين يُخسف به.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٨٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

الدروس المستفادة:

(١) الكبر والخيلاء جريمة كبرى توبق صاحبها فى الدنيا والآخرة.

(٢) ليس من الكبر أن يُظهر العبد نعمة الله عليه بأن يكون نعله حسنًا، وثوبه حسنًا، خاصة إذا اقترن ذلك بشكر الله وحمده، وقد صحت بذلك الأحاديث.

(٣) بعض الذنوب يعجل الله العقوبة لصاحبها فى الدنيا قبل الآخرة، كما خسف الله الأرض بهذا المختال المتكبر.

(٤) إثبات عذاب القبر، فهذا المخسوف به - كما أخبر الرسول ﷺ - يضطرب فى الأرض إلى يوم القيامة.



الرجل الذى أزاح غصن الشوك فدخل الجنة

كان ياما كان.. كان هناك رجل طيب القلب يحب الخير لكل الناس من حوله.. وكان يعيش فى إحدى المدن.

وفى يوم من الأيام كان يمر فى إحدى الطرق التى يمشى الناس فيها فوجد غصن شجرة ذات شوك يمتد فى وسط طريق المسلمين ووجد أن الناس تتأذى منه... فيا



ترى ما الذى فكر فيه هذا الرجل؟

هل فكر: من الذى رمى هذا الغصن فى قارعة الطريق؟ ولماذا رماه فى هذا المكان؟

هل أخذ يسب ويشتم من رمى هذا الغصن فى وسط الطريق.

هل فكر فى أن يمر دون أن يمسه الغصن حتى لا تتسخ ملابسه أو يداه؟

كلا.. لم يفعل شيئًا من ذلك وإنما فكر فى راحة إخوانه المسلمين وقرر أن يُزيح الغصن من طريق المسلمين حتى لا يؤذيهم فكان الجزاء أنه فاز بمغفرة الله وجنته (سبحانه وتعالى).

❊ ❊ ❊



* ولقد ذكر النبى ﷺ قصة هذا الرجل، فقال ﷺ:

«مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحينَّ هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم، فأُدخل الجنة»[1].

وفى رواية أخرى عنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة، فى شجرةٍ قطعها من ظهر الطريق، كانت تُؤذى الناس».

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٩١٤) كتاب البر والصلة والآداب.

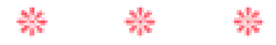
الدروس المستفادة :

(١) بيان فضل تنحية الأذى عن طريق المسلمين، وما فيه من أجر عظيم، وثواب جزيل.

(٢) سعة رحمة الله، وعِظم أجره، فقد أثاب هذا الرجل الكثير بإدخاله الجنة بالعمل القليل، وهو إماطة الأذى عن الطريق.

(٣) مدى مخالفة المسلمين لتعاليم دينهم، فترى بعضهم لا يكتفى بعدم تنحية الأذى عن طريق المسلمين، بل يرمى مخلفات منزله، وبقايا ما يأكله فى طريق المسلمين.

(٤) الشجرة التى يجوز قطعها هى المؤذية للمسلمين، أما إذا كانت نافعة للمسلمين كالشجرة التى يستظل الناس فى ظلها، فلا يجوز قطعها، وقد تهدَّد الرسول ﷺ قاطعها بالنار، ففى الحديث: «**قاطع السدر يصوب الله رأسه فى النار**».



قصة المرأتين اللتين خطف الذئب ابن إحداهما

إنها قصة جميلة وقعت فى عهد نبى الله داود (عليه السلام).

ففى يوم من الأيام خرجت امرأتان فى سفرٍ قريب ومع كل واحدة منهما ابنها الوحيد الذى تحبه حبًا جمًّا.

وكان الولدان يلعبان قريبًا منهما حتى يكونا فى أمان.

ولكن فجأة خرج ذئب من بين المزارع وهجم على طفلٍ منهما فأكله فقالت أم الطفل الذى أكله الذئب لصاحبتها: لقد أكل الذئب ابنك.

فقالت الأخرى: بل لقد أكل الذئب ابنك أنت.

وأخذ النزاع يشتد بينهما .. كل واحدة منهما تدّعى أن الذئب قد أكل ابن الأخرى وأن هذا الولد الحى هو ابنها هى.

فذهبت المرأتان إلى نبى الله داود (عليه السلام) ليقضى بينهما.

فأخذ داود (عليه السلام) يحقق فى تلك المسألة ويجتهد قدر استطاعته إلى أن أدَّاه اجتهاده إلى أن يحكم بأن هذا الولد الحى هو ابن الكبرى.

فلما خرجتا من عند داود (عليه السلام) ذهبتا إلى نبى الله سليمان (عليه السلام) ليقضى بينهما فقد كانت أم الطفل (وهى المرأة الصغرى) فى قمة الشوق واللهفة لرجوع ولدها إليها.

فأخذ نبى الله سليمان (عليه السلام) يفكر فى حيلة يستطيع من خلالها أن يعرف من هى الأم الحقيقية لهذا الولد.

فطلب ممن حوله أن يأتوه بسكين.

فسألت المرأتان: وماذا ستفعل بالسكين يا نبى الله.

فقال سليمان (عليه السلام): سأشق الغلام إلى نصفين لأعطى كل واحدة منكما نصفًا وبذلك أكون قد عدلت بينكما.

فظنت المرأتان أن سليمان (عليه السلام) جادٌّ فى كلامه

وأنه عازمٌ على شق الغلام إلى نصفين.

وهنا قامت الأم الحقيقية (المرأة الصغرى) تصرخ خوفًا على ولدها وتقول له: لا تفعل يرحمك الله.. هو ابنها.

وهنا عرف سليمان (عليه السلام) من لهفة هذه الأم على ابنها أنها هي أمه الحقيقية.. وأنها اعترفت بأن هذا الولد هو ابن المرأة الأخرى لأنها تُفضل بقاء ولدها ولو مع غيرها على أن يُذبح وتُحرم من رؤيته للأبد فتأكد نبي الله سليمان (عليه السلام) من أنه ولدها فقضى لها بالولد (أي للمرأة الصغرى) رغم إقرارها به للأخرى.

❋ ❋ ❋

ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٧) أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧٢٠) الأقضية.

الدروس المستفادة:

(١) أن الأم لابد أن تحرص على ألا يفارقها طفلها أبدًا وبخاصة إذا كانت فى مكان تنتشر فيه الوحوش التى تهدد حياة ولدها للخطر.

(٢) أن القاضى قد يجتهد غاية الاجتهاد ليحكم بالعدل فيخطئ فى الحكم لأن الأدلة ليست واضحة ولا كافية ومع ذلك يكون له أجر لأنه لم يقصد الظلم والجور.

(٣) أن الفطنة والفقه لا تتعلق بالسن .. فالصغير قد يفقه ويدرك ما لا يدركه الكبير كما فقه سليمان (عليه السلام) ما لم ينتبه إليه والده داود (عليه السلام).

(٤) أنه ليس هناك أحن على الطفل من أمه .. فلقد رأينا كيف أن الأم (المرأة الصغرى) لما ظنت أن سليمان (عليه السلام) سيشق طفلها إلى نصفين زعمت أنه ابن الأخرى حتى يعيش طفلها ولو مع غيرها بدلاً من أن يُذبح وتُحرم منه.



قصة الملك الذى فرَّ من الحكم

هذه قصة أحد ملوك بنى إسرائيل، اختاره قومه لتولى الحكم والسلطان، فدفعته مخافة الله أن يفر من قومه، تاركًا لهم كرسى الحكم، مؤثرًا عليه عبادة الله فى ديار، لا يُعرف فيها، ينال رزقه من عمل يده.

* وها هى قصته كما حكاها النبى ﷺ لأصحابه:

قال ﷺ: «إن بنى إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى ﷺ فقام يُصلى ليلة فوق بيت المقدس فى القمر، فذكر أمورًا كان صنعها، فتدلى بسبب[1]، فأصبح السبب معلقًا فى المسجد، وقد ذهب.

قال: فانطلق حتى أتى قومًا على شط البحر، فوجدهم يضربون لَبِنًا، أو يصنعون لبنًا، فسألهم: كيف تأخذون على هذا اللبن؟ قال: فأخبروه، فلبَّن معهم[2]، فكان يأكل من عمل يده، فإذا كان حين الصلاة قام يصلى، فرفع ذلك العمال إلى

---

(١) فتدلى بسبب: السبب هنا الحبل.

(٢) لبَّن معهم: اشتغل بصناعة اللبن معهم - وهى التى يُبنى بها الجدار.

دهقانهم[1]، أن فينا رجلاً يفعل كذا وكذا، فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، ثلاث مرات، ثم إنه جاء يسير على دابته.

فلما رآه فرَّ، فاتَّبعه فسبقه، فقال: انظرني أكلمك، قال: فقام حتى كلمه، فأخبره خبره، فلما أخبره أنه كان ملكًا، وأنه فرَّ من رهبة ربه، قال: إني لأظنني لاحقٌ بك، قال: فاتبعه، فعبدا الله، حتى ماتا برُمَيلة مصر[2]، قال عبد الله: لو أني كُنت ثَمَّ، لاهتديت إلى قبرهما بصفة رسول الله ﷺ التي وصف لنا»[3].

* والآن هيا بنا لنتعايش بقلوبنا مع شرح هذه القصة الجميلة:

* هذه قصة رجل صالح من بني إسرائيل اختاره قومه ملكًا عليهم، ولكنه خشي من عواقب المُلك وغوائله، ففرَّ من بلده، وهرب إلى مكانٍ ناءٍ بعيد، لا يعرفه فيه أحد، فكان يأكل من كدّ يده، ويعبد ربه.

وقد ذكر لنا الرسول ﷺ أن هذا الرجل كان يعبد

---

(١) الدُّهقان: هو رئيس القرية.

(٢) رميلة: الرميلة تصغير رملة، والرملة إحدى مدن فلسطين، قريبة من بيت المقدس.

(٣) أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٣٣).

الله على ظهر المسجد الأقصى فى القدس، ولا ندرى لِمَ اختار المسجد الأقصى موضعًا لإقامته، أكان هذا مقامًا مؤقتًا، بحيث إنه كان يخلو إلى عبادته فى بعض الليالى، أم أنه اشترط على قومه أن يكون مقامه فى مسكن فوق المسجد، لا ندرى حقيقة الأمر، ولكن مقامه فوق المسجد قائمًا يصلى يدل على ما كان يتصف به من صلاح وتُقى.

ويذكر لنا الرسول ﷺ أن هذا الملك تفكَّر فى حاله فى إحدى الليالى عندما كان يعبد الله فوق ظهر المسجد الأقصى، كان فى تلك الليلة يصلى فى سكون الليل وهدوئه والقمر يرسل أشعته على المدينة المقدسة، ففكر الرجل فى حاله، والمهام التى أُنيطت به، وتفكَّر فى مصيره عندما يسأله ربُّه عن أيام حكمه، ومدى التزامه بشرعه، ونظر فى تصرفاته فى أثناء توليه السلطة، فلم يحمد مساره، ويبدو أنه كان فى حالة روحانية عالية، بفعل إيمانه ويقينه، وتعبُّده فى ذلك المكان المقدس فى الليل الهادئ الساكن.

وهداه تفكيره إلى الفرار بنفسه، وترك الحكم والسلطان

والذهاب فى أرض الله الـواسـعـة، يبـحث عن مكان لا يعرفه فيه أحد يعبد الله فيـه، بعيدًا عن المسئوليات الجِسام التى يلقيها الحكم على كـاهله، وبعيدًا عن مغريات الملك ومفاتنه.

إن مثل هذا القـرار ليس سهلاً، فالقعـود على كرسى الحكم، وتولى قيادة الناس، والإمساك بزمام الأمور له فى النفس مـتعة كـبيـرة، فالملك أو الحـاكم تنقاد له الـدنيا، ويتصـرف فى أمور العـباد، ويطيعـه قومه، ويـتقلب فى النعيم، ويـتصرف فى الأمـوال العظيمة، ولـذا فلا يمكن لمثل هذا الرجل أن يتـرك الحكم إن لـم يكن الدافع الذى يجده فى نفسـه عظيمًا، بحيث يفـوق الدافع الذى يجده الملوك فى أنفسهم للتمسك بالحكم، . . . . لقد امتلأ قلب هذا الرجل من مـخافـة الله، وخشى إن هو اسـتمـر فى تولى الملك أن يوبقـه عمله، ويغـضب ربه عليه، فـسهل عليه ترك الملك، والتولى عنه.

وخاف إن أخبر قومه بما عزم عليه أن لا يساعدوه على مقـصده، وأن يُلزموه بخـلاف ما يرغب فيـه، ولذا عزم

على الهرب من ليلته تلك، ويبدو أن المسجد كان مغلق الأبواب، فلم يستطع الخروج من الأبواب التى يخرج منها، وهذا أمر طبيعى، فما كان لجنده وحاشيته أن يتركوه فى مكان أبوابه مفتوحة ولعله قد خشى إن هو استدعى الجند لفتح الأبواب أن يمنعه الحرس من السير وحده، فعادة الحراس والأعوان أن يحيطوا بالملك عند خروجه، ولا يفارقونه خوفًا على حياته، ويزداد تحفظهم عليه إذا كان خروجه فى ظلمة الليل، فإذا ألزم الحاكم حرسه وأعوانه بعدم اتباعه، فإن عادتهم أنهم يتبعونه من بعيد، من حيث لا يدرى ولا يعلم.

فوجد خير سبيل للخلاص أن يخرج من قومه خُفية، بحيث لا يشعرون بخروجه، وتذكر بعض روايات الحديث أن هذا الملك وجد فى المكان الذى هو فيه حبلاً، فربطه ربطًا محكمًا، ثم أخذ بالحبل وتدلَّى من على ظهر المسجد حتى وصل الأرض؛ حيث أمكنه الخروج والمسير فى أرض الله الواسعة.

وانتهى به مساره إلى شاطئ البحر، فوجد قومًا

يعملون فى صناعة اللَّبن، فانضم إليهم، يعمل كما يعملون، ويأخذ الأجر الذى يأخذون، ويأكل من عمل يده، فإذا جاء وقت الصلاة، ترك العمل وشرع فى الصلاة.

لقد كان هذا العامل الجديد الذى انضم إلى العمال نموذجًا فريدًا، فهو جادٌّ فى عمله، متدين محافظ على فرائض الله، ولعلهم قد أدركوا من خلال سمته، وكلامه، وأعماله ما يتحلَّى به من الفضائل والأخلاق، فذكروه لملكهم أو رئيس قريتهم، وكانت قريبة منهم، ويبدو أن هذا الرئيس كان صالحًا يحب الصالحين، فأحب أن يتعرف إلى هذا الرجل الصالح الذى نزل قريته وطلب من عماله أن يدعوه إليه، فأبى أن يسير إليه، فما أخرجه من قومه إلا نفوره من الملك ومفاتن الملك.

تكررت دعوة رئيس القرية له، وتكرر رفضه، فما كان من دهقان القرية إلا أن ركب دابته، وانطلق إليه فى موضع عمله، فلما رآه مقبلاً عليهم، أسلم ساقيه للريح، وانطلق فى سباق معه، ذاك يركب دابته القوية

الفارهة، وهذا على قدميه، ويبدو أنه كان قويًا على الرغم من أنه كان ملكًا، يدلك على ذلك قدرته على التدلى من المكان العالى الذى كان فيه بوساطة الحبل، وهذا لا يستطيعه إلا الرجال الأشداء، ويدلُّك على قوته احتماله العمل فى صناعة اللَّبن، فهو يحتاج إلى جُهد وصبر، ولذلك فإنه استطاع أن يسبق الدهقان الراكب على دابته، ويفر منه، ولم يستطع ذلك الرجل اللحاق به.

هنا لم يجد الدهقان سبيلاً للحديث معه إلا أن يناديه ويناشده أن يكلمه .... ولا بد أنه تعهد له بعدم الإساءة إليه، فوقف وحادثه، وأخبره خبره، وأنه كان ملكًا على قومه ففرَّ منهم، فقد أخرجته مخافة الله عن الاستمرار فى تولى مقاليد الحكم.

وقد وافق حاله حال الدهقان، فيبدو أنه كان من طينته، وأنه كان يحدث نفسه بمثل ما أخذ به هذا الرجل نفسه، ولذا فإنه ترك ما هو فيه، وانضم إليه، ورحلا عن تلك القرية، وسارا متصاحبين متآخيين، يعبدان الله فى

أرض الله الواسعة، وبقيا كذلك إلى أن ماتا فى ديار نائية بعيدة فى مصر.

وأخبرنا رسولنا ﷺ أنهما دعوا الله ربهما أن يميتهما معًا، والذى يظهر أن الله استجاب دعاءهما.

وقد عرف الصحابى راوى الحديث موضع قبريهما بصفات وعلامات وصف بها رسول الله ﷺ قبريهما فى رميلة مصر[1].

* * *

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٢٩٨ - ٣٠٠) بتصرف.

الدروس المستفادة:

(١) أن الإمام العادل يكون يوم القيامة فى ظل عرش الرحمن (جل وعلا).

(٢) أن هناك من يزهد فى المُلك والسلطان ويرغب فى طاعة الرحمن (جل وعلا) .. كما رأينا من هذا الملك.

(٣) أن قيمة العبد ليست فى ماله ومنصبه وإنما قيمته الحقيقية فى طاعته لله (جل وعلا) وإيمانه وتقواه.

(٤) قد تكون السعادة فى الحياة البسيطة أعظم بكثير من حياة الترف فى القصور.

❊ ❊ ❊

قصة النبى الذى أُعجب بقومه

هذه قصة نبى من أنبياء الله أعطاه الله أُمَّة كثير عددها، وأخرج له من أُمَّته جيشًا عظيمًا، كثير عدده، قوى بأسه، فأعجبه ما بلغته أمته، وجيشه، وقال: من يقوم لهؤلاء ويقف فى وجوههم؟!!

فأهلك الله من قومه سبعين ألفًا من جرَّاء ذلك الإعجاب الذى وقع منه.

* عن صهيب قال: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى همس شيئًا لا أفهمه، ولا يُخبرنا به، قال: «أفطنتم لى؟» قلنا: نعم قال: «إنى ذكرت نبيًّا من الأنبياء أُعجب بأمته، فقال: من يكافئ هؤلاء؟ أو من يقوم لهؤلاء؟».

فأوحى إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث: إما أن نُسلط عليهم عدواً من غيرهم، أو الجوع، أو الموت، فاستشار قومه فى ذلك، فقالوا: أنت نبى الله، فكلُّ ذلك إليك، خِر لنا - يعنى

اختـر لنا - فـقام إلى الصـلاة، وكانـوا إذا فزعـوا، فزعـوا إلى الصلاة... فصلى ما شاء الله.

قال: ثم قـال: أى ربِّ، أما عدوٌّ مـن غيرهـم فـلا، أو الجوع، فلا، ولكن الموت، فسُلط عليهم الموت، فمات منهم سبعون ألفًا، فهـمسى الذى ترون أنى أقـول: اللهم بك أقاتـل، وبك أصاول، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

* أخبـرنا رسولنا ﷺ فى هذا الحديث قـصة نبى من أنبياء الله رزقه الله أمة كـثيرة العدد، قوية البأس، فنظر فيما أعطاه الله، فأعجبه ما رأى، ووقع فى نفسه أنه لا يقوم لأمتـه أحد، ولا يستطيع أن يتغلـب عليها متغلب.

ومـا هكذا يكون موقف من بـلغ مرتبـة النبوة، فـإن الإعجـاب بالنفس أو بالأولاد أو الأموال أو الأمـة مرض خبـيث، والمؤمن الحق لا تغره فى مواجـهة الأعداء كـثرة جيشه، ولا تضيره قلته، فالنصر من عند الله وحده ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[2].

---

(١) أورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٤٥٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٢٦).

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1] .

وفي بعض الأحيان يكون الإعجاب بالكثرة سبب الهزيمة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[2] .

وقد عوقب ذلك النبي في أمته، طلب الله منه أن يختار لقومه واحدة من ثلاث؛ إما أن يسلط عليهم عدواً من غيرهم، أو يسلط عليهم الجوع، أو يصيبهم بالموت.

وقد سألت نفسي عن السِّرّ في تخييره بين هذه الثلاث، فوجدت أن كلُّ واحدة من الثلاث تُذهب قوة هذه الأمة وتضعفها، وتُزيل العُجْب الذي حَلَّ في قلوبها وقلب نبيّها، فإذا سلط الله عليهم عدوَّهم، فإنه يذلهم وإن سلط عليهم الجوع، فإن قوتهم تذهب، ويسهل التغلب عليهم، وإن أصابهم الموت قلَّ عددهم.

واختيار واحدة من هذه الثلاث أمر مُحيِّر، يحتاج إلى موازنة بين الثلاثة، وقد استشار هذا النبي قومه، فردُّوا الأمر إليه، فهو نبيُّ الله والأنبياء مهديون مُسدَّدون.

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٤٩).
(٢) سورة التوبة: الآية: (٢٥).

وقد كان اختيار النبى موفقًا؛ لأنه اختار لهم الموت، دون الإصابة بالجوع وتسليط عدوهم عليهم، ولو كان الذى اختار واحد من أصحاب المقاييس الدنيوية لاختار غير ما اختاره ذلك النبى.

قد يظن بعض الذين لم يوفقوا للسداد أن الخيار الأنسب هو تسليط أعدائهم عليهم لأنهم لا يفقدون أرواحهم، وإن كان العدوُّ قد يسفك دماء بعضهم، ولكن ذلك النبى لا يرضى لقومه الإذلال والإهانة، وقد لا ينجيهم تسليط العدوِّ عليهم من القتل.

وتسليط الجوع فيه عذاب شديد، وقد يكون الجوع سببًا للضعف الذى يسلط الأعداء به عليهم، وقد يميت الكثير منهم.

أما خيار الموت، فإنه اختيار لأمر آتٍ لا بد منه، فمن لم يمت اليوم سيموت غدًا أو بعد غدٍ، وليس منه مَهرب أو مفرٌّ.

اختار لهم الموت، فالذين يمضون إلى ربهم يُرجى لهم أن يكونوا مقبولين عنده، والذين يبقون بعدهم سيتعظون

بما وقع لهم، وقد يكثرهم الله - إن شاء - بعد قتلهم، فالأمر بيد الله.

لقد فزع ذلك النبى إلى الصلاة، وهكذا الأنبياء والصالحون عندما يحزبهم أمر يقومون إلى الصلاة، فصلى ما شاء الله له أن يصلى، فوفقه الله لاختيار أهون الأمور، وقال لربه: أما عدوٌ من غيرهم فلا، أو الجوع فلا، ولكن الموت.

وسرى فيهم الموت سريان النار فى الهشيم، فحصدهم حصدًا، فمات منهم فى يوم واحد سبعون ألفًا.

إن عاقبة إعجاب ذلك النبى بقومه مخيفة، وقد كان الرسول ﷺ يخاف على أصحابه مثل تلك العاقبة، فكان عقب الصلاة يقول همسًا: «**اللهم بك أحُول، وبك أصول، وبك أقاتل**» وهو فى ذلك يستحضر قصة ذلك النبى، فيدعو بهذا الدعاء الذى يتوجه به إلى الله متبرئًا من حوله وقوته، ومن الاعتماد على قوة أصحابه وبأسهم، فهو فى مواجهة الأعداء يعتمد على الله دون سواه، فمنه وحده العون وبه النصر، ولا حول ولا قوة إلا به.

الدروس المستفادة:

(١) تفقيه الرسول ﷺ أصحابه بالأسباب التي تؤدى إلى ضعفهم وهلاكهم، ومن ذلك إعجابهم بأنفسهم.

(٢) عاقبة العجب وخيمة، كما وقع لأمة ذلك النبى، ذلك أن العجب يُضعف التوكل على الله، والاعتماد عليه، ويجعل المرء يعتمد على الأسباب الدنيوية.

(٣) على الحكام وقادة الجنود وأصحاب الدعوات أن يحذروا أن يُنزل الله بهم مثل ما أنزله بقوم ذلك النبى، ونحن نسمع ونرى فى هذه الأيام كثرة إعجاب الزعماء والرؤساء والقادة بجيوشهم وأتباعهم.

(٤) قد يكون سبب البلاء خفيًا، لا يدركه إلا من فقهوا دين الله، فقد ينزل مثل هذا البلاء بقوم صالحين مجاهدين، ولا يدرون من أين أتوا.

(٥) وجود أمم صالحة من قبلنا كثيرة العدد، فيها مقاتلون كثيرون يجاهدون فى سبيل الله، فالموتى من تلك الأمة بلغ عددهم سبعون ألفًا فى مدة وجيزة.

(٦) يستحب للمسلم أن يفزع إلى الصلاة إذا حَزَبَه أمر لعل الله أن يرشده لأقوم أمره، ومن ذلك دعاء الاستخارة شرعه الله بعد صلاة ركعتين.

(٧) على المسلم أن لا يعجل فى الأمور التى تحتاج إلى خيار، عليه أن يستشير كما استشار ذلك النبى قومه، وعليه أن يفكر طويلاً موازنًا بين الخيارات، وأن يدعو الله كى يوفقه للاختيار السديد[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ١٧١ - ١٧٣) بتصرف.

الذين دخلوا القرية يزحفون على أدبارهم

جلس النبى ﷺ يومًا مع أصحابه، فحكى لهم قصة من قصص بنى إسرائيل تمثل الجحود والنكران فى مقابل إكرام الله لهم وإحسانه إليهم.

فقد أمر الله (عز وجل) بنى إسرائيل أن يدخلوا قرية من قرى الأرض المقدسة ساجدين خاضعين متذللين لله رب العالمين، من غير كبر ولا استعلاء وأن يُكثروا من الدُّعاء بأن يغفر لهم ذنوبهم ويحطَّ عنهم خطاياهم.

ولكنهم لم يمتثلوا أمر الله (عز وجل) ولم يدخلوا كما علّمهم ربهم (جل وعلا) ولم يقولوا ما أمرهم به (سبحانه وتعالى) ولكنهم دخلوا يزحفون على أدبارهم وهم يقولون: حبةٌ فى شعرة فاستحقوا بذلك أن يُنزل الله على الظالمين منهم رجزًا وعذابًا من السماء بما كانوا يفسقون.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[١].

* وتأمل معى كيف كان النبى ﷺ وأصحابه فى قمة التواضع والخضوع لله ولأوامر الله (جل وعلا).. فإنهم عندما دخلوا مكة فاتحين منتصرين كانوا خاضعين خاشعين متذللين لله رب العالمين حتى إن رأس رسول الله ﷺ كان يمسّ رحله فى دخوله مكة متذللاً خاضعًا لله (جل وعلا).

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة، فقال ﷺ: «قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سُجداً وقولوا: حطة[٢] يغفر لكم خطاياكم، فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم[٣]، وقالوا: حبة فى شعرة»[٤].

* * *

(١) سورة البقرة: الآيتان: (٥٨ - ٥٩).
(٢) حطة: أي: احطط عنا خطايانا.
(٣) استاههم: أدبارهم.
(٤) أخرجه مسلم (٣٠١٥) كتاب التفسير.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يمتثل أوامر الله (جل وعلا) وأن يطيعه فى كل شىء دون تحريف أو تبديل.

(٢) أن الذين يخالفون أمر الله ويبدلون شرعه هم الخاسرون فى الدنيا والآخرة .. وهم الذين يبوءون بسخط الله وعذابه.

(٣) ينبغى أن يتواضع المسلم عند النصر وأن ينسب الفضل لله (جل وعلا)، لكى ينصره الله فى كل موطن ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1].

(٤) الغنائم المحرمة على بنى إسرائيل كانت مقصورة على الذهب والفضة والأثاث واللباس ونحو ذلك، أما ما يؤكل من الحيوان والنبات، فلم يكن محرمًا عليهم، فقد أباح الله للذين أُمروا بدخول تلك القرية الأكل منها حيث شاءوا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة محمد: الآية: (٧).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٥٨).

المرأة التى اتخذت رجلين من خشب

قام النبى ﷺ ذات يوم وجمع أصحابه (رضى الله عنهم)، ثم خطب فيهم خُطبة طويلة وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، ثم قال:

«إن أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصيغ ما تكلف امرأة الغنى، فذكر امرأة من بنى إسرائيل كانت قصيرة واتخذت رجلين من خشب، وخاتمًا له غلق وطبق، وحشته مسكًا، وخرجت بين امرأتين طويلتين، أو جسيمتين، فبعثوا إنسانًا يتبعهم، فعرف الطويلتين ولم يعرف صاحبة الرجلين من خشب»[1].

لقد ذكر الرسول ﷺ هذه القصة فى خُطبة وعظ فيها أصحابه، ورهَّبهم من فتنة الدنيا، ورغَّبهم فى أمر الآخرة، وحذرهم فيها من أن يقعوا فى مثل ما وقع فيه

---

(١) رواه ابن خزيمة وأحمد وأورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢/ ١٤٠).

بنو إسرائيل من قبلهم، وبيَّن لنا كيف كانت بداية الفساد الذى أدَّى إلى هلاكهم، فقد أخذ الأغنياء ينفقون الأموال الكثيرة على المظاهر من اللباس والحُلى والأطعمة ونحوها، ومن ذلك البذخ فى نفقات الزواج، وتشبه الفقراء بالأغنياء، فكانت امرأة الفقير تكلفه أن يشترى لها من الثياب والحلى مثل ما يشترى الغنى لزوجته.

ونحن نعلم مدى البلاء الذى يوقعه هذا التصرف فى المجتمع، فالزوج الفقير يتكلف التكاليف الباهظة التى ترهقه، وتجعله يعمل ليل نهار، ليهيئ لزوجته مطالبها، وقد لا يستطيع، فيبيع منزله أو أرضه التى يكون منها رزقه، وقد تدفعه إلى الاستدانة، وتحميل نفسه ذل السؤال، وقد يستدين بالربا، فيكثر دَينه، ويعجز عن السداد، إلى غير ذلك من البلايا التى نراها فى المجتمعات المعاصرة.

وإذا استشرى هذا المرض فى المجتمعات، انشغل الرجال والنساء بابتكار ألوان المظاهر الكاذبة التى تكلف المال الكثير، وتأخذ أوقات الناس.

ولست بحاجة إلى التوسع فى ضرب الأمثلة فى هذا المجال، فالحياة اليوم تموج بألوان كثيرة من (الموضات) والمظاهر فى الألبسة المتنوعة المختلفة التى تلفت الأنظار، وفى طريقة تسريح الشعور، وفى أنواع الحلى.

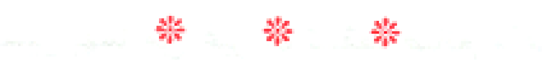
ومن ذلك ما قَصَّه علينا الرسول من اختراع هذه المرأة القصيرة التى كانت تسير بين امرأتين طويلتين، فابتكرت طريقة أطالت فيها قامتها، بأن اتخذت رجلين من خشب، واتخذت خاتمًا مُجوفًا له غطاء حشته مسكًا، فكانت تخرج بين المرأتين الطويلتين فلا تُعرف، وكانت تمر بمجامع الرجال، فتفتح خاتمها وتنفضه، فيفوح شذا العطر الذى فى الخاتم، وقد استطاعت أن تخفى نفسها، فلم يعرفها الذين أرسلوا للتعرف عليها.

ولا شك أن هذه المرأة كانت تبذل جهدًا كبيرًا لتبدو طويلة القامة، وكان الواجب عليها أن ترضى بقدر الله عز وجل، وكان عليها أن تعلم أن الله لا ينظر إلى صور العباد وألوانهم، ولكنه ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم، وكم من قصار القامة والمعاقين كبروا بأعمالهم فى نظر الناس لما

تحلُّوا به من كـريم السجايـا والصفات، ولما حـصلّوه من علوم، ولما أتقنوه من أعمال.

وقد تقـدمت الطرق التى تخفى النسـاء عيـوبهن بها، فالشعور الصناعية والطبيعـية تخفى الشعر القبيح، وهناك الرموش الـصناعيـة، والألوان التى تغيـر معالـم الوجه، أضف إلى ذلك الثياب التى تُظهر المفاتن، وتخفى العيوب بطرق فنية مدروسة.

لقد وقعنـا فيما حذَّرنا منه الـرسول ﷺ وسرنا فى الطريق الذى سلكته الأمم الهـالكة من قبلنا، ولذلك حلَّ بنا ما حلَّ بهم.



الدروس المستفادة:

(١) من ألوان الوعظ المؤثرة حكاية أخبار الأمم السابقة وقصصهم تحذيرًا من مثل أعمالهم، كما حذرنا الرسول ﷺ في هذا الحديث من أن نسير مسار بني إسرائيل.

(٢) مدى اهتمام النساء قديمًا وحديثًا بالمظاهر الكاذبة الخادعة، كما احتالت هذه المرأة لإطالة قامتها باتخاذ رجلين من خشب.

(٣) مدى حرص النساء على إثارة اهتمام الرجال وفتنتهم، كما فعلت هذه المرأة، وتأثر الرجال بذلك، فقد أرسل من مرت عليهم المرأة رجلاً ليعرف لهم من هي.

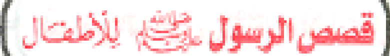
(٤) قدرة الناس من قديم الزمان على الصناعة، فلا شك أن الذي أبدع الرجلين من الخشب لتلك المرأة بحيث تستطيع السير بهما من غير أن تسقط صانع ماهر.

(٥) المسك أطيب الطِّيب كما أخبر الرسول ﷺ[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح القصص النبوي (ص: ٣٦٤ - ٣٦٦) بتصرف.



قصة حنين الجذع

بعدما تم بناء مسجد النبى ﷺ أراد النبى ﷺ أن يخطب خطبة الجمعة، فقام بعض الصحابة بقطع جزء من شجرة وجعلوه منبرًا للنبى ﷺ فكان النبى ﷺ يخطب كل يوم جمعة على ذلك الجذع من الشجرة.

وفى يوم من الأيام جاءت امرأة من الأنصار وقالت له: يا رسول الله ألا نصنع لك منبرًا لتخطب عليه فى يوم الجمعة؟

فقال النبى ﷺ : «إن شئتم».

فصنعوا للنبى ﷺ منبرًا ليخطب عليه.

فلما كان يوم الجمعة صعد النبى ﷺ على المنبر ليخطب خطبة الجمعة فحدثت مفاجأة لا تخطر على قلب بشر!!

يا ترى ما هى هذه المفاجأة؟

لقد صاح الجذع الذى كان النبى ﷺ يخطب عليه

كصياح الصبى الصغير .. ويقال: إنه خار كخوار الثور حزنًا لفراق النبى ﷺ له ولفراق الذكر الذى كان يسمعه.. فارتجَّ المسجد بالبكاء وأخذ الصحابة يتعجبون ويبكون.

فما كان من النبى ﷺ إلا أنه نزل من على المنبر واحتضن الجذع وضمَّه إلى صدره حتى سكت.

ويُخبر النبى ﷺ أصحابه أنه لو لم يحتضن الجذع لظل يحن ويبكى إلى يوم القيامة.

ثم أمر النبى ﷺ أصحابه أن يدفنوا ذلك الجذع فدفنوه.

* وها هى قصة الجذع كما حكاها بعض أصحاب النبى ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا؟

قال: «إن شئتم»، فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى

ﷺ فضمه إليـه يئن أنين الصبي الذي يُسكَّن، قال[1] : «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»[2] .

* وفي سنن الدارمي بإسناد صحـيح من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قـال: كان النبي ﷺ يقوم يوم الجمـعة فيـسند ظهـره إلى جذع منصـوب في المسجـد فيـخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم؟ فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد على الثالثة فلمـا قـعد نبي اللـه ﷺ على ذلك المنبـر خار الجـذع كخـوار الثور حـتى ارتجَّ المسجـد حزنًا على رسـول الله ﷺ ، فنزل إليـه رسول الله ﷺ من المنبـر فالتـزمه وهو يخور فلما التزمـه رسول الله ﷺ سكن ثم قال: «أما والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله ﷺ» فأمـر به رسول الله ﷺ فدُفن.

* * *

---

(١) أشار الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إلى أن قائل «كانت تبكي» . . هو رسول الله ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري.

الدروس المستفادة:

(١) أن الكون كله يُسبِّح بحمد الله ويذكر الله ويعبده إلا عُصاة الجن والإنس.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1].

(٢) أن الجذع كان حزينًا على فراق النبي ﷺ فكيف لا نحزن نحن على أننا فارقنا سُنة النبي ﷺ ؟! .. فيجب على كل مسلم أن يتعلم سُنة النبي ﷺ ليُطبقها في حياته كلها.

(٣) أن النبي ﷺ هو صاحب أرحم قلب في الكون كله.

ولقد رأينا كيف أنه لما سمع بكاء الجذع نزل إليه واحتضنه مع أنه جذع من الخشب.

فإذا كان النبي ﷺ تعامل مع الجذع بكل هذه الرحمة فمن باب أولى أن يرحم المسلم أخاه المسلم.

❊ ❊ ❊

---

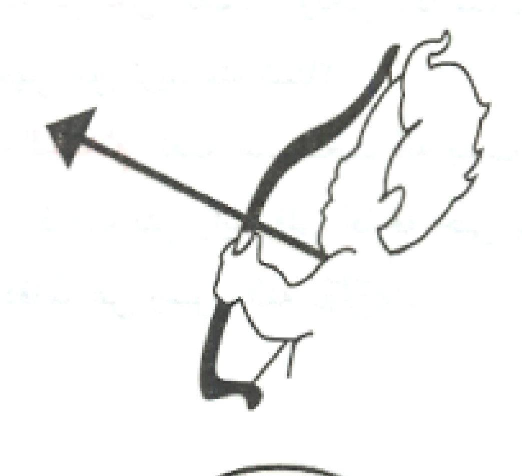
(١) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

غلامان يدافعان عن النبى ﷺ

كان الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه واقفًا فى أرض الجهاد فى غزوة بدر انتظارًا لبدء الجهاد فى سبيل الله... وإذا به ينظر حوله ليرى من سيكون بجانبه وقت الجهاد فرأى شيئًا عجيبًا... يا ترى ما هو؟

لقد نظر عبد الرحمن بن عوف عن يمينه فوجد غلامًا صغيرًا واقفًا بجواره مستعدًا للجهاد... نظر إلى يساره فوجد غلامًا آخر واقفًا بجواره ينتظر بدء الجهاد.

فحزن عبد الرحمن بن عوف فقد كان يتمنى أن يكون



واقفًا بين رجلين حتى يأمن على نفسه.

وفجأة غمزه الغلام الذى عن يمينه وسأله سراً: يا عمّ هل تعرف أبا جهل؟

قال عبد الرحمن: نعم ولكن لماذا تسأل يا ابن أخى عن أبى جهل هل تريد منه شيئًا؟

قال له الغلام: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ﷺ . . . فوالله لئن رأيته فلن أفارقه حتى يموت هو أو أموت أنا دفاعًا عن رسول الله ﷺ .

* فتعجب عبد الرحمن بن عوف . . . ولكنه قبل أن يفكر فى هذا الكلام وجد الغلام الثانى يغمزه ويقول له سرًا: يا عم . . . هل تعرف أبا جهل؟

قال عبد الرحمن: نعم. . ولكن لماذا تسأل يا ابن أخى عن أبى جهل هل تريد منه شيئًا؟

قال له الغلام: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ﷺ . . . فوالله لئن رأيته فلن أفارقه حتى يموت هو أو أموت أنا دفاعًا عن رسول الله ﷺ .

* ففرح عبد الرحمن بن عوف بهذين الغلامين وقال في نفسه: إنهما في نظري أفضل من رجلين من الأقوياء.

* **قال عبد الرحمن بن عوف:** وفجأة بدأ الجهاد ورأيت أبا جهل يتحرك في أرض الجهاد يريد أن يقتل أحدًا من المسلمين... فقلت للغلامين: ألا تريان هذا الرجل الذي يسير هناك؟

قال الغلامان: نعم.

فقال عبد الرحمن: فهذا هو أبو جهل.

* **قال عبد الرحمن بن عوف:** فأسرع الغلامان وانقضًا عليه كالصقرين فقتلاه بسيفيهما... ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ وهما في غاية الفرح والسعادة أنهما قد قتلا هذا الرجل الذي كان يسب رسول الله ﷺ.

فدخلا على النبي ﷺ وكل واحد منهما يقول: أنا قتلته يا رسول الله.

فأراد النبي ﷺ أن يُطيب خاطر كل واحد منهما فسألهما: هل مسحتما سيفيكما؟

فقالا: لا.

فنظر النبى ﷺ فى السيفين وقال: كلاكما قتله.

* فانصرف الغلامان وهما فى غاية السعادة والسرور أنهما قتلا رجلاً كان يسب رسول الله ﷺ .

* هل تعرف اسم الغلامين؟

إنهما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ ابن عفراء.

* * *

الدروس المستفادة:

(١) شجاعة هذين الغلامين رغم صغر سنهما... وهكذا يكون المسلم شجاعًا لأنه يعرف أنه على الحق.

(٢) أنه كلما ازداد الإيمان واليقين في قلب المسلم كلما ازدادت قوته وشجاعته في مواجهة الباطل وأهل الباطل.

(٣) غيرة المسلم على رسول الله ﷺ... فالمسلم لا يحتمل أن يسمع أن هناك من يسب رسول الله ﷺ... فإذا سمع أن هناك من يسب رسول الله ﷺ فإنه لا يتركه أبدًا حتى ينتقم منه... حبًّا لرسول الله ﷺ ودفاعًا عنه ﷺ.

(٤) حكمة النبي ﷺ في الفصل بين الغلامين حتى لا يحزن أي واحد منهما.

❋ ❋ ❋

إن تصدق الله يَصْدُقك

كان يا ما كان... كان هناك رجلٌ أعرابى يعيش فى أرض الجزيرة فسمع عن الإسلام وعن أخلاق النبى ﷺ فأحب هذا الدين وأحب النبى الأمين ﷺ حُبًّا جَمًّا فذهب إلى النبى ﷺ وأعلن إسلامه وهو فى غاية السعادة والسرور.

ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة المنورة وجاهد مع النبى ﷺ.

* وفى غزوة خيبر انتصر المسلمون انتصارًا باهرًا وغنموا غنائم كثيرة.

وأخذ النبى ﷺ يقسم الغنائم بين أصحابه وبحث عن هذا الرجل فلم يجده فترك نصيبه من الغنائم مع أحد الصحابة.

فلما جاء هذا الرجل الأعرابى دفعوا له الغنائم التى تركها له النبى ﷺ فقال: ما هذا؟

قالوا: هذا نصيبك من غنائم خيبر تركه لك النبى ﷺ .

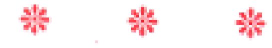
فحزن الرجل ولم يفرح.. وأخذ تلك الغنائم وذهب بها إلى النبى ﷺ فسلَّم عليه وقال له: يا رسول الله... والله أنا لم أتبعك وأجاهد معك من أجل هذه الغنائم وإنما اتبعتك من أجل أن أفوز بالشهادة فى سبيل الله وأموت بسهم فى حلقى فأدخل الجنة.

فقال له النبى ﷺ : «إن تصدق الله يصدقك».

* ولما جاءت الغزوة التى بعدها دخل هذا الرجل الصادق فقاتل مع النبى ﷺ بكل صدق وإخلاص حتى ضُرب بسهم فى حلقه كما تمنى فقُتل شهيدًا.

فحمله الصحابة ودخلوا به على النبى ﷺ فلما رآه النبى ﷺ قد ضرب بالسهم فى نفس المكان الذى أشار إليه -فى حلقه- قال لأصحابه: **«صدق الله فصدقه الله».**

ثم كفَّنه النبى ﷺ فى جُبته ثم قدَّمه فصلى عليه وقال: **«اللهم إن هذا عبدك خرج مهاجرًا فى سبيلك فقُتل شهيدًا وأنا على ذلك شهيد».**



الدروس المستفادة:

(١) أن الدنيا لا تستحق أن يتنافس المسلمون عليها فهى لا تساوى عند الله جناح بعوضة... ولقد رأينا كيف أن هذا الصحابى الجليل لم يفرح بالغنائم بل ذهب بها إلى النبى ﷺ وقال له: إنما اتبعتك من أجل أن أفوز بالشهادة فى سبيل الله - جل وعلا.

(٢) أن المسلم لابد أن يكون صادقًا مع الله... ولقد رأينا كيف أن هذا الصحابى تمنى أن ينال الشهادة بسهم يصيبه فى حلقه فكان كما أراد... حتى قال عنه النبى ﷺ : **«صدق الله فصدقه الله»**.

(٣) أن المسلم لابد أن ينشغل بالفوز فى الآخرة فيتمنى الشهادة بصدق من قلبه ليفوز بالفردوس الأعلى... وقد قال النبى ﷺ : **«من سأل الله الشهادة بصدق؛ بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**.

❋ ❋ ❋

قصة النخلة واليتيم

كان ياما كان.

كان فى زمن النبى ﷺ غلام يتيم وكان له بستان بجوار بستان رجل من الأنصار .. فأراد هذا الغلام اليتيم أن يبنى جداراً فاصلاً بين بستانه وبستان الرجل الأنصارى.

وبينما كان اليتيم يبنى ذلك الجدار الفاصل وجد نخلة لهذا الرجل الأنصارى تعترض الجدار .. فما كان منه إلا أن ذهب للرجل وطلب منه أن يمنحه تلك النخلة على سبيل الهدية ليبنى الجدار من خلفها ويجعلها فى بستانه فرفض الرجل الأنصارى هذا الأمر.

فطلب منه الغلام اليتيم أن يبيع له تلك النخلة .. فرفض الرجل الأنصارى أن يبيع له تلك النخلة.

فقال له الغلام اليتيم: إذا لم تُعطنى النخلة سأذهب وأشكوك إلى رسول الله ﷺ .. فسكت الرجل ولم يرد

عليه ظنًا منه أن الغلام يهدده ولن يذهب إلى الرسول ﷺ .

فذهب الغلام إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه ذلك الرجل الأنصارى فجاء النبى ﷺ مع هذا الغلام وذهبا إلى هذا الرجل الأنصارى فلما رآهما الرجل غضب غضبًا شديدًا لأنه علم أن الغلام قد شكاه إلى رسول الله ﷺ .

دخل النبى ﷺ على الرجل الأنصارى وسلَّم عليه فردَّ السلام على رسول الله ﷺ .

فطلب منه النبى ﷺ أن يعطى النخلة للغلام اليتيم.. فرفض الرجل الأنصارى فأشار عليه النبى ﷺ أن يبيع النخلة للغلام اليتيم .. فرفض الرجل الأنصارى.

فقال له: **«أعطه النخلة ولك بها نخلة فى الجنة»**.. فرفض الرجل الأنصارى.

* ولا يظن أحد أن هذا الرجل الأنصارى كان يريد بذلك أن يعصى أمر النبى ﷺ ولكنه كان فى تلك اللحظة غاضبًا لأن الغلام قد شكاه إلى رسول الله ﷺ .

* وهنا قام الصحابى الجليل أبو الدحداح وقال للنبى ﷺ : يا رسول الله .. أرأيت إن اشتريت تلك النخلة وأعطيتها لهذا الغلام اليتيم فهل يكون لى نخلة فى الجنة؟

فقال له رسول الله ﷺ : «نعم».

فقام أبو الدحداح وذهب إلى هذا الرجل الأنصارى رضي الله عنه وقال له: أيها الرجل هل تعرف بستان أبى الدحداح؟

قال الرجل: نعم .. ومن فى المدينة لا يعرف بستان أبى الدحداح.

وكان بستان أبى الدحداح به ستمائة نخلة وبئر وبيت وحوله سور كبير وكان الثمر الذى فيه من أجمل ثمار المدينة.

فقال له أبو الدحداح: البستان كله لك على أن تعطينى تلك النخلة.

فوافق الرجل الأنصارى على ذلك.

فانطلق أبو الدحداح إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله لقد اشتريت النخلة وأعطيتها لهذا الغلام اليتيم.

فتبسم النبي ﷺ وهو يقول: «كم من عذقٍ ردَّاح لأبي الدحداح في الجنة».

أي: كم من نخلة مُثمرة لأبي الدحداح في الجنة.

* وعلى الفور ذهب أبو الدحداح ليُسلِّم البستان لهذا الرجل الأنصاري فلما وصل إلى البستان سمع صوت زوجته وأولاده داخل البستان فنادى على زوجته وقال: يا أم الدحداح.

قالت: أجل يا أبا الدحداح.

قال: اخرجي أنت وأولادك من البستان فقد بعته لله (جل وعلا).

فقالت زوجته: ربح البيع يا أبا الدحداح.

فلما أرادت أن تخرج هي وأولادها من البستان وإذا بطفل صغير من أبناء أبي الدحداح يلتقط ثمرة ليأكلها . . فقامت أمه بإخراج الثمرة من فمه وألقتها في الأرض وقالت: سامحني يا بُني فقد بعناه لله (جل وعلا).

* وهكذا فاز أبو الدحداح بنخيل في الجنة بسبب نخلة اشتراها وأهداها لهذا الطفل اليتيم.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يكون رحيمًا بكل من حوله.. وأن تزداد رحمته بالأطفال اليتامى الذين أوصانا بهم الله (جل وعلا) وأوصانا بهم رسول الله ﷺ وأخبر بأن كافل اليتيم سيكون معه فى الجنة.

(٢) أن عاقبة الغضب وخيمة .. ولقد رأينا كيف أن هذا الرجل الأنصارى لما غضب غضبًا شديدًا وقع فى معصية أمر الرسول ﷺ دون أن يقصد ذلك.

(٣) أن المسلم يغتنم أى فرصة تُبلغه جنة الرحمن (جل وعلا) .. ولقد رأينا كيف أن أبا الدحداح ضحَّى بأجمل بستان فى المدينة من أجل أن يفوز بنخلة فى الجنة.

(٤) أن الزوجة الصالحة هى التى تعين زوجها على فعل الخير .. ولقد رأينا كيف أن زوجة أبى الدحداح لم تعترض على ما فعله فى البستان لأنها تعلم أن موضع سوط فى الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها.



رجل من أهل الجنة

كان النبي ﷺ يجلس مع أصحابه يعلمهم ويربيهم ويرتقى بأرواحهم إلى جنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفى يوم من الأيام جلس النبى ﷺ بين أصحابه وقال لهم: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة».

فطلع رجل من الأنصار يتساقط ماء الوضوء من لحيته فدخل المسجد فصلى ثم خرج.

وفى اليوم التالى قال النبى ﷺ لأصحابه: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»... فطلع نفس الرجل.

وفى اليوم الثالث قال النبى ﷺ لأصحابه: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة».... فطلع نفس الرجل.

فلما أراد الرجل أن ينصرف تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقال له:

لقد أغضبتُ أبى عمرو بن العاص... فحلف ألا

تدخل البيت لمدة ثلاثة أيام . . .

قال الرجل الأنصارى: وماذا تريد منى إذن؟

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: هل تسمح لى أن أكون معك فى بيتك لمدة ثلاث ليال . . .

قال الرجل الأنصارى: موافق بالطبع .

وفى كل ليلة كان عبد الله بن عمرو بن العاص يذهب وينام فى بيت الرجل الأنصارى .

وفى الليلة الأولى ظل عبد الله يراقب الرجل الأنصارى . . . فتعجب عبد الله من هذا الرجل . . . فهو لا يقوم ليصلى بالليل .

ولكنه كلما استيقظ ذكر الله ، ثم يظل نائمًا حتى يؤذن الفجر فيقوم ويصلى الفجر . . .

ومرت الليلة الأولى . . . وفى الليلة الثانية ذهب عبد الله بن عمرو بن العاص إلى الرجل الأنصارى . . . فوجده يفعل مثلما فعل فى الليلة الأولى . . . فلا يصلى إلا الفجر .

وفى الليلة الأخيرة وجده عبد الله يفعل مثلما فعل فى

الليلتين السابقتين.

قال عبد الله بن عمرو: فلما رأيته لا يصلى إلا الفريضة كدت أن أحتقر عمله.

وقال عبد الله للرجل الأنصارى: إنى لم يكن بينى وبين أبى غضبٌ ولا هجر ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات: **«يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»** فطلعت أنت فى كل مرة... فأردت أن أرى ماذا تعمل لأقتدى بك فلم أرك تعمل كثير عملٍ فما الذى بلغ بك هذه المنزلة؟ وما الذى جعل النبى ﷺ يقول عنك إنك من أهل الجنة؟

فقال الرجل الأنصارى: هو ما رأيت غير أنى لا أحسد أحدًا ولا أحمل فى قلبى غشًا لأحدٍ من المسلمين.

فعلم عبد الله بن عمرو أن هذا هو السر الذى جعل النبى ﷺ يشهد لهذا الرجل بأنه من أهل الجنة.

❋ ❋ ❋

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يحرص كل الحرص على معرفة الأعمال التى توصله إلى الجنة وأن يعملها ليدخل الجنة.

(٢) الحرص على صحبة أهل الخير ليكونوا عونًا لنا على طاعة الله - جل وعلا-.

(٣) أن المسلم لا يحسد أحدًا ولا يحمل فى قلبه غشًّا لأحد من المسلمين.

(٤) أن المسلم لا يحمل فى قلبه إلا الحب والمودة لكل من حوله من المسلمين.

* * *

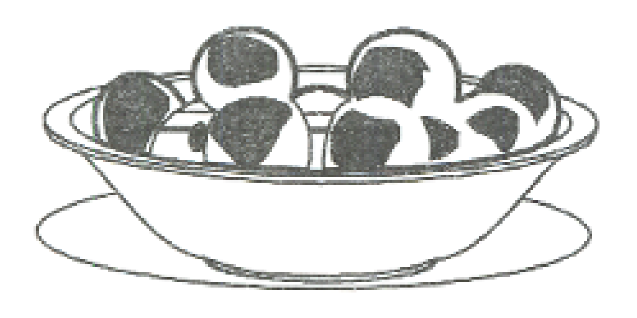


الرجل الذى أطعم ضيف رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ يجلس دائمًا مع أصحابه ليعلمهم ويربيهم وليطمئن على أحوالهم. . . وفى يوم من الأيام كان النبى ﷺ جالسًا مع أصحابه فجاء إليه رجل غريب يشكو من شدة الجوع فقال: السلام عليك يا رسول الله فردَّ النبى التحية بأحسن منها وقال: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

فقال الرجل: يا رسول الله إنى جائع وأريد طعامًا.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى زوجاته وطلب منهن طعامًا لهذا الرجل ولكنه لم يجد طعامًا عند أى واحدة



منهن فلم يكن عندهن سوى الماء.

فنظر النبى ﷺ لأصحابه وقال: «من يُضيف هذا الرجل هذه الليلة؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا أضيفه الليلة عندى يا رسول الله.

فابتسم النبى ﷺ وفرح بحب أصحابه لفعل الخير دائمًا.

قام الرجل الأنصارى وأخذ معه هذا الضيف إلى بيته ليكرمه ويطعمه.

فدخل الرجل الأنصارى على زوجته وقال لها: السلام عليكم يا زوجتى العزيزة.

فقالت له: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. حمدًا لله على عودتك

فقال الرجل الأنصارى لزوجته: هل عندكِ طعام؟

فقالت له الزوجة: الحمد لله فعندنا طعام يكفى أطفالنا.

فقال زوجها: معى بالخارج ضيف فجهزى له هذا الطعام.

فنظرت إليه زوجته وقالت له: وأبناؤنا ماذا سيأكلون؟

فقال لها زوجها: اشغليهم بأى شىء.

فقالت الزوجة: لكنهم سيسألون عن العشاء.

فقال لها زوجها: إذا أرادوا تناول العشاء فاجعليهم ينامون.

فقالت له الزوجة: أمرك يا زوجى.

ثم قال لها زوجها: عليك حين يدخل الطعام أن تُطفئى المصباح فتعجبت الزوجة من كلام زوجها وقالت: له: لماذا أطفئ المصباح؟

فقال لها زوجها: حتى أُشعر الضيف أننى آكل معه.. فلا يشعر بالحرج والخجل، فالطعام قليل ولا يكفى إلا واحدًا فقط.

وبالفعل نفذت الزوجة ما قاله زوجها.

فنام الأطفال وما أن دخل الضيف وتم وضع الطعام حتى أسرعت الزوجة وأطفأت المصباح.

فأكل الضيف حتى شبع وهو يعتقد أن الرجل يأكل معه.

وعندما انتهى الضيف من تناول الطعام شكر الرجل الأنصارى؛ لأنه أطعمه.. ثم انصرف بعد ذلك.

بينما نام الرجل وزوجته وأبناؤه وهم جائعون.

وفى الصباح ذهب الرجل الأنصارى للمسجد.. وشاهده رسول الله ﷺ ونادى عليه وأخبره:

بأن الله ضحك من فعله هو وزوجته مع ضيف رسول الله ﷺ وأن الله عز وجل أنزل فيهما قرآنًا وهو قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

* * *

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

الدروس المستفادة:

(١) أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة وأن كثرة المال ليس دليل محبة من الله لعبده... وأن قلة المال ليس دليل هوان العبد على ربه.

فقد رأينا كيف أن النبى ﷺ وهو سيد البشر لم يكن فى بيوت أزواجه إلا الماء.. فلم يكن عندهم قطعة خبز واحدة ومع ذلك فهى خير بيوت وأسعد بيوت عرفتها الدنيا كلها.

(٢) حب المسلم لفعل الخير... فقد رأينا كيف أن النبى ﷺ لما سأل: من يضيف هذا الرجل هذه الليلة.. قام هذا الرجل الأنصارى ليعلن عن استعداده لذلك مع أنه لا يوجد فى بيته إلا طعام أولاده.

(٣) حرص المسلم على الحفاظ على مشاعر الآخرين.. فقد رأينا كيف أن الرجل الأنصارى طلب من زوجته أن تطفئ المصباح حتى يأكل الضيف ولا يشعر بالحرج عندما يعلم أنه هو الذى يأكل وحده وأن أهل البيت لا يجدون لقمة واحدة يأكلونها.

(٤) أن إكرام الضيف من علامات الإيمان.. فقد قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

(٥) أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً... فقد أخبر الله رسوله ﷺ بما فعله هذا الصحابى الجليل هو وزوجته مع هذا الضيف وأخبره عن طريق الوحى أنه (سبحانه وتعالى) ضحك من فعل هذا الرجل وزوجته مع هذا الضيف... وقد ثبت فى أحاديث النبى ﷺ أن الله إذا ضحك لعبد من عباده فى أى موطن فإنه يُدخله الجنة يوم القيامة بلا حساب ولا عذاب.

(٦) أن البيت السعيد لابد أن نجد فيه التفاهم والمحبة والمودة بين الزوجين... وقد رأينا كيف أن زوجة الرجل الأنصارى لم تعترض على زوجها عندما أمرها أن تجهز طعام أولادها للضيف بل فعلت ما أمرها به برضا وعن قناعة.

❊ ❊ ❊

امرأة من أهل الجنة

في يوم من الأيام خرج عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من بيته وبينما هو يسير في طريقه؛ إذ لقيه عطاء بن أبي رباح، فسلم عليه وسار معه في طريقه.

وفجأة مرت من أمامهما امرأة سوداء قد امتلأ قلبها بالإيمان.

فقال ابن عباس لعطاء: يا عطاء .. هل تريد أن ترى امرأة من أهل الجنة تعيش على الأرض الآن وتمشي بيننا؟

قال عطاء: نعم والله.

فقال ابن عباس: هذه المرأة السوداء التي تسير أمامنا هي امرأة من أهل الجنة.

فقال عطاء: وما يدريك أنها من أهل الجنة؟

فقال ابن عباس: لقد جاءت إلى النبي ﷺ منذ أيام وكنت واقفًا بجوار النبي ﷺ .. فلما رأت النبي ﷺ اشتكت إليه أنها مصابة بالصرع وأنها تُصرع وتقع

على الأرض بدون إرادتها، ويتكشف جسدها دون أن تدرى .. وطلبت من النبى ﷺ أن يدعو لها بالشفاء العاجل:

فما كان من النبى ﷺ إلا أنه خيَّرها بين أمرين: إما أن يدعو لها بالشفاء من هذا المرض فتشفى، وإما أن تصبر وتكون من أهل الجنة فاختارت هذه المرأة أن تصبر لتكون من أهل الجنة.

ولكنها لشدة حيائها طلبت من النبى ﷺ أن يدعو لها أنها إذا صُرعت ووقعت على الأرض ألا يتكشف جسدها.

فدعا لها النبى ﷺ، فكانت تُصرع بعد ذلك وتقع على الأرض ولا يتكشف جسدها.



* وها هي القصة كما وردت في السُّنَّة:

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى.

قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع لي.

قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك».

فقالت: أصبر.

فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها (١).

* * *

(١) رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

الدروس المستفادة:

(١) أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان .. وأنه لا يوجد إنسان على وجه الأرض يعيش بغير ابتلاء .. أما النعيم الحقيقى الدائم، فلن يكون إلا فى الجنة.

(٢) أن ثواب الصبر عظيم فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

(٣) أن الصبر على البلاء يورث الجنة.

(٤) أن المرأة المسلمة العفيفة لا بد أن تكون حريصة على ستر بدنها وعلى لبس حجابها الذى أمرها الله به.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

قصة سباق النبى ﷺ لعائشة رضي الله عنها

كان النبى ﷺ أسعد زوج فى العالم .. وكانت زوجاته أسعد زوجات فى العالم كله فقد كان النبى ﷺ يعامل أزواجه معاملة رقيقة كلها رحمة ومودة ومحبة .. ولعل القصة التى سأذكرها لكم الآن تعطى صورة حية لحُسن معاملة النبى ﷺ لأزواجه.

ففى يوم من الأيام أراد النبى ﷺ أن يسافر وعمل قُرعة بين زوجاته فخرج اسم عائشة رضي الله عنها فسافرت معه.

وكانت عائشة رضي الله عنها فى هذا الوقت نحيفة الجسد لم تحمل اللحم ولم تكن سمينة.

فقال النبى ﷺ للجيش: «تقدموا».. فتقدموا ولم ينظروا إلى الخلف حتى يستطيع النبى ﷺ أن يتكلم مع عائشة رضي الله عنها.

فقال لها النبى ﷺ : «تعالى أسابقك».

فضحكت أمنًا عائشة ووافقت على طلب النبي ﷺ ووقفت بجوار النبي ﷺ لتسابقه.

فلما بدأ السباق انطلقت أُمنا عائشة بكل قوة فقد كانت نحيفة وسريعة فسبقت النبي ﷺ.

* وبعد مدة من الزمن سافرت عائشة رضي الله عنها مع النبي ﷺ مرة أخرى وكانت قد سمنت وحملت اللحم فأصبحت لا تستطيع أن تجرى بسهولة كما كانت تفعل من قبل.

فقال النبي ﷺ للجيش: «تقدموا».. فتقدموا جميعًا ولم يلتفت منهم أحد حتى يستطيع النبي ﷺ أن يتكلم مع عائشة رضي الله عنها ثم قال النبي ﷺ لها: «**تعالى أسابقك**».

فقالت له: يا رسول الله لا أستطيع فقد سمنت وحملت اللحم.

فأمرها النبي ﷺ أن تسابقه ففعلت.

وانطلقت أُمنا عائشة رضي الله عنها ولكنها تعبت بعد وقت قصير..

أما النبي ﷺ فقد انطلق وسبقها ثم جعل يضحك ويقول لها: «**هذه بتلك السبقة**».

* ولقد وردت هذه القصة في سُنة النبي ﷺ :

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها: «أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ وهي جارية؛ قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال لأصحابه: «تقدموا».

فتقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك».

فسابقته، فسبقته فلما كان بعد (وفي رواية: فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت)، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: «تقدموا».

فتقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك».

ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله! وأنا على هذا الحال؟ فقال: «لتفعلن».

فسابقته، فسبقني، فجعل يضحك، وقال: «هذه بتلك السبقة»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الحميدي في «مسنده» (ق ٤٢/ ٢)، وأبو داود (٢٥٧٨)، والنسائي في «عشرة النساء»، والسياق له، وغيرهم، وقال الشيخ الألباني في «الصحيحة»: هذا سند صحيح على شرط الشيخين، وقد صححه العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٤٠).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يُحسن معاملة زوجته؛ لأن الله أمرنا بهذا فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[١] ولأن النبي ﷺ أمر بذلك، فقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٢].

وقال ﷺ: «الله الله في النساء»[٣]... أي اتقوا الله في النساء.

(٢) لابد أن يكون هناك فُسحة أو دعابة بين الرجل وزوجته ولكن بدون الوقوع في أي مخالفة شرعية.

(٣) أن المداعبة التي تكون بين الزوج وزوجته تنشر روح المحبة والمودة وتُديم العشرة بينهما.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٣١٤).

(٣) أخرجه مسلم.

قصة أم سُليم وصبرها عند موت ولدها

لما بُعث النبى ﷺ وبدأ يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده آمن معه بعض الناس وكفر البعض الآخر.

وكان من بين من آمن مع النبى ﷺ أم سُليم رضي الله عنها وهى أم الصحابى الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه.

وظلت أم سليم تُعلم ابنها أنس بن مالك الإيمان والتوحيد ولكن زوجها كان يكره ذلك وكان يرفض الإيمان بالله (جل وعلا).

وكانت أم سُليم فى غاية الحزن لأن زوجها كان كافراً.

وفى يوم من الأيام خرج هذا الرجل من البيت مُغضبًا ومات كافراً.

وتفرغت أم سُليم لتربية ولدها أنس على الإيمان والتوحيد.

إلى أن جاء اليوم الذى تقدم فيه لخطبتها أبو طلحة

ولكنه رغم جماله وثرائه إلا أنه كان كافرًا.

فأخبرته أم سُليم أنه إذا أسلم فإن إسلامه سيكون مهرًا لها وأنها لا تريد منه مالاً ولا أى شيء من متاع الحياة الدنيا.

فأسلم أبو طلحة الأنصارى رضي الله عنه وتزوجها وكان مهرها الإسلام.

* وبعد فترة يسيرة أنجبت له ولدًا مباركًا أدخل السعادة على قلبه.... ولكنه في يوم من الأيام مرض مرضًا شديدًا.. وكان أبو طلحة يخرج من البيت للعمل ولطلب العلم على يد رسول الله ﷺ ثم يعود مسرعًا ليطمئن على حالة ولده.

وفى يوم من الأيام خرج أبو طلحة من البيت.. ولكن الولد مات بعد خروجه فطلبت أم سليم من أهلها ألا يخبروا أبا طلحة بذلك حتى تخبره هى.

فلما عاد أبو طلحة سألها: كيف حال الولد؟

قالت له: هو أهدأ وأسكن ما يكون.. ففهم منها أنه شُفى وكانت هى تقصد أنه مات.

وقامت أم سليم فأعدت له الطعام حتى أكل وشبع ثم نام واستراح وأخذ حقه الشرعى من زوجته.. فلما أصبح أخبرته أم سُليم بموت ولده.

فخرج وهو فى قمة الغضب وذهب إلى النبى ﷺ وأخبره بما حدث من أم سُليم، فتبسم النبى ﷺ ودعا لهما بأن يبارك الله لهما فى هذه الليلة.. فحملت أم سليم فى هذه الليلة من أبى طلحة وولدت بعد ذلك غلامًا جميلاً فطلبت من ابنها أنس بن مالك أن يأخذ هذا المولود ويذهب به إلى رسول الله ﷺ ويأخذ معه بعض التمرات.

فلما ذهب إلى النبى ﷺ أخذ تلك التمرات ومضغها ثم أخذ شيئًا من ريقه ﷺ وجعله فى فم هذا المولود وجعل يمسح فمه من الداخل بريقه الممزوج بالتمر[1] حتى تصيبه بركة الرسول ﷺ.. ثم سمَّاه عبد الله..

يقول راوى هذه القصة: فلما كبر عبد الله وتزوج أنجب تسعة من الأولاد كلهم قد حفظ القرآن.

* * *

(١) وهذا الذى يسمونه بالتحنيك.

الدروس المستفادة:

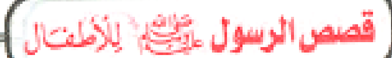
(١) أن الأم هى التى تبذل الجهد الأكبر فى تربية أولادها، ولقد رأينا كيف كانت أم سليم رضي الله عنها تبذل جهدًا كبيرًا فى تربية ولدها.

(٢) أن الدين أغلى من كل متاع الدنيا .. ولقد رأينا كيف أن أم سُليم رضي الله عنها ضحت بكل شىء ورضيت أن يكون مهرها الإسلام.

(٣) أن المؤمن يُبتلى كثيرًا ولكن يجب عليه أن يصبر على قضاء الله (جل وعلا) .. ويُستحب له أن يرتقى بقلبه وروحه إلى درجة الرضا عن الله وعن قضائه.

(٤) أن المسلم إذا رضى بقضاء الله (جل وعلا) فإن الله يعوضه أضعاف ما فقده.





قصة النمام والذى لا يستتر من بوله

كـان النبى ﷺ يسيـر مع أصحـابه مـرة يكلمـهم ويُعلمهم . . . وفجأة مروا جميـعًا أمام قبرين فرأوا النبى ﷺ قد تغير وجهه.

فقال الصحابة: ما لك يا رسول الله؟

فقال ﷺ : «ألا تسمعون ما أسمع؟».

قالوا: لا يا رسول الله .. فماذا تسمع؟

فقـال ﷺ : «هذان رجـلان يُعذَّبان فى قـبـورهما عـذابًا شديدًا».

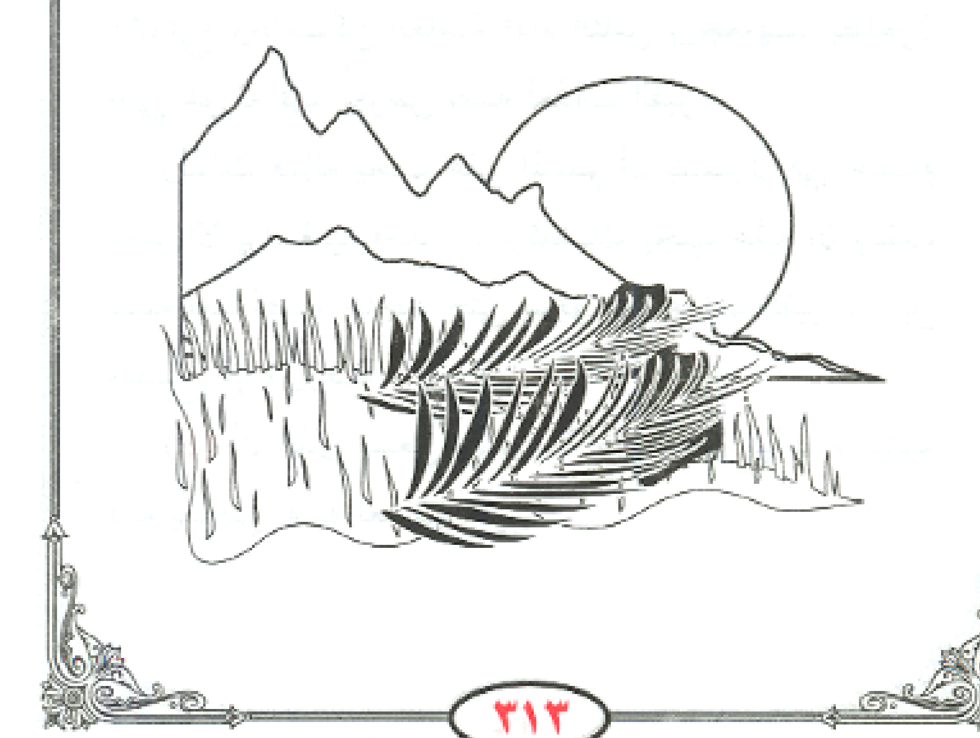
فقالوا: ولماذا يا رسول الله؟

فقال ﷺ : «أما أحدهمـا فكان لا يستنزه من بوله - أو لا يستـتـر من البـول - وأمـا الآخر فـكان يمشى بين الناس بالنميمة».

* ثم طلب النبى ﷺ من الـصحـابة أن يأتوا إليـه

بجريدة رطبة، فكسرها نصفين ووضع نصفها على القبر الأول ونصفها على القبر الثاني وقال: لعله يخفف عنهما من عذاب القبر ما لم ييبسا.

* * *



الدروس المستفادة:

(١) حب الصحابة للنبى ﷺ .. فقد كانوا لا يطيقون أن يروا النبى ﷺ حزينًا ولذلك بمجرد أن رأوه قد تغير وجهه قالوا: ما لك يا رسول الله؟

(٢) أن النبى ﷺ كان يسمع صوت عذاب القبر.. وهذا أمرٌ خاص بالنبى ﷺ وحده.

(٣) أن المسلم الذى لا يستنزه من البول .. أى لا يُنظف نفسه بعد أن يتبول فإنه يُعرض نفسه لعذاب القبر. وكذلك المسلم الذى لا يستتر من البول .. أى يتبول فى الشوارع والأماكن العامة أمام الناس ويجعلهم يطلعون على عورته فإنه يُعرض نفسه لعذاب القبر.

ولذلك فإنه يجب على المسلم أن يتبول فى حمام مغلق لا يراه فيه أحد .. وكذلك يجب عليه أن ينظف نفسه بعد قضاء حاجته حتى ينجو من عذاب القبر .. بل ويصبح قبره روضة من رياض الجنة.

(٤) أن الذى يسعى بالنميمة بين الناس ليُفسد بينهم فإنه يُعرض نفسه لعذاب القبر.

والنميمة هى أن يذهب الرجل لينقل الكلام بين اثنين على سبيل الإفساد بينهما.

(٥) أن وضع الجريدتين على القبرين لتخفيف العذاب عن الرجلين المدفونين كان أمرًا خاصًا بالنبى ﷺ وحده.

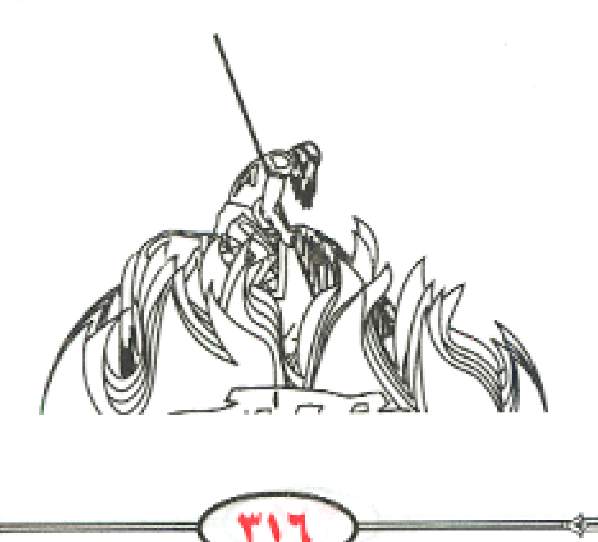
ولذلك فمن الخطإ أن يأتى أى مسلم بجريدة رطبة ويضعها على أى قبر ظنًّا منه أن ذلك يخفف من عذاب صاحب القبر.

* * *

مقاتل من أهل النار

التقى النبي ﷺ وأصحابه في غزوة بدر بالمشركين وهزموهم شر هزيمة ... ولم ينس المشركون هزيمتهم يوم بدر وأخذوا يُعدون العدة لقتال النبي ﷺ وأصحابه.. فكان اللقاء بينهما بعد سنة في غزوة أحد.

وبدأ القتال .. والتقى المسلمون بالمشركين وكان النصر في بداية الأمر لصالح المسلمين إلى أن نزل الرُّماة من على الجبل وعصوا أمر النبي ﷺ فكانت الهزيمة بعد ذلك للمسلمين.



* لكنه حدث فى هذه الغـزوة أمر عجيب، فـقد كان هناك مقاتل فى صفوف المسلمين اســمه قُزمان وكان يقاتل قتالاً شديدًا، حتى إن الصــحابة قالوا للرسول ﷺ : يا رسول الله إن هذا الرجل ما رأينا أحدًا يقاتل مثله أبدًا لقد فعل الأفاعيل فى المشركين.

فقال لهم النبى ﷺ : «أما إنه من أهل النار!!».

فتعــجب الصحابة عندما ســمعوا هذا الكلام . . . إنه من أهل النار!!

* **فقام واحـد من الصحابة:** أنا سأكون فى صــحبة هذا الرجل لأنظر ماذا سيصنع.

فخرج هذا الصحابى الجليل ليراقب قُزمان ولينظر ماذا سيصنع.

وفجأة . . جُرح قُزمان جُرحًا شديدًا فلم يتحمل الألم فوضع سيـفه بين صدره وتحامل على السيف فقـتل نفسه فمات منتحرًا.

فعاد الصحابى مسرعًا إلى النبى ﷺ وهو يقول: أشهد أنك رسول الله ﷺ .

فقال ﷺ : «وما ذاك؟».

قال: هذا الرجل الذي قلت عنه يا رسول الله أنه من أهل النار جُرح جرحًا شديدًا فلم يتحمل الألم فقتل نفسه فمات منتحرًا.

فقال رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بخواتيمها».

* * *

الدروس المستفادة:

(١) قد نرى إنسانًا يُظهـر لنا الإيمان وهو مع ذلك لا يحمل فى قلبه إيمانًا .. فـهو منافق يُظهر للناس الإيمان ويُبطن فى قلبه الكفر - عياذًا بالله.

(٢) أن الانتحـار من علامات سوء الخـاتمة ... وقد رأينا كـيف أن هذا الرجل المنافق (قُـزمان) مـات منتحـرًا بعدما كان يقاتل بشدة فى صفوف المسلمين.

(٣) أننا لا ينبغى أن نقـول بأن فلانًا من أهل الجنة .. وهذا من أهل النار لأننا لا ندرى بأى شىء يُخـتم لهذا أو لذاك.

أما إذا قـال النبى ﷺ: فلان من أهل الجـنة وفلان من أهل النار، فإنه يقول ذلك بوحى من الله (عز وجل) إليه.

(٤) يجب علينـا أن نسـأل الله (عـزِ وجل) أن يرزقنا حُسن الخـاتمة فإن المسلم لا يدرى هل تكون خـاتمته على الإيمان والتوحيد أم على غير ذلك.

- أسـأل الله (جل وعلا) أن يـرزقنا جمـيعًا حُسن الخاتمة.

قصة المرأة التى تؤذى جيرانها

كان ياما كان ... كان هناك امرأة تعيش فى عهد النبى ﷺ.

* وكانت هذه المرأة كثيرة الصلاة ... فهى لا تصلى الصلوات الخمس فقط بل تصلى قيام الليل، وتصلى صلاة الضحى وغيرها من النوافل.

* وكانت كثيرة الصيام ... فهى لا تصوم شهر رمضان فقط بل تصوم كل يوم اثنين وخميس، وتصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهى الأيام البيض (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وتصوم يوم عرفة وعاشوراء وتُكثر من الصيام من الأشهر الحرم.

* وكانت كثيرة الصدقة ... فهى لا تدفع زكاة المال فقط بل كانت تتصدق وتنفق فى أبواب الخير.

لكن المشكلة الكبيرة أن هذه المرأة على الرغم من كل

هذه العبادات التى تفعلها كانت تؤذى جيرانها إيذاءً شديدًا .

فذهب الصحابة وأخبروا النبى ﷺ بقصة هذه المرأة . . . وأخبروه بأنها تُكثر الصلاة والصيام والصدقة غير أنها تؤذى جيرانها .

فقال النبى ﷺ : «هى فى النار».

* وفى المقابل كان هناك امرأة لا تصلى إلاَّ الصلوات الخمس ولا تصوم إلا شهر رمضان ولا تدفع إلاَّ زكاة المال . . . يعنى أنها لا تجتهد فى النوافل بل هى تقوم بأداء الفرائض فقط . . . غير أنها كانت تتصدق أحيانًا بقطع من الجبن . . . لكنها مع ذلك امرأة فاضلة ، طيبة القلب لا تؤذى أحدًا من جيرانها بل تُحسن إليهم دائمًا .

فسأل الصحابة رسول الله ﷺ عن هذه المرأة فقال : هى فى الجنة .

* * *

الدروس المستفادة:

(١) أن الدين لا يقتصر على العبادات المفروضة فقط بل إنه يشمل المعاملات بين الناس والأخلاقيات التى تغلف تلك المعاملات بغلاف الحب والرحمة والمودة.

(٢) أن إيذاء الجيران ليس من أخلاق المسلمين.. بل إن إيذاء الجار قد يكون سببًا فى ضياع حسنات العبد يوم القيامة وذلك عندما يقول هذا الجار المظلوم لله - عز وجل-: يا ربِّ اقتص لى من هذا الرجل الذى ظلمنى فيأخذ الله من حسنات الجار الظالم ويعطيها للجار المظلوم.

(٣) أن المسلم يجب عليه أن يُحسن إلى جاره.

فقد قال النبى ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره».

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره».

وقال ﷺ: «خير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره».

وقال ﷺ: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

قصة إسلام أم أبى هريرة

لما أسلم أبو هريرة (رضي الله عنه) وجاء ليقيم بجوار النبى ﷺ فى المدينة المنورة .. كانت معه أمه وكانت كافرة لم تُسلم بعد.

وكان أبو هريرة رجلاً رقيق القلب .. فكان يخشى على أمه أن تموت كافرة فتدخل النار.

فظل أبو هريرة يتألف قلبها ويعاملها أحسن معاملة ويدعوها إلى الإسلام لتكون من أهل الإيمان والتوحيد فتنجو من النار وتدخل الجنة .. فكانت ترفض دائمًا.

فأحس أبو هريرة بالخوف الشديد على أمه ومن أجل ذلك لم ييأس أبدًا بل ظل يدعوها بكل رحمة وحنان لعلها تُسلم لله (جل وعلا).

وفى يوم من الأيام دخل عليها أبو هريرة ليدعوها إلى الإسلام فقالت كلامًا بذيئًا فى حق الرسول ﷺ .. فبكى أبو هريرة بكاءً شديدًا لأن النبى ﷺ أغلى عنده

من أمه وأبيه ومن الناس أجمعين.

فأسرع أبو هريرة إلى النبي ﷺ ودموعه على خده فلما رآه رسول الله ﷺ سأله: «ما الذي يُبكيك يا أبا هريرة؟».

فقال أبو هريرة: إن أمي مشركة، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام فتأبى وترفض.. وإني دعوتها اليوم إلى الإسلام فأسمعتني فيك ما أكره.

ثم قال أبو هريرة للنبي ﷺ: يا رسول الله ادع الله أن يهدي أمي.

فقال النبي ﷺ: «اللهم اهدِ أم أبي هريرة».

ففرح أبو هريرة بدعاء النبي ﷺ لأمه بالهداية واستبشر بذلك وعاد مسرعًا إلى البيت ليرى نتيجة دعاء النبي ﷺ فهو يعلم أن النبي ﷺ مستجاب الدعاء.

فلما وصل أبو هريرة إلى البيت وجد الباب مغلقًا وسمع صوت الماء.. فلما سمعت أمه صوت رجليه قالت: انتظر يا أبا هريرة.

ثم فتحت الباب ونظرت إلى أبي هريرة وقالت: أشهد أن

لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

قال أبو هريرة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكى من الفرح فقلت: يا رسول الله لقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة.

فرح النبى ﷺ وحمد الله وقال: «خيرًا».

فقال أبو هريرة: يا رسول الله ادع الله أن يُحببنى وأمى إلى المؤمنين وأن يُحبب المؤمنين إلينا.

فقال النبى ﷺ: «اللهم حبّب عُبيدك هذا وأمه إلى المؤمنين وحبّب المؤمنين إليه».

قال أبو هريرة: فما خُلق مؤمن يسمع بى أو يرانى إلا أحبنى.



الدروس المستفادة:

(١) حسن معاملة المسلم لأمه ولو كانت كافرة فقد قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(١).

فلو كان الآباء والأمهات على الكفر بل ويدعون أولادهم إلى الكفر فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولكن على الأبناء أن يُحسنوا إلى الآباء والأمهات .. دون أن يتبعوهم في الكفر أو المعصية .. ولقد رأينا كيف أن أبا هريرة كان يُحسن معاملة أمه رغم أنها كانت كافرة لم تُسلم بعد.

(٢) لا بد أن يحرص المسلم على أن يدعو أمه وأباه للإسلام إن كانا كافرين .. ويدعوهما إلى الطاعة إن كانا على المعصية وذلك من أجل أن ينقذهما من عذاب النار، ويأخذ بأيديهما إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

ولكن لا بد أن تكون الدعوة بكل رحمة وأدب وتواضع.

---

(١) سورة لقمان: الآية: (١٥).

(٣) المسلم يحرص دائمًا على محبة إخوانه المؤمنين. . ولذلك رأينا أبا هريرة يطلب من النبـي ﷺ أن يدعو له ولأمه بمحبة المؤمنين لهما، ومحبتهما للمؤمنين.

❊ ❊ ❊

دخل الجنة
ولم يسجد لله سجدة واحدة

كان هناك رجل اسمه (عمرو بن ثابت بن وقش) وكان يكره الإسلام والمسلمين كُرهًا شديدًا.

وكان المسلمون يعرضون عليه الإسلام فيأبى ويرفض.

وفى يوم من الأيام خرج النبى ﷺ وأصحابه إلى غزوة أحد لمقابلة المشركين .. وإذا بعمرو بن ثابت يشعر فجأة بحبه الشديد للإسلام والمسلمين وللنبى محمد ﷺ فخرج يسأل عن النبى ﷺ ليعلن إسلامه .. فقالوا له: إنه قد خرج نحو جبل أحد هو وأصحابه لقتال مشركى قريش.

فذهب عمرو بن ثابت حتى وصل إلى هناك... وما إن وصل إلى جبل أحد ورأى النبى ﷺ حتى سالت دموع الفرحة على خده وأعلن إسلامه أمام النبى ﷺ وكان القتال قد بدأ فأمره النبى ﷺ أن يأخذ سيفه وأن

يقاتل المشركين.

فدخل عمرو بن ثابت يقاتل قتالاً شديدًا حتى أصيب بضربة قاتلة فسقط صريعًا وكان فى بداية السكرات.

فرآه ناس من قومه فاقتربوا منه وقالوا له: ما الذى جاء بك إلى هنا يا عمرو .. هل فعلت ذلك كراهية لقومك أو رغبة فى الإسلام؟

فقال: بل رغبة فى الإسلام فقد آمنت بالله ورسوله وأسلمت ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى.

وما هى إلا لحظات حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها (جل وعلا) . . . واستُشهد عمرو بن ثابت رضي الله عنه.

فجاء الصحابة إلى النبى ﷺ فسألوه عن عمرو ابن ثابت فقال ﷺ : «إنه لمن أهل الجنة».

* فكان أبو هريرة رضي الله عنه يمزح مع الصحابة ويقول لهم: حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة واحدة.

فإذا لم يعرفه أحد، قال أبو هريرة: إنه عمرو بن ثابت ابن وقش.

الدروس المستفادة:

(١) أن الهداية بيد الله (جل وعلا) .. فقد رأينا كيف كان الناس يعرضون الإسلام على عمرو بن ثابت فيرفض.. ثم بعد ذلك ينفتح قلبه للإسلام وحده ويذهب ويُسلم ويقاتل فينال الشهادة.

(٢) أن الأعمال بالخواتيم وأن الإنسان لا يغتر بعمله حتى يفوز بحسن الخاتمة.

(٣) ليس في القصة ما يشير إلى أن عمرو بن ثابت قد أهمل في الصلاة .. فإنه أسلم وحضر القتال مباشرة ولم تأت عليه فريضة ... ولذلك دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة.

* * *

الثلاثة الذين أخرجهم الجوع

كان النبي ﷺ جالسًا في بيته يومًا وكان يشعر بالجوع ولم يكن هناك أي طعام في بيوت أزواجه التسع.

فلما اشتد الجوع على النبي ﷺ خرج من البيت فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فسألهما: «ما الذي أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟».

قالا: الجوع يا رسول الله.

فقال ﷺ: «وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني إلا الجوع».

ثم قال لهما: «قوما معي» ... فقاما معه ﷺ.

فذهب النبي ﷺ إلى رجل من الأنصار اسمه أبو الهيثم بن التَّيِّهان فطرق النبي ﷺ على بابه فخرجت امرأته وقالت للنبي ﷺ ولصاحبيه: مرحبًا وأهلاً برسول الله ﷺ وبصاحبيه.

فقال لها ﷺ: «أين زوجك؟».

قالت: ذهب ليأتى إلينا بالماء.

وفجأة جاء زوجها أبو الهيثم وفرح بمجىء النبى ﷺ وصاحبيه إلى بيته وقال: ليس هناك أحد أكرم أضيافًا منى.

فانطلق فجاء إليهم بالتمر والرطب والماء.

وقال: كُل يا رسول الله أنت ومن معك.

ثم أخذ السكين وذهب ليـذبح شاة لرسول الله ﷺ وصاحبيه.

فـقـال له ﷺ: «إياك والحلوب» أى: لا تذبح شـاة تحلب لبنها.

فذهب أبو الهيـثم وذبح لهم شاة وأخذ يشوى نصـفها وأعطى زوجته النصف الآخر لتطبخه للضيوف.

فـأخذ النـبى ﷺ قطعة مـن اللحم ووضعـهـا فى رغيف وقال: **«يا أبا الهيثم خـذ هذا الرغيف وأرسله إلى ابنتى فاطمة فإنها لم تذق طعـامًا طيبًا منذ ثلاثة أيام»**... فأرسل بها إليها.

ثم أكل النبى ﷺ وأبو بكر وعـمر وحـمدوا الله - عز وجل.

فقال لهم النبي ﷺ : «والذي نفسي بيده لتُسألُن عن هذا النعيم يوم القيامة فقد أخرجكم الجوع من بيوتكم ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

ثم سأل النبي ﷺ أبا الهيثم: «هل لك من خادم؟».

قال: لا .

قال ﷺ : «فإذا أتانا سَبيٌ فائتنا».

فلما جيء للنبي ﷺ برأسين من السبي أتاه أبوالهيثم .

فقال له النبي ﷺ : «اختر منهما».

فقال أبو الهيثم: يا رسول الله اختر لي أنت .

فقال النبي ﷺ : «خذ هذا فإني رأيته يصلي واستوصِ به معروفًا».

فأخذه أبو الهيثم وأخبر امرأته بقول رسول الله ﷺ : «واستوصِ به معروفًا».

فقالت امرأته: مادام النبي ﷺ أوصاك به معروفًا فليس هناك معروف أفضل من أن تعتقه . . . فأعتقه أبوالهيثم فصار حُرًّا .

❋ ❋ ❋

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم إذا أنعم الله عليه بنعمة فإنه يشكر الله - عز وجل - وإذا ابتلاه بالفقر والجوع فلا بد أن يصبر وأن يكون راضيًا عن الله وعن قضاء الله وأن يأخذ بالأسباب فيخرج ليبحث عن الطعام والشراب من الحلال الطيب.

(٢) أنه يجوز أن تخبر إخوانك بما أصابك دون اعتراض على قضاء الله، فقد رأينا كيف أن النبى ﷺ لما سأل أبا بكر وعمر: «**ما الذى أخرجكما؟**» قالا: الجوع يا رسول الله. فقال ﷺ: «**وأنا والذى نفسى بيده ما أخرجنى إلا الجوع**».

(٣) فضل إكرام الضيف ... فقد رأينا كيف أن أبا الهيثم قدم للنبى ﷺ ولصاحبيه أفضل ما عنده من التمر والرطب والماء واللحم.

وقد قال النبى ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**».

(٤) مكافأة من أحسن إليك ... فقد رأينا كيف أن

النبى ﷺ لما أكل عند أبى الهيثم سأله : «هل لك خادم؟» . فقال : لا .

قال ﷺ : «فإذا أتانا سَبىٌ فائتنا».

فلما أتاه السبى أعطاه .

(٥) استعمال هدية من تحب فى أفضل شىء .

فقد أخذ أبو الهيثم هذا الغلام من النبى ﷺ فلما أوصاه النبى ﷺ به خيراً كان من الممكن أن يعامله أحسن معاملة وأن يُطعمه أحسن طعام لكنه وجد أن أفضل شىء أن يُعتقه فأعتقه .



ليلة القبض على الشيطان

حبايبي الحلوين: والآن أترك المجال للصحابى الجليل أبى هريرة رضي الله عنه ليحكى لنا هذه القصة العجيبة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أمرنى النبى ﷺ أن أكون حارسًا على المكان الذى توضع فيه زكاة رمضان وأن أحفظ هذا المكان حتى لا يقترب منه أحد.

فرأيت رجلاً يسرق من الطعام فأخذته وقلت له: سوف أذهب بك إلى رسول الله ﷺ لأشكوك إليه.

فقال الرجل: سامحنى يا أبا هريرة فأنا فقير ومحتاج وعندى عيال فى أشد الحاجة إلى الطعام وأنا رجل مديون.

قال أبو هريرة: فتركته وخليت عنه .. فلما أصبحت وجدت النبى ﷺ يقول: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**».

فتعجب أبو هريرة .. كيف علم النبي ﷺ بقصة هذا الرجل؟ .. لكنه تذكر أن النبي ﷺ يُوحَى إليه من السماء فمن المؤكد أن الله عز وجل أرسل إليه جبريل عليه السلام ليخبره بهذا الخبر.

وفى تلك اللحظة تذكر أبو هريرة أن النبي ﷺ سأله: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**».

فقال أبو هريرة: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله.

فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد كذب عليك وسيعود مرة أخرى**».

قال أبو هريرة: فعلمت أنه سيعود لأن النبي ﷺ أخبرني أنه سيعود.

قال: فجلست فى مكان لا يراني فيه أحد .. وفجأة جاء هذا الرجل وأخذ يحثو من الطعام فأخذته وقلت له: سوف أذهب بك إلى رسول الله ﷺ لأشكوك إليه.

فقال الرجل مرة أخرى: سامحنى فأنا فقير ومحتاج وعندى عيال فى أشد الحاجة إلى الطعام .. ولن أعود مرة أخرى.

قال أبو هريرة: فرحمته وخليت سبيله .. فلما أصبحت وجدت النبى ﷺ يقول: «**يا أبا هريرة ما فعل** أسيرك؟».

قال أبو هريرة: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله.

فقال ﷺ : «**أما إنه قد كذب عليك وسيعود مرة** أخرى».

قال أبو هريرة: فرصدته للمرة الثالثة فوجدته يحثو من الطعام فأخذته وقلت له: سوف أذهب بك إلى رسول الله ﷺ ولن أتركك هذه المرة.

فأنت فى كل مرة تكذب وتقول: لن أعود ومع ذلك تعود فى كل مرة.

فقال له الرجل: دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قال أبو هريرة: ما هي؟

قال له الرجل: إذا آويت إلى فراشك لتنام فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ حتى تختم الآية فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح.

قال أبو هريرة: فخليت سبيله .. فلما أصبحت قال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟».

قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله.

قال النبي ﷺ: «ما هي؟».

قال أبو هريرة: قال لي: إذا أويت إلى فراشك لتنام فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية .. وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

فقال النبي ﷺ : «أما إنه قد صدقك وهو كذوب - أي: أنه ليس من عادته أن يكون صادقًا لكنه كان صادقًا معك هذه المرة -».

ثم قال له النبي ﷺ : «أتدري يا أبا هريرة من الذي يكلمك منذ ثلاث ليال؟».

قلت: لا يا رسول الله.

قال النبي ﷺ : «ذاك شيطان».

- أي: أن الرجل الذي كان يسرق الطعام كان شيطانًا ولكنه كان يأتي إلى أبي هريرة في صورة رجل.



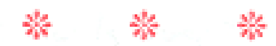
الدروس المستفادة :

(١) أن المسلم إذا كان كلفه أحد بحفظ أي شيء فلابد أن يكون أمينًا ولا يسمح لأحدٍ بأن يسرق شيئًا منها.

(٢) أن المسلم لا بد أن يصدق أى كلمة تخرج من فم الرسول ﷺ ... ولقد رأينا كيف أن أبا هريرة لما أخبره النبى ﷺ بأن الرجل سوف يعود... قال: فعلمت أنه سيعود لأن النبى ﷺ قال ذلك.

(٣) أن المؤمن قد يتعلم بعض الأشياء النافعة من غير المؤمن، فقد رأينا كيف أن أبا هريرة تعلم من الشيطان أن قراءة آية الكرسى قبل النوم تحفظ العبد من الشيطان.

(٤) أن المسلم ينبغى أن يحافظ على قراءة آية الكرسى عند النوم ليحفظه الله من كيد الشيطان فلا يقربه شيطان حتى يصبح.





المرأة التى كانت تَقُمُّ المسجد

كانت هناك امرأة سوداء مؤمنة، طيبة القلب، تحب الخير لكل المسلمين اسمها أم محجن.

كانت هذه المرأة تبحث لنفسها عن أى دور تستطيع من خلاله أن تخدم الإسلام والمسلمين.

وبعد تفكير عميق رأت أن العمل الذى تستطيع أن تقوم به وتخدم من خلاله المسلمين هو أن تَقُمَّ المسجد النبوى - أى: تكنسه وتنظفه.

وظلت أم محجن تكنس المسجد وتنظفه كل يوم حتى آخر لحظة فى عمرها.

وفى يوم من الأيام مرضت أم محجن وماتت ولم يعرف النبى ﷺ أنها ماتت ولكنه لما فقدها عدة أيام سأل الصحابة عنها: «أين أم محجن؟».

فقالوا: ماتت يا رسول الله.

فقال ﷺ: «ولماذا لم تخبرونى؟».

فقالوا: إنها ماتت ودُفـنت بالليل يا رسول الله فكرهنا أن نوقظك.

فقال ﷺ : «دلونى على قبرها».

فدلوه على قـبرها فـصلَّى عليهـا ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظُلمة على أهلها وإن الله (عز وجل) ينورها لهم بصلاتى عليهم».

❋ ❋ ❋

الدروس المستفادة:

(١) فضل تنظيف المساجد والقيام عليها .. فهذا العمل فيه ثواب كبير وفضل عظيم.

(٢) ينبغي على المسلم أن يسأل عن الصديق أو الخادم إذا غاب ليطمئن عليه وعلى أحواله.... وقد رأينا كيف أن النبي ﷺ سأل عن هذه المرأة بمجرد أن غابت عن المسجد.

(٣) الترغيب في شهود جنائز أهل الخير والصلاح.

(٤) يجوز الصلاة على الميت عند قبره لمن لم يُصلِّ عليه .. فقد ذهب النبي ﷺ إلى قبرها وصلَّى عليها.



الأمير الذى أمر جنوده بدخول النار

كان النبى ﷺ إذا أرسل سرية لقتال المشركين فلا بد أن يُؤمِّر عليهم أميرًا.

وفى يوم من الأيام أرسل النبى ﷺ سرية وجعل عليهم أميرًا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا كلامه وأن يطيعوا أمره.

وودع النبى ﷺ الجيش وأمرهم بتقوى الله (جل وعلا).

وبينما كان الجيش فى الطريق إذ حدث شىء بين الجيش وبين الأمير فأغضبوه فقال لهم جميعًا: اجمعوا حطبًا، فجمعوا له حطبًا.

فقال: أوقدوا فيه النار.

فأوقدوا فيه النار.

فقال لهم: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لى وتُطيعوا؟

قالوا: بلى.

قال: فادخلوها - أي: ادخلوا في النار.

فنظر بعضهم إلى بعض فقال شاب من بينهم: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ خوفًا من النار فلا تتعجلوا حتى نلقى النبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها.

وبعد لحظات سكن غضب الأمير وهدأ وتصالح هو والجيش.

فلما عادوا إلى المدينة وذكروا ذلك للنبي ﷺ قال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف».

* * *

الدروس المستفادة:

(١) يجب على المسلم ألا يغضب فإن الغضب يجمع الشر كله، وتأمل معى كيف أن الأمير لما غضب حمله الغضب على أن يأمر الجيش بجمع الحطب وإيقاد النار فيه ثم أمرهم أن يدخلوا فى النار.

(٢) أن الإيمان بالله سبب نجاة العبد من النار .. ولذلك قال الشاب: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ خوفًا من النار.

(٣) لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (جل وعلا).



العمل عبادة

كان ياما كان . . . كان هناك رجل فقير يعيش فى كوخٍ صغير . . . وكان هذا الرجل لا يعمل . . . وعنده زوجة وأولاد لا يجدون لقمة واحدة فما كان من هذا الرجل إلا أنه ذهب إلى النبى ﷺ ليطلب منه مالاً ليشترى به طعامًا له ولأولاده.

فسأله النبى ﷺ : «هل تعمل؟» فقال الرجل: لا.

فسأله النبى ﷺ : «هل عندك شيء فى بيتك؟».

قال له الرجل: عندى كساء نلبس بعضه ونضع بعضه على الأرض لنجلس عليه وعندى أيضًا إناء نشرب فيه.

فأمره النبى ﷺ أن يعود إلى بيته وأن يُحضر الإناء والكساء فذهب الرجل إلى بيته وأخذ الإناء والكساء وذهب بهما إلى رسول الله ﷺ .

فأخذهما النبى ﷺ وقال لمن حوله من أصحابه: «من يشترى هذا الكساء ومن يشترى هذا الإناء؟».

قال واحد من أصحابه: أنا أشتريها يا رسول الله بدرهم.

فقال النبي ﷺ : «من يزيد على درهم؟».

قال رجل آخر: أنا أشتريهما بدرهمين.

فوافق النبي ﷺ وأخذ الدرهمين وأعطاهما للرجل الفقير.

فقال له الرجل الفقير: ماذا أصنع بهذين الدرهمين يا رسول الله؟

فأمره النبي ﷺ : أن يشترى بالدرهم الأول طعامًا لزوجته وأولاده.

وأن يشترى بالدرهم الثاني قدومًا (شاكوشًا).

فتعجب الرجل وقال: وماذا أصنع بهذا القدوم يا رسول الله؟

فقال له رسول الله ﷺ : «اذهب واجمع الحطب ثم تبيعه في السوق... وتفعل ذلك كل يوم ... وأريد أن أراك بعد خمسة عشر يومًا».

سمع الرجل كلام النبي ﷺ فذهب وجمع الحطب وباعه.

وبعد مرور خمسة عشر يومًا جاء الرجل إلى رسول الله ﷺ.

فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا صنعت فى الأيام الماضية؟».

قال له الرجل: ذهبت يا رسول الله وجمعت الحطب ثم بعته... وكسبت عشرة دراهم.

فقال له النبى ﷺ: «هذا خير لك من أن تطلب مالاً من الناس».

❋ ❋ ❋

الدروس المستفادة:

(١) أن الرجل مسؤول عن إطعام زوجته وأولاده وأنه يأثم إن تركهم بلا مال ولا طعام فقد قال ﷺ : «كفى بالمرء إثمًا أن يُضيع من يقوت».

(٢) أن الإسلام دين يدعو إلى العمل وينهى عن التواكل والأخذ من أموال الناس.

(٣) أن العمل يُعتبر عبادة من نوافل العبادات التى تقرب بها إلى الله.

(٤) أن المسلم لابد أن يكون حريصًا على إسداء النصيحة لأخيه المسلم فقد رأينا كيف أن النبى ﷺ نصحه بأن يترك سؤال الناس ويذهب ليعمل ويكسب من عمله فهذا خير له فى دينه ودنياه.

(٥) أن المجتمع المسلم يقوم على التعاون والتآلف...

فلقد رأينا كيف أن النبى ﷺ لما عرض الكساء والإناء للبيع اشتراه أحد الصحابة بدرهمين وقد يكون ليس بحاجة إلى الكساء والإناء ولكنه فعل ذلك ليساعد أخاه المسلم.

(٦) أن المسلم يحرص على جلب أكبر قدر من المنفعة لأخيه المسلم.

فلقد رأينا كيف أن النبى ﷺ لما عرض الكساء والإناء للبيع فأراد رجل أن يشتريهما بدرهم فقال النبى ﷺ: «**من يزيد على الدرهم؟**» حتى اشتراهما رجل بدرهمين... وذلك يوضح مدى حرص النبى ﷺ على جلب أكبر قدر من المنفعة لهذا الصحابى الفقير.

❊ ❊ ❊

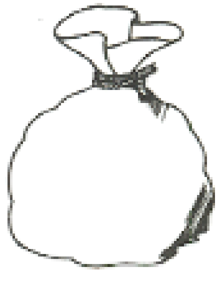


أبو بكر (رضى الله عنه) يتصدق بماله كله

كان عمر بن الخطاب ﷺ يتمنى أن يسبق أبا بكر الصديق ﷺ فى فعل أى خير يقربه إلى الله جل وعلا.

فسمع عمر أن النبى ﷺ يأمر الصحابة بالصدقة فذهب عمر إلى البيت وأخذ يجمع كل ما يمتلك من الأموال، ثم قسمها نصفين فترك نصف أمواله لأولاده، ثم ذهب بالنصف الآخر إلى النبى ﷺ وهو فى غاية السعادة أنه سيقدم نصف ماله وسيسبق أبا بكر فى فعل الخير.

فلما وصل إلى النبى ﷺ وضع نصف ماله فى حجر النبى ﷺ فسأله قائلاً: **«يا عمر.. ماذا تركت لأهلك وأولادك؟»**.



فقال عمر: تركت لهم نصف مالي وجئتك بالنصف الآخر.

* ولكن عمر وجد مفاجأة كبيرة.. يا ترى ما هي المفاجأة؟

كانت المفاجأة أن عمر وجد أبا بكر قد جمع ماله كله وجاء به ووضعه في حجر النبي ﷺ فلما سأله النبي ﷺ وقال له: «**يا أبا بكر... ماذا تركت لأهلك وأولادك؟**».

قال أبو بكر: تركت لهم الله ورسوله.

فقال عمر: والله لا أسبق أبا بكرٍ إلى خيرٍ أبدًا.

* **يعني:** علم عمر أن أبا بكر لا يستطيع أحدٌ أن يسبقه إلى أي خير.



الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يتنافس مع إخوانه فى فعل الخيرات والأعمال الصالحة التى تجعله يفوز بمحبة الله ورحمته وجنته.

(٢) أنه على قدر إيمان العبد يكون البذل والتضحية والعطاء.

فأبو بكر هو أفضل رجل فى هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ ولذلك كان أكرم وأجود الناس بعد رسول الله ﷺ.

(٣) أن الصدقة لا تُنقص المال.. فقد قال النبى ﷺ: **«ثلاثٌ أقسم عليهن: ما نقص مال عبدٍ من صدقة...»** وقد رأينا كيف أن أبا بكر أنفق ماله كله ومع ذلك عوضه الله خيراً منه لأنه على يقين بأن الله سيعوضه كل خير.



قصة الرجل الذى احتسب ولده

كان النبى ﷺ يحب أن يجلس مع أصحابه دائمًا يعلمهم ويتحدث إليهم ويحل مشكلاتهم ويتفقد أحوالهم فكان ﷺ كالوالد لكل أصحابه.

وكان إذا جلس مع أصحابه يأتى إليه رجلٌ ومعه ابنٌ صغير.

فكان الرجل إذا جلس مع النبى ﷺ يأتيه ابنه فيلاعبه ويدور حوله... فكان يملأ عليه حياته سعادة وسرورًا.

فأحسَّ النبى ﷺ بهذه العاطفة الجياشة فسأل هذا الرجل وقال له: أتحبه؟ .. يعنى أتحب ابنك هذا؟!

فقال له الرجل: أحبك الله كما أُحبه يا رسول الله.

وتمر الأيام السعيدة بسرعة ويموت هذا الولد فيجلس هذا الصحابى فى بيته حزينًا لموت ولده ولا يذهب لمجلس

الرسول ﷺ .

وبعد أيام سأل عنه النبي ﷺ وقال لأصحابه: «ما لي لا أرى فلانًا؟».

فقالوا له: لقد مات ابنه الذى رأيته معه.

فحزن النبى ﷺ وذهب على الفور لِيُعزِّيَ هذا الصحابى.

فلما وصل إليه النبى ﷺ قال له: «يا فلان أيما كان أحب إليك؟ أن تتمتع به عمرك .. أو لا تأتي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟».

فقال: يا رسول الله .. بل أحب إلىَّ أن يسبقنى إلى باب الجنة فيفتحه لى.

فقال النبى ﷺ : «فذاك لك».

فقام أحد الصحابة وقال: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟

فقال ﷺ : «بل لكلكم».

❋ ❋ ❋

* وقد وردت هذه القصة في السُّنَّة:

عن قرة بن إياس رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس، جلس إليه نفر من أصحابه، فيهم رجلٌ له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيُقعده بين يديه، فهلك[1] فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، ففقده النبي ﷺ فقال: «ما لي لا أرى فلانًا؟».

قالوا: يا رسول الله! بُنَيُّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بُنيه فأخبره أنه هلك، فعزَّاه عليه، ثم قال: «يا فُلان! أيما كان أحب إليك؟ أن تتمتع به عُمرك، أو لا تأتي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟!».

قال: يا نبي الله! بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها، لهو أحب إليَّ، قال: «فذاك لك».

قال رجل: يا رسول الله أَلَهُ خاصة أم لكلنا؟

قال: «بل لكلكم»[2].

* * *

(١) هلك: أي مات.

(١) رواه أحمد والنسائي بإسنادٍ صحيح.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يكون متواضعًا .. وقد رأينا كيف أن رسول الله ﷺ كان يجلس مع أصحابه ويتواضع لهم مع أنه قائد الأمة ورسول الله ﷺ ومع ذلك كان سيد المتواضعين.

(٢) أن ولد المسلم أغلى عنده من حياته.

(٣) أن المسلم لا بد أن يكون رحيمًا مع أولاده ومع كل من حوله.

(٤) أن من مات ولده فينبغي عليه أن يحتسبه ليفوز بالأجر والثواب وليفوز بشفاعة هذا الولد يوم القيامة.

(٥) أن من علم بأن أحد أقاربه أو أصدقائه أو جيرانه مات عزيزٌ له فينبغي أن يذهب إليه ليُعزيه ويواسيه.



قصة الشاة الميتة

كان النبي ﷺ يتعهد أصحابه دائمًا بالدعوة الرحيمة ويُذكرهم بالله (جل وعلا) وكان يُنوِّع في أساليب الدعوة حتى يستفيدوا.

وفي يوم من الأيام أراد النبي ﷺ أن يوضح لأصحابه أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولكن بشكل غير مباشر .. فما كان منه إلا أنه أخذ بعض أصحابه وسار معهم حتى دخل السوق وقد أحاط به أصحابه.

فلما دخل السوق أخذ ينظر يمينًا وشمالاً حتى وقع بصره على جَدْي ميت وأذنه صغيرة .. فنظر إليه النبي ﷺ ثم أمسك بأذنه الصغيرة لأنه كان يعلم جيدًا أن الناس لا يرغبون في شراء الجدي إذا كان صغير الأذن.

فأمسك النبي ﷺ بأُذنه الصغيرة وقال لأصحابه: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فتعجب الصحابة رضي الله عنهم

وقالوا: ما نحب أنه لنا بأى شيء وماذا نصنع به؟

فكرر النبى ﷺ سؤاله وقال: «أتحبون أنه لكم؟».

قالوا: لا والله يا رسول الله .. فإنه لو كان حيًا كان عيبًا فيه أنه صغير الأذن فكيف وهو ميت؟!!!

فأعطاهم النبى ﷺ الدرس وقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم».

أى: أن الدنيا أهون على الله من هوان هذا الجدى الميت عليكم.

فتعلم الصحابة هذا الدرس جيدًا وزهدوا فى متاع الدنيا الزائل وعملوا لآخرتهم ليفوزوا بجنة الرحمن (جل وعلا).



* ولقد وردت هذه القصة في سُنة النبي ﷺ :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلاً من بعض العالية[1]، والناس كنفتيه[2]، فمرَّ بجدي أسَكَّ[3] ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟».

فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟

قال: «أتحبون أنه لكم؟».

قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا فيه لأنه أسكّ، فكيف وهو ميت؟

فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[4].

* * *

---

(١) العالية: القرى التي في الجهة العالية من المدينة المنورة وهي جهة نجد. «فتح الباري» (١٠/٢٤٩).

(٢) كَنَفَتَيْه: أي عن جانبيه.

(٣) أسك: صغير الأذن.

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٧).

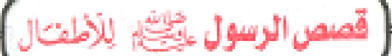
الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يُنوع ويبتكر فى أساليب الدعوة حتى يستطيع أن يصل إلى قلوب الناس فيهتدون.

(٢) أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة.. ولو كانت تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا شربة ماء.

(٣) أن المسلم ينبغى أن يوازن بين الدنيا والآخرة.. فيكون ناجحًا فى دراسته وناجحًا فى عمله ويعمر الكون ولكنه فى نفس الوقت يكون مشغولاً بنعيم الجنة ورضوان رب الجنة (جل وعلا).





قصة البعير الذى اشتكى صاحبه لرسول الله ﷺ

فى يوم من الأيام خرج النبى ﷺ من بيته وركب دابته وأخذ عبد الله بن جعفر رضي الله عنه خلفه على الدابة وسارا سويًا.

وبعد فترة دخل النبى ﷺ بستانًا لرجلٍ من الأنصار وأخذ يتأمل فى الزروع والثمار وهو يُسبِّح الله (جل وعلا)... وفجأة رأى النبى ﷺ جَمَلاً فحدث أمرٌ عجيب أغرب من الخيال، يا تُرى ما الذى حدث؟

لقد نظر الجمل إلى النبى ﷺ وظل يحن ويبكى وبدأت الدموع تنساب على وجنتيه.

فلما رآه النبى ﷺ ، تأثَّر وذهب إليه وأخذ يمسح بيده على مؤخرة رأسه بكل رحمة وحنان فسكت الجمل وكفَّ عن البكاء.

فسأل النبي ﷺ: «من صاحب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟».

فجاء فتى من الأنصار لما سمع صوت رسول الله ﷺ وقال: إنه لي يا رسول الله.

فغضب النبي ﷺ وقال له: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟» .. فتعجب الفتى من كلام النبي ﷺ الذي دخل البستان منذ لحظات وما رأى أي شيء من معاملة هذا الفتى للجمل، فمن الذي أخبر النبي ﷺ بأن هذا الفتى يُسيء معاملة الجمل.

فإذا بالنبي ﷺ يخبره بأن الجمل قد شكا إليه أنه يُجيعه ولا يطعمه إلا القليل من الطعام الرديء ومع ذلك فهو يُتعبه ويكلفه من الأعمال فوق طاقته.

* القصة لم تذكر ما الذي حدث بعد ذلك .. لكني أتوقع أن هذا الفتى قد أحسن معاملة الجمل بعد ذلك إكرامًا لمجيء رسول الله ﷺ.

* * *

* ولقد وردت هذه القصة في سُنة النبي ﷺ:

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله

ﷺ خلفه ذات يوم فأسرَّ[1] إلىَّ حديثًا، لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته[2] هدفًا[3] أو حائش نخلٍ[4].

قال: فدخل حائطًا[5] لرجلٍ من الأنصار، فإذا جَمَل، فلما رأى[6] النبي ﷺ حنَّ[7] وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذِفراه[8] فسكت، فقال: «من رَبُّ هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟».

فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله.

قال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتُدئبُه[9]»[10].

---

(١) فأسرَّ: من الإسرار أي: الكلام على وجه، لا يطلع عليه غيره.
(٢) لحاجته: أي الحاجة الإنسانية.
(٣) هدفًا - بفتحتين -: كل بناء مرتفع مشرف.
(٤) حائش نخل: هو النخل الملتف المجتمع كأنه لالتفافه يحوش بعضه بعضًا. وقال الخطابي: «الحائش: جماعة النخل الصغار».
(٥) الحائط: البستان.
(٦) أي الجمل.
(٧) حنَّ: أي رجع صوته وبكى!
(٨) ذفراه: قال الخطابي: «الذفرى من البعير: مؤخر رأسه وهو الموضع الذي يعرف من قفاه».
(٩) وتُدئبه: أي: تكرهه وتتعبه. انظر: «عون المعبود» (٧/ ١٥٨، ١٥٩).
(١٠) صحيح: انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٢٢).

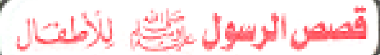
الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يكون متواضعًا .. فلقد رأينا كيف أن النبى ﷺ وهو قائد الأمة ورسولها ومع ذلك أخذ عبد الله بن جعفر رضي الله عنه معه على الدابة وسارا سويًا.

(٢) أن المسلم لا بد أن يكون رحيمًا بكل من حوله من الناس وأن يكون رحيمًا بالدواب والحيوانات .. فلقد أخبرنا النبى ﷺ أن الله قد غفر لامرأة بغيٍّ لأنها سقت كلبًا وأدخل امرأة النار لأنها حبست هرة (قطة).

(٣) أن المسلم إذا كان رحيمًا فإن الله يرحمه فى الدنيا والآخرة.... قال ﷺ: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

❊ ❊ ❊



قصة الرجل الذى يشكو أقاربه

كان النبىُّ ﷺ جالسًا فى مسجده، فجاءه رجل حزين جدًّا.

فسأله النبى ﷺ عن سبب حزنه.

فأخبره الرجل بأنه له أقارب يريد أن يصلهم حتى لا يغضب الله عليه وحتى يفوز بأجر صلة الأرحام ولكنهم يتعاملون معه معاملة سيئة.

فهو يصلهم ويزورهم ويحرص كل الحرص على أن يطمئن على أحوالهم .. ومع ذلك فهم يقطعون كل علاقة تصلهم به ولا يسألون عليه.

وهو أيضًا يُحسن إليهم غاية الإحسان بالمعاملة والكلمة الطيبة والسعى فى مصالحهم وبذل المال من أجلهم .. ومع ذلك فهم يسيئون إليه غاية الإساءة.

وهو أيضًا يتعامل معهم بكل رحمة وإذا أساءوا إليه، فإنه يكون حليمًا معهم .. ومع ذلك فهم يجهلون عليه

ويبالغون فى إيذائه والإساءة إليه.

فتعجب النبى ﷺ من حال هذا الرجل مع أقاربه.. ولكنه خشى أن يكون هذا الرجل مبالغًا فى وصف تلك العلاقة بأقاربه.

فأخبره النبى ﷺ أنه إن كان صادقًا فى كلامه فكأنما يُطعمهم الرماد الحار وأن الله سيؤيده وينصره ويعينه عليهم مادام على تلك الحالة من الإحسان مع أقاربه.

❊ ❊ ❊

* ولقد وردت هذه القصة فى سُنة النبى ﷺ:

عن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لى قرابة، أصلهم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويُسيئون إلىَّ وأحلُم عنهم ويجهلون علىَّ قال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفُّهم[1] الملَّ[2]، ولا يزال معك من الله ظهير[3] عليهم مادُمت على ذلك»[4].

---

(١) تسفُّهم: تطعمهم.

(٢) الملّ: الرماد الحار.

(٣) ظهير: مؤيد ومعين.

(٤) أخرجه مسلم وأحمد.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم إذا وقع فى مشكلة أو أزمة، فلا بد أن يستشير عالمًا من علماء الدين ليدله على الحال الصحيح من كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ.

كما ذهب هذا الرجل ليحكى مشكلته للنبى ﷺ وليسمع رأيه ونصيحته.

(٢) أن صلة الرحم واجبة على كل مسلم.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (١).

وقال النبىُّ ﷺ: «من سرَّه أن يُبسط له فى رزقه وأن يُنسأ له فى أثره فليصل رحمه»(٢).

وفى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟

قالت: بلى.

---

(١) سورة النساء: الآية (١).

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

قال: فذاك لك».

ثم قال رسول الله ﷺ : «اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[(١)] ».

(٣) أن المسلم ينبغي عليه أن يصل أرحامه حتى لو كانوا لا يستحقون المعروف والصلة وذلك لأن الله سيكافئه على ذلك وسيعاقبهم على قطيعتهم للأرحام.

* * *

(١) سورة محمد: الآية (٢٢، ٢٣) - والحديث رواه البخاري ومسلم.



شهيدة فى بيتها

كانت هناك صحابية جليلة اسمها أم ورقة بنت عبد الله .

وكانت تتمنى أن تقدم أى شىء لخدمة دين الله (جلَّ وعلا) .

وتمر الأيام سريعًا وتأتى غزوة بدر وكانت أول لقاء بين المسلمين والمشركين .

وإذا بأم ورقة تذهب إلى النبى ﷺ وهى فى غاية الشوق لتستأذنه فى أن تخرج معه للجهاد فى سبيل الله . .
وعرضت على النبى ﷺ أن تخرج معه لتعالج المرضى والجرحى وأخبرته بأنها تتمنى أن يرزقها الله الشهادة .

وإذا بالنبى ﷺ يأمرها أن ترجع إلى بيتها ويخبرها بأن الله (عزَّ وجلَّ) سيرزقها الشهادة وهى فى جوف بيتها .

فتعجبت أم ورقة رضي الله عنها وامتلأ قلبها بالسعادة والسرور بهذه البشرى التى أخبرها بها رسول الله ﷺ .

ولما علم الناس من حولها بهذه البشرى كانوا يسمونها الشهيدة.

وفى يوم من الأيام استأذنت أم ورقة رسول الله ﷺ فى أن تتخذ فى بيتها مؤذنًا فأذِن لها.

وأحسَّت أم ورقة بأنها بحاجة إلى من يخدمها فأحضرت غلامًا وجارية وعاشت أم ورقة رضي الله عنها فى بيتها تصلى وتصوم وتقرأ القرآن وتذكر الله (عزَّ وجلَّ) وهى تنتظر الشهادة التى وعدها إياها رسول الله ﷺ.

وفى يوم من الأيام كانت أم ورقة نائمة فقام الغلام والجارية ووضعا قطعة قطيفة على وجهها وضغطا عليها بشدة حتى انقطع الهواء عنها فماتت شهيدة.. وكان ذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فقام عمر رضي الله عنه ونادى فى الناس وقال لهم: من كان عنده علم عن مكان الغلام والجارية فليأتِ بهما... فجيء بهما فأمر بهما فصُلبا وكانا أول من صُلبا فى المدينة المنورة.

* وهكذا رزق الله أم ورقة الشهادة وهى فى بيتها كما وعدها بذلك رسول الله ﷺ.

* وتعالوا بنا لنعرف هذه القصة من أم ورقة رضي الله عنها:

عن أم ورقة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما غزا بدرًا، قالت: قلت له: يا رسول الله! ائذن لي في الغزو معك، أُمرِّض مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادةً.

قال: «قرِّي[1] في بيتك، فإن الله تعالى يرزقك الشهادة».

قال[2]: فكانت تُسمَّى الشهيدة.

قال: وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنًا، فأَذِنَ لها.

قال: وكانت دبَّرت غلامًا وجارية، فقاما إليها فغمَّاها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا[3].

فأصبح عمر[4] فقام في الناس، فقال: مَنْ كان عنده من هذين علم، أو من رآهما، فليجئ بهما، فأمر بهما فصُلبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة[5].

* * *

---

(١) قرِّي: الْزَمِي.
(٢) القائل: أحد رواة الحديث.
(٣) هربا.
(٤) هو: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت المؤامرة قد حدثت في عهده.
(٥) حسن: انظر «صحيح سنن أبي داود» (٥٥٢).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بُدَّ أن يكون حريصًا على العمل لخدمة هذا الدين العظيم.

(٢) أن المسلم لا بُدَّ أن يصدق رسول الله ﷺ في كل ما أخبر عنه.. ولقد رأينا كيف أن أم ورقة رضي الله عنها لما أخبرها النبي ﷺ أن الله سيرزقها الشهادة وهي في بيتها صدقت النبي ﷺ وجلست في بيتها فرزقها الله (عزَّ وجلَّ) الشهادة.

(٣) أن الشهادة أنواع ودرجات... فمن بين أنواع الشهادة أن يُقتل الإنسان وهو يدافع عن نفسه أو أن يُقتل غدرًا كما حدث ذلك مع أم ورقة ومع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين).

(٤) أن عقوبة القاتل أن يُقتل... ولكن هذه العقوبة لا يتم تنفيذها إلا من خلال ولي الأمر أو من ينوب عنه.

❋ ❋ ❋

ساعة وساعة

كان ياما كان... كان هناك صحابى جليل اسمه حنظلة رضي الله عنه وكان يسير يومًا فى الطريق وهو مهموم حزين فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فقال له حنظلة: يا أبا بكر نافق حنظلة

قال له أبو بكر: سبحان الله!.. ماذا تقول؟

فقال له حنظلة: نكون عند رسول الله ﷺ فيكلمنا عن الجنة والنار حتى كأننا نراها بأعيننا... فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ وذهبنا إلى بيوتنا وجلسنا نداعب الأزواج والأولاد فإننا ننسى كثيرًا من ذلك ولا نكون فى نفس الحالة الإيمانية التى نكون فيها عند رسول الله ﷺ.

فقال له أبو بكر: إن كنت تشعر بذلك فأنا أيضًا أشعر بذلك... فما كان منهما إلا أن انطلقا إلى رسول الله ﷺ فلما دخلا على رسول الله ﷺ أسرع حنظلة

إلى رسـول الله ﷺ وهو يقـول له: نافق حنـظلة يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟».

فقـال حنظلة: نكون عندك يا رسول الله فـتكلمنا عن الجنة والنار حـتى كأننا نراها بأعـيننا... فإذا خـرجنا من عندك يا رسول الله وذهبنا إلى بيـوتنا وجلسنا نداعب الأزواج والأولاد فإننا ننسى كـثيرًا من ذلك ولا نكون فى نفس الحالة الإيـمانية التى نكون فيها عندك يا رسول الله.

فقال له رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده - يعنى والله - **لو أنكم تدومـون على ما تكونون عندى وفى الذكـر لصافـحتكم الملائكة على فُرشكم وفى الطُرقات ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة.. ساعة وساعة... ساعة وساعة».**

❊ ❊ ❊

الدروس المستفادة:

(١) أهمية مجالس العلم والوعظ والتذكر لأنها تكون عونًا للعبد على زيادة إيمانه.

(٢) أن المسلم إذا أراد معرفة أي شيء في دينه فلا بد أن يسأل أهل العلم... وقد رأينا كيف أن أبا بكر وحنظلة ذهبا وسألا النبي ﷺ.

(٣) لا ينبغي أبدًا أن يغتر المسلم بعبادته ولا بحسناته... ولقد رأينا هذين الصحابيين الجليلين: أحدهما الصدِّيق أحد العشرة المبشرين بالجنة والآخر حنظلة كاتب رسول الله ﷺ.. وكلاهما يتهم نفسه بالنفاق مع أنهم كانوا في غاية الاجتهاد في عبادة الله.

(٤) أهمية الصحبة الطيبة التي تعين المسلم على زيادة الإيمان... فقد رأينا كيف أن الصحابة كانوا يزدادون إيمانًا إذا كانوا عند رسول الله ﷺ.

(٥) أن المسلم إذا رأى أخاه مهمومًا فلا بد أن يسأله عن حاله وأن يسعى لتفريج همومه وأحزانه.. فقد رأينا كيف أن أبا بكر لما رأى حنظلة مهمومًا سأله عن سبب همه.

(٦) أن المسلم لا بد أن يكون عـالى الهمـة. . . فقـد رأينا كـيف أن حنظلة كان يـريد أن يبقى دائمًـا فى أعلى حالة إيمانيـة وهى تلك الحالة التى يكون فيـها عند رسول الله ﷺ.

(٧) أهميـة المحافظة على ذكر الله وأنه يجلب للعـبد أعلى المقامات فى الجنة.

(٨) أن المقصود من قول النبى ﷺ : «ساعة وسـاعة» يعنى: الإيمـان يزيد وينقـص، فسـاعـة كـأنه يرى الجنة والنار، وساعة ينشغل بإصلاح دنياه.

(٩) والمقصــود من: «سَاعَـة وساعة» أى: سـاعة فى الحلال والمباح وساعـة فى طاعة الله حتى لا تمل النفس، وليس معنى ذلك ساعة فى الحرام وساعة فى الحلال.

❋ ❋ ❋

أنس يحفظ سر رسول الله ﷺ

كان ياما كان.. لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة واستقر فيها.. جاءته أم سُليم رضي الله عنها ومعها ابنها الحبيب أنس بن مالك رضي الله عنه فعرضت على النبى ﷺ أن يقبل أن يكون أنس خادمًا عنده ﷺ فوافق النبى ﷺ... وكان أنس فى هذا الوقت يبلغ من العمر عشر سنوات فعاش مع النبى ﷺ أجمل سنوات عمره وظل يخدم النبى ﷺ عشر سنوات.

وفى يوم من الأيام كان أنس بن مالك قد استأذن النبى ﷺ فى أن يذهب ليلعب مع الغلمان فوافق النبى ﷺ.. وذهب أنس ليلعب مع الغلمان.

وبعد فترة تذكر النبى ﷺ أنه يريد أن يبعث أنسًا ليأتى إليه بحاجة معينة.. فخرج النبى ﷺ فوجد أنسًا يلعب مع الغلمان فسلم النبى ﷺ عليهم جميعًا ثم نادى على أنس وأرسله ليأتى إليه بحاجة معينة.

فذهب أنس حيث أمره النبى ﷺ فأحضر له حاجته وتأخر أنس على أمه أم سليم.

فلما ذهب إليها سألته عن سبب التأخير.

قال لها أنس: بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة.

قالت له: وما هى حاجته؟

قال لها أنس: إنها سر.. ولن أفشى سر رسول الله ﷺ.

قالت له أمه: جزاك الله خيراً... إياك أن تُحدث أحدًا بسرِّ رسول الله ﷺ.

* * *

الدروس المستفادة:

(١) إذا مررت بمن هم أصغر منك سنًا فسلم عليهم.. فلقد رأينا كيف أن النبى ﷺ سلم على الغلمان عندما رآهم.

(٢) إذا لم يكن لك حظٌّ ولا نصيب فى أن تكون خادمًا لرسول الله ﷺ فكن خادمًا لسُنة رسول الله ﷺ... وذلك باتباعه وطاعته ونشر سُنته بين الناس.

(٣) يجب أن تراعى شعور أمك... فلا تتأخر عليها حتى لا تقلق عليك.. وإذا كنت ستتأخر فاتصل بها لتطمئن عليك.

(٤) وإذا سألتك أمك عن سبب التأخير فيجب عليك أن تخبرها بكل صراحة ووضوح ولا تكذب عليها ولا تُفشِ سر أحدٍ أبدًا.

(٥) احفظ أسرار الناس من حولك ولا تُفشِ لأحدٍ سرًا ولو لأقرب الناس إليك فإنها أمانة.



جنة بتمرة

كان النبي ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها التي كانت أحب الناس إلى قلبه ﷺ.

وأراد النبي ﷺ أن يخرج لكي يطمئن على أحوال الصحابة ويُعلمهم أمور دينهم.. فخرج النبي ﷺ وترك عند أمنا عائشة رضي الله عنها ثلاث تمرات.

جلست عائشة رضي الله عنها تذكر الله (جل وعلا).. وفجأة طرق الباب فقامت ووقفت خلف الباب وسألت: من الطارق؟

فقالت المرأة السائلة: أنا امرأة أرملة ومعي ابنتان يتيمتان وأريد طعامًا لهما.

ففتحت أمُّنا عائشة الباب ورحبت بهم جميعًا وأخذت تبحث في البيت عن أي طعام تعطيه لهم فلم تجد إلا ثلاث تمرات وكانت في أشد الحاجة لأن تأكل التمرات لكنها تذكرت أن النبي ﷺ كان يحض المسلمين على

إطعام وإكرام اليتامى.. فأعطت الثلاث تمرات لهذه المرأة واعتذرت لها لأنها لا تمتلك غيرها.

فلما أخذت المرأة الثلاث تمرات أعطت لكل واحدة من ابنتيها تمرة وأخذت هى تمرة واحدة.

فأكلت كل واحدة تمرتها ونظرت إلى أمها.. فلما أرادت الأم أن تأكل التمرة التى معها نظرت إلى ابنتيها ثم قسمت التمرة بينهما ولم تأكل شيئًا.. فتأثرت أمنا عائشة من هذا المشهد العجيب.

وبعد فترة عاد النبى ﷺ إلى بيت أمنا عائشة رضي الله عنها فوجدها جالسة تبكى فسألها عن السبب فأخبرته بما حدث مع هذه المرأة وابنتيها وقالت له: يا رسول الله لقد تعجبت مما فعلته هذه الأم مع ابنتيها.

فقال لها النبى ﷺ: «مم تعجبين.. فإن الله قد كتب لها الجنة بسبب ما صنعته مع ابنتيها».



الدروس المستفادة:

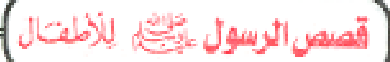
(١) أن المسلم لا بد أن يترك لزوجته وأولاده طعامهم.. فلقد رأينا كيف أن النبى ﷺ ترك التمر لعائشة رضي الله عنها وخرج دون أن يأكل شيئًا.

(٢) أن الإيثار من أفضل أخلاق المؤمنين.. ولقد رأينا كيف أن أمَّنا عائشة رضي الله عنها أعطت التمر للأم وابنتيها مع أنها كانت جائعة وفى قمة احتياجها لتلك التمرات.

(٣) أن رحمة الأم بأولادها لا نستطيع أن نصفها.. ولقد رأينا كيف أن هذه الأم قسمت التمرة بين ابنتيها ولم تأكل شيئًا.

(٤) أن الله (جل وعلا) يكافئ أهل الرحمة.. فلقد رأينا كيف أن النبى ﷺ أخبر أمَّنا عائشة بأن الله قد كتب الجنة لهذه الأم بسبب ما صنعته مع ابنتيها.





قصة الرجل الذى دخل الجنة قبل الشهيد

كان ياما كان.

كان هناك رجلان من أحد القبائل العربية .. شرح الله صدرهما للإسلام فأسلما وعاشا أجمل أيام حياتهما فى ظل هذا الدين العظيم.

وفى يوم من الأيام بدأ الجهاد فى سبيل الله وبدأت الغزوات فخرج الاثنان خلف رسول الله ﷺ ولم يتأخرا أبدًا.

وبدأت المعركة وقاتل الاثنان قتالاً شديدًا حتى استُشهد أحدهما وعاد الآخر سليمًا منتصرًا مع النبى ﷺ وأصحابه.

ثم مرت الأيام سريعًا ومات الرجل الثانى بعد استشهاد صاحبه بسنة واحدة.

* وفى يوم من الأيام نام الصحابى الجليل طلحة بن

عبيد الله رضي الله عنه فرأى منامًا عجيبًا .. نعم لقد رأى الرجل الذى مات بعد أخيه بسنة قد أمر الله بدخوله الجنة قبل الشهيد الذى استُشهد.

فذهب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فى الصباح الباكر إلى رسول الله ﷺ وأخبره بتلك الرؤيا العجيبة ثم قال له: يا رسول الله كيف يدخل هذا الرجل الجنة قبل الشهيد؟

فقال له رسول الله ﷺ: «أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سُنَّة؟ .. فما بينهما أبعد من السماء والأرض».

* * *

* ولقد روى أحد الصحابة هذه القصة الجميلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان من «بلي» حي من قُضاعة - أسلما مع رسول الله ﷺ فاستُشهد أحدُهما، وأُخِّر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيد الله[1]: فرأيت المؤخَّر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ - أو ذُكر لرسول الله ﷺ - فقال رسول الله ﷺ: «**أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعة صلاة سُنة؟**»[2].

فلما بينهما أبعد من السماء والأرض.

* * *

(١) أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه.

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» برقم (٨٣٨٠)، وقال الشيخ/ أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، وحسن المنذري إسناده في «الترغيب» برقم (٥٤٩).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يبذل نفسه وماله لخدمة دينه ووطنه.

(٢) أن من رأى رؤيا صالحة فلا يسأل عن تأويلها وتفسيرها إلا واحدًا من أهل العلم الثقات.

(٣) أن طول حياة المؤمن خيرٌ له؛ وذلك لأنه يزداد إيمانًا وطاعة لله (جل وعلا).

ولذا قال النبي ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحَسُن عمله، وشرُّ الناس من طال عمره وساء عمله»[1].

* * *

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٧).

قصة لدغ سيد الحى

خرج جماعة من أصحاب النبى ﷺ مسافرين . .
وفى الطريق أحسوا بشىء من التعب فنزلوا على حى من أحياء العرب وطلبوا من أهل الحى أن يُضيفوهم فرفضوا وكانوا فى قمة البُخل معهم .

وبات الصحابة فى ذلك المكان ولم يجدوا أى كرم من سكان هذا الحى .

* وفى تلك الليلة جاء ثعبان أو عقرب فلدغ سيد الحى . . وأخذ الناس يحاولون علاجه بكل الطرق التى يعرفونها فلم يستطيعوا علاجه حتى كاد الرجل أن يموت .

وأخذ سكان الحى يفكرون ماذا يصنعون؟ . . . إلى أن خطر على بالهم أن يلجؤوا إلى هؤلاء الصحابة الكرام الذين نزلوا فى هذا الحى .

فذهبوا إليهم وسألوهم: هل فيكم أحدٌ يُحسن الرقية؟

فقال الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى: نعم إنى لأرقى

ولكن والله لقد طلبنا منكم أن تضيفونا فلم تفعلوا فإذا أردتم منى أن أرقى سيد الحى فاجعلوا لنا ثمنًا لذلك.

ففكروا فى هذا الأمر جيدًا حتى اتفقوا فى نهاية الأمر على أن يجعلوا لهم قطيعًا من الغنم إذا أنقذوا سيد الحى.

وقام أبو سعيد الخدرى يرقى هذا الرجل بفاتحة الكتاب ويتفل عليه - أى يتفل بدون ريق وكأنه ينفخ الهواء فى وجهه - وظل على هذا الحال حتى قام سيد الحى يمشى بنشاط وحيوية وكأنه لم يُصبه شيء.

وقام القوم وأعطوا الصحابة قطيعًا من الغنم.

فلما أرادوا أن يقسموا الغنم بينهم قال لهم أبوسعيد الخدرى: لن نقسم الغنم بيننا حتى نذهب إلى النبى ﷺ فنذكر له الذى حدث وننظر ماذا يأمرنا النبى ﷺ أن نفعله.

فلما ذهبوا إلى النبى ﷺ سأل أبا سعيد: «وما يدريك أنها رقية؟» أى: ما الذى أدراك أن فاتحة الكتاب إذا رقيت بها أحدًا فإنها تكون سببًا لشفائه - بإذن الله-.

ثم ضحك النبى ﷺ وقال لهم مازحًا: «قد أصبتم..

اقسموا واضربوا لى معكم سهمًا» .. أى: اقسموا الغنم بينكم فهو مالٌ حلال واجعلوا لى نصيبًا معكم.

* * *

* ولقد روى أحد الصحابة هذه القصة الجميلة:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «انطلق نفر[1] من أصحاب النبى ﷺ فى سفرة سافروها، حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم[2] فأبوا أن يضيفوهم، فلُدغ[3] سيد ذلك الحى، فسعوا له بكل شىء[4]، لا ينفعه شىء.

فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شىءٌ.

فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدغ، وسعينا له بكل شىءٍ لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شىء؟

فقال بعضهم[5]: نعم والله، إنى لأرقى، ولكن والله

---

(١) النفر: من ثلاثة إلى عشرة.
(٢) فاستضافوهم: أى: طلبوا منهم الضيافة.
(٣) لُدغ: أى: لدغه ثعبان أو عقرب.
(٤) فسعوا له بكل شىء: أى: بذلوا كل ما يعرفوه من الطب ليعالجوه.
(٥) فقال بعضهم: هو أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه.

لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً.

فصالحوهم[١] على قطيع من الغنم. فانطلق يتفل[٢] عليه ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣] فكأنما نُشط من عقال[٤]، فانطلق يمشي وما به قلبةٌ[٥].

قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه.

فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقَدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «وما يُدريك أنها رقية؟» ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا»، فضحك النبي ﷺ[٦].

وفي رواية قال: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»[٧].

---

(١) فصالحوهم: أي: وافقوهم.

(٢) يتفل عليه: أي يتفل بدون ريق وكأنه ينفخ الهواء في وجهه.

(٣) أي: يقرأ بفاتحة الكتاب.

(٤) فكأنما نشط من عقال: أي: أقيم بسرعة - والعقال: هو الحبل الذي يُشد به ذراع البهيمة.

(٥) وما به قلبة: أي: ما به من علة.

(٦) رواه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (١ - ٢٢).

(٧) رواه البخاري (٥٧٣٧).

الدروس المستفادة:

(١) أن كرم الضيافة خُلق عظيم من أخلاق المسلمين.

قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه..»[1].

(٢) أن فاتحة الكتاب من أعظم أسباب الشفاء.. فمن رقى بها مريضًا بيقين فيما عند الله فإنه يشفى بإذن الله (جل وعلا).

(٣) أنه يجوز للراقى أن يأخذ شيئًا على ذلك ولكن دون أن يشترط على الناس أو يجعلها تجارة.. بل ينبغى عليه أن يحتسب وأن يطمع فى الفوز بالأجر والثواب على تفريج كُربات المسلمين؛ فإنه من فرَّج عن مسلمٍ كُربة من كُرب الدنيا فرج الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة.

(٤) أن المسلم يجب عليه أن يتحرى الحلال من الحرام.. ولقد رأينا كيف أن أبا سعيد الخدرى رضي الله عنه رفض أن يقسم الغنم بينهم حتى يسأل النبى ﷺ ليتأكد أن هذا المال حلال.

* * *

(١) أخرجه البخارى ومسلم.

قصة الصحابى
الذى يقرأ القرآن فى الجنة

فى يوم من الأيام جلس النبى ﷺ مع أمنّا عائشة رضي الله عنها ليحكى ما رآه فى منامه فى تلك الليلة.

فأخبرها النبى ﷺ أنه دخل الجنة فى هذه الليلة فسمع صوت رجلٍ يقرأ القرآن فى الجنة بصوتٍ عذبٍ جميل .. فتعجب النبى ﷺ من هذا الرجل الذى يقرأ القرآن فى الجنة فسأل الملائكة وقال لهم: «من هذا؟».

قالوا: هذا حارثة بن النعمان الصحابى الجليل رضي الله عنه.

فقال النبى ﷺ: «كذلك البر كذلك البر».. أى أنه قد كافأه الله (جل وعلا) بهذه المنزلة والمكانة العظيمة فى الجنة بسبب برِّه بأمه.

ولذلك قالت أمُّنا عائشة رضي الله عنها بعدما سمعت هذه القصة من النبى ﷺ: وكان من أبر الناس بأمه.

نعم يا أحبابى: لقد كان حارثة من أبر الناس بأمه..

حتى إنه كان يُطعم أمه بيده ولا يتركها تأكل بيدها أبدًا..
وكان لا يرفع صوته أبدًا فوق صوت أمه.

* * *

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:
«دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان كذلكم البر كذلكم البر»[1].

* * *

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧١).

الدروس المستفادة:

(١) أن بر الوالدين من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[١].

(٢) أن المسلم الذي يبر والديه فإنه يجني الخير كله في الدنيا والآخرة.

(٣) أن بر الوالدين من أقرب الطرق إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

(٤) أن عقوق الوالدين من أقرب الطرق إلى النار.. وإن من يعق والديه فإنه يجني الحسرة في الدنيا والآخرة.

* * *

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣-٢٤).

قصة الرجل المأسور بدَيْنه

حبايبى الحلوين.

نحن نعلم جميعًا أن ديننا الحنيف يدعو إلى الأخلاق الحميدة.

وعلى رأس تلك الأخلاق: خُلق الأمانة.

فمن أخذ شيئًا من أحد فلا بد أن يرده إليه لأن هذا دَيْنٌ عليه إن لم يؤده لصاحبه فسوف يعاقبه الله عليه يوم القيامة، وذلك بأن يأخذ من حسناته لصاحب الدَّين.

* وبعد هذه المقدمة هيا بنا لنتعايش مع هذه القصة التى تتعلق بالأمانة.

فها هو الصحابى الجليل جابر بن عبد الله ﷺ يحكى لنا أنه توفى رجل فى زمن النبى ﷺ فقام الناس وغسّلوه وكفنوه ثم جاءوا به إلى النبى ﷺ من أجل أن يصلى عليه ليفوز بدعاء النبى ﷺ.

وإذا بالنبى ﷺ يسألهم سؤالاً لم يخطر على بالهم.

لقد سألهم النبى ﷺ وقال: «هل عليه دَين؟».

فقالوا: نعم . . عليه دَين يا رسول الله.

وإذا بالنبى يمتنع عن الصلاة عليه ويقول لهم: «صلُّوا على صاحبكم».

هنا فزع الصحابة وخافوا على مصير هذا الرجل الميت الذى رفض النبى ﷺ أن يصلى عليه.

فقام الصحابى الجليل أبو قتادة ؓ وقال: يا رسول الله دَينه علىّ.

فقال له النبى ﷺ : «هما عليك حق وبرأ الميت». . أى: يصبح الدَّين على أبى قتادة ويكون الميت بريئًا من هذا الدَّين لا يحاسَب عليه.

فقال أبو قتادة: نعم يا رسول الله.

فقام النبى ﷺ فصلى عليه وصلى عليه المسلمون.

وفى اليوم التالى قابل النبى ﷺ أبا قتادة فسأله وقال له: «ما فعل الديناران؟». . أى: هل دفعت الدينارين لصاحبهما وأديت الدَّين عن الميت؟

فقال أبو قتادة: يا رسول الله إنما مات الرجل بالأمس.. يعنى: لا حرج فى أن أدفع الدينارين لصاحبهما بعد يومين أو ثلاثة أو أكثر.

فمشى النبى ﷺ وقابل أبا قتادة فى اليوم التالى وسأله: «ما فعل الديناران؟».

فقال أبو قتادة: يا رسول الله قد قضيتهما.

فقال النبى ﷺ: «الآن بردت عليه جلده».. أى: الآن بعد أن قضيت الدينارين عنه فقد بردت جلده من العذاب الذى كان يُسلَّط عليه بسبب الدينارين.



* ولقد وردت هذه القصة فى سُنة النبى ﷺ :

عن جابر بن عبد الله قال: «تُوفى رجل فغسَّلناه وحنَّطناه وكفَّناه، ثم أتينا به النبى ﷺ ليصلى عليه فخط خطًا، ثم قال: «هل عليه دَيْن؟». قلنا: نعم. قال: «صلوا على صاحبكم».

فقال أبو قتادة: يا رسول الله دينه علىَّ؟ فقال النبى ﷺ: «هما عليك حق وبرَأ الميت؟»، قال: نعم.

فصلى عليه، ثم لقيه فى الغد فقال: «ما فعل الديناران؟».

فقال: يا رسول الله إنما مات أمس. ثم لقيه من الغد فقال: «ما فعل الديناران؟».

فقال: يا رسول الله قد قضيتهما.

فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»[1].

* * *

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يكون أمينًا مع كل من حوله.. فإذا أخذ مالاً أو أى شىء من أحد فلا بد أن يؤدى الأمانة فى وقتها حتى لا يقتص الله منه يوم القيامة.

(٢) أن النبى ﷺ كان فى بداية الإسلام يرفض أن يصلى على أى أحد عليه دَين للناس حتى يقضى الناس دينه ولكن بعد أن كثرت الغنائم وفاضت الأموال على الدولة الإسلامية كان النبى ﷺ يتولى بنفسه سداد دين المتوفَّى ويصلى عليه.

(٣) أن العبد قد يُحبس على باب الجنة بسبب الديون.. فلا بد أن نحرص على أداء الديون وحفظ الأمانات.

❊ ❊ ❊

قصة الصاعقة
التى أصابت أحد الفراعنة

كان النبى ﷺ حريصًا كل الحرص على دعوة الناس جميعًا إلى عبادة الله وتوحيده فهو الذى قال الله عنه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(١).

وفى يوم من الأيام سمع النبى ﷺ بأحد فراعنة العرب الجبابرة فأراد أن يدعوه إلى الإسلام.. وخشى أن يدعوه أحد غيره فينفر ولا يستجيب فأرسل إليه أحد الصحابة وقال له: اذهب إلى هذا الرجل وادْعُه لى.

فقال هذا الصحابى: يا رسول الله إنه رجل جبار عنيد ولن يستجيب.

فقال له النبى ﷺ: «اذهب إليه فادعه».

فسمع الصحابى كلام النبى ﷺ وذهب إلى هذا الرجل الجبار وقال له: رسول الله ﷺ يدعوك.

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

فسخر منه هذا الرجل الجبار وقال له: رسول الله!! وما الله؟ ومن أى شيء صُنع؟ أمن ذهبٍ هو؟ أم من فضة هو؟ أم من نُحاس هو؟

فلم يرد عليه الصحابى وعاد إلى النبى ﷺ وهو فى قمة الغضب وقال له: يا رسول الله لقد أخبرتك أنه رجل جبار عنيد ولن يستجيب .. ثم ذكر له ما قاله هذا الرجل.

فقال له رسول الله ﷺ : «فارجع إليه فادعه».

فعاد إليه الصحابى مرة أخرى وقال له: رسول الله ﷺ يدعوك.

فأعاد عليه هذا الرجل الجبار نفس الكلمات البذيئة التى قالها أول مرة.

فعاد الصحابى إلى النبى ﷺ وأخبره بما قاله هذا الرجل الجبار.

فقال له النبى ﷺ للمرة الثالثة: «ارجع إليه فادعه».

فعاد إليه الصحابى وقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك.

وبينما هما يتحدثان إذ بعث الله في تلك اللحظة سحابة قريبة من رأس هذا الرجل الجبار فرعدت ووقعت منها صاعقة على رأسه ففلقتها وفصلتها عن جسده لتسبقه إلى النار.

فلما قُتل هذا الرجل الطاغية أنزل الله (عز وجل) قوله: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾[1] أي: شديد القوة أو شديد الأخذ.

* وهكذا تكون نهاية الطُّغاة والظالمين والكافرين والمتكبرين.

* * *

* ولقد وردت هذه القصة في سُنة النبي ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ مرة رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب أن «ادعه لي».

قال: يا رسول الله! إنه أعتى من ذلك.

قال: «اذهب إليه فادعه».

قال: فأتاه فقال: رسول الله ﷺ يدعوك.

---

(١) سورة الرعد: الآية: (١٣).

قال: أرسول الله؟! وما الله؟! أمن ذهبٍ هو؟! أمن فضة هو؟! أمن نُحاسٍ هو؟!

فرجع إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك!! وأخبر النبى ﷺ بما قال.

قال: «فارجع إليه فادعه» فرجع، فأعاد عليه المقالة الأولى، فرد عليه مثل الجواب، فأتى النبى ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع إليه فادعه»، فرجع إليه، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما إذ بعث الله سحابة حيال رأسه[1] فرعدت، ووقعت منها صاعقة فذهب بقحف رأسه[2]، وأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) حيال رأسه: قُبالة رأسه.

(٢) قحف رأسه: الذى فوق الدماغ، وقيل: هو ما انفلق من جمجمته، وانفصل منه.

(٣) سورة الرعد: الآية: (١٣)، والحديث صحيح: رواه البزار فى «كشف الأستار» (٢٢٢١).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن ينشغل بدعـوة الناس من حوله والحرص على هدايتهم لإنقاذهم من النار.

(٢) أن هناك أُناسًا قـد طمس الله على قلوبهم فـلا يستجيبون لدعوة الحق أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾(١).

(٣) أن المسلم إذا دعا أحدًا إلى الله فلم يستجب فعليه أن يحاول مرة ثانية وثالثة حـتى يعذر نفسه أمام الله (جل وعلا).

(٤) أن الله يُملي للظالمين وللكافرين ولا يَعجل عليهم فإذا أخذهم فإنه يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

❋ ❋ ❋

(١) سورة الكهف: الآية: (٥٧).

الرجل الذى أكل لحم أخيه

يحكى لنا هذه القصة الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه .

فيخبر أنه كان عند النبى ﷺ ومعه بعض الصحابة رضي الله عنهم .

وأخذ النبى ﷺ يحدثهم ويُذكرهم بالله (جل وعلا) .. والصحابة يستمعون إلى كلام النبى ﷺ بكل شوق ولهفة .

وبعد فترة قام رجل واستأذن النبى ﷺ فى أن ينصرف، فأذن له النبى ﷺ فلما انصرف الرجل قام رجل آخر ممن يجلسون مع النبى ﷺ وتكلم بكلام سيئ عن هذا الرجل الذى انصرف .

فغضب النبى ﷺ وقال له: «تخلَّل» .. أى استعمل الخُلَّة التى تنظف بها أسنانك بعد الطعام .

فتعجب هذا الرجل الذى اغتاب صاحبه وقال للنبى

ﷺ : «ومم أتخلل وأنا ما أكلت لحمًا؟».

فقال له النبي ﷺ : «إنك أكلت لحم أخيك».

* نعم والله . . إن الذي يغتاب أخاه المسلم كأنه أكل لحم أخيه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

* بل لقد ذكر النبي ﷺ هذا المشهد العجيب الذي يحدث يوم القيامة فقال ﷺ : «من أكل لحم أخيه في الدنيا؛ قُرِّب له يوم القيامة فيُقال له: كُله ميتًا كما أكلته حيًا فيأكله ويكلح ويصيح» (٢).

* * *

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).
(٢) حسَّنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

الدروس المستفادة:

أن الله (عز وجل) حرم الغيبة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وأن النبي ﷺ حرم الغيبة؛ لأنها تأكل الحسنات وتنشر الكره والضغينة بين المسلمين.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذكرك أخاك بما يكره».

قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[(٢)].

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي مررت بقوم، لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب.

الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم»(١) .

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبى ﷺ ، فارتفعت ريح منتنة، فقال رسول الله ﷺ : «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين»(٢) .

* وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن من أربى الربا: الاستطالة فى عرض المسلم بغير حقٍّ»(٣) .

* وقال رسول الله ﷺ : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبَّعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم ؛ تتبع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته، يفضحه ولو فى جوف بيته»(٤) .

* بل إن الغيبة تأكل حسنات العبد يوم القيامة فقد قال النبى ﷺ : «أتدرون مَن المفلس؟».

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤/٤٨٧٨) فى الأدب / باب: فى الغيبة، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٣)، والصحيحة (٥٣٣)، وصحيح سنن أبى داود (٤٠٨٢).

(٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٣/٣٥١)، وغيره، وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن».

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وانظر: «صحيح الجامع» (٢٢٠٣).

(٤) رواه الترمذى وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٨٥).

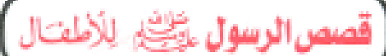
قالوا: المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع.

فقال: «المفلس من أُمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»(١).

* * *

---

(١) أخرجه مسلم.



قصة الرجل المرتد الذى لفظته الأرض

لقد أرسل الله نبينا محمدًا ﷺ رحمة للعالمين فأنار به العقول وهدى به القلوب وأشرقت الأرض كلهـا ببعثته ﷺ .

فقام النبى ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده بكل رحمة، فمنهم من استجاب ومنهم من أبَى.

وفى يوم من الأيام فتح الله قلب رجل نصرانى فأسلم وأصبح مـوحدًا وصحب النبى ﷺ وتعلم سورة البـقرة وآل عمـران .. بل كان يكتب للنبـى ﷺ وأصبح من المقربين إليه ﷺ .

ولكن هذا الرجل لم يُسلم إسلامًا حقيقيًا فقد كان يُظهر الإيمان ولكنه كان يحمل فى قلبه الكفر.

وفى يوم من الأيام ارتدَّ هذا الرجل وعـاد كافـرًا كمـا كان وبدأ يحارب النبى ﷺ ويقـول للناس: إن محمدًا

لا يعلم شيئًا بل إنه ليس نبيًا كما يزعم ولا يُوحَى إليه من السماء بل أنا الذى كنت أكتب له كل هذا الوحى من عندى.

وتمر الأيام ويموت هذا الرجل الخبيث، فدفنه أصحابه من الكفار.

وفى اليوم التالى حدث شيء عجيب .. لقد لفظت الأرض جسد هذا الرجل، فأصبح على سطح الأرض بعد أن كان مدفونًا.

فقال أصحابه: إن هذا من فعل محمد وأصحابه فقد جاءوا ليلاً وحفروا الأرض وأخرجوا جسد هذا الرجل.

فما كان منهم إلا أنهم أعمقوا له فى الأرض ودفنوه.. وفى اليوم التالى وجدوا الأرض قد لفظته على سطحها.

فلما تكرر هذا الأمر أكثر من مرة علموا أن هذا ليس من فعل النبى ﷺ وأصحابه، فتركوه كما هو.



* ولقد وردت هذه القصة كما حكاها الصحابى الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال أنس رضي الله عنه: كان رجل نصرانيًّا فأسلم، وقرأ «البقرة» و«آل عمران»، فكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه»[1].

* * *

(١) رواه البخارى (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١)، وأحمد (٣/ ١٢١).

الدروس المستفادة:

(١) أن الله (عز وجل) أرسل النبى ﷺ رحمة للعالمين ليأخذ بأيديهم إلى مرضاة الله وإلى جنته.

(٢) أن الله (عز وجل) يفضح المنافق فى الدنيا والآخرة.

(٣) أن المسلم لا يأمن على نفسه بل عليه أن يدعو وأن يسأل الله دائمًا أن يثبت قلبه على الإيمان فقد كان النبى ﷺ يُكثر من هذا الدعاء: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك**».

(٤) أن من حارب النبى ﷺ وحارب سُنته فإن نهايته تكون وخيمة فى الدنيا والآخرة.



معجزة الرسول ﷺ في حفر الخندق

لما رأت اليهود انتصار المشركين على المسلمين فى غزوة أحد ذهب بعض زعمائهم إلى قريش يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ ووعدوهم بأن يقفوا معهم ضد رسول الله ﷺ .. فأجابتهم قريش وأخذوا يدعون القبائل من حولهم لغزو النبى ﷺ فى المدينة.

وتحرك جيش المشركين نحو المدينة وقد بلغ عددهم عشرة آلاف مشرك، فلما وصل الخبر إلى النبى ﷺ جمع أصحابه واستشارهم فأشار عليه سلمان الفارسى رضي الله عنه بحفر الخندق حتى لا يستطيع المشركون أن يصلوا إليهم.

وبدأ الصحابة فى حفر الخندق وكان النبى ﷺ يشاركهم فى الحفر.

وفى أثناء الحفر كانت هناك صخرة قوية لم يستطع

الصحابة أن يحفروها فذهبوا إلى النبى ﷺ ليخبروه بذلك فما كان من النبى ﷺ إلا أنه ذهب معهم إلى مكان الصخرة القوية وأخذ المعول ونزل إليها وقال: «بسم الله» ثم ضرب الصخرة ضربة قوية فكسر ثُلثها وهو يقول: «**الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام.. والله إنى لأنظر إلى قصورها الحُمر الساعة**».. ثم ضرب الصخرة ضربة ثانية فكسر الثلث الثانى وهو يقول: «**الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس.. والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض**».

ثم ضرب الصخرة ضربة ثالثة فكسر ما تبقى منها وهو يقول: «**الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن .. والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا**».



الدروس المستفادة:

(١) أن اليهود هم أكبر عدوٍ للمسلمين على مدى العصور والأزمان.

(٢) أن الكفر ملة واحدة .. فكل الكافرين على اختلاف ملتهم يعادون الإسلام والمسلمين ويريدون القضاء عليهم في كل زمان ومكان.

(٣) أن النبى ﷺ كان يستشير أصحابه فى أمورٍ كثيرة ليطبق مبدأ الشورى الذى يجمع أمر الأمة على كلمة واحدة.

(٤) أن النبى ﷺ كان أشجع الناس وأقوى الناس.. وهو فى نفس الوقت أرحم الناس.

(٥) أن النبى ﷺ كان يبث الأمل فى قلوب أصحابه. ففى الوقت الذى جاء فيه المشركون بعشرة آلاف لغزو النبى ﷺ وأصحابه أخذ النبى ﷺ يبث الأمل وهو يضرب الصخرة ويقول: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام .. الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس .. الله أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن».

قصة الثلاثة
الذين يضحك الله إليهم

نحن نعلم يا أحبابى أن الله (عز وجل) يضحك ولكن ضحكه ليس كضحك المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(1).

وها هو النبىُّ ﷺ يجلس فى يوم من الأيام ليحكى لأصحابه قصة الثلاثة الذين يضحك الله إليهم ويحبهم ويستبشر بهم.

* **فكان أول هؤلاء الثلاثة:** رجل خرج مع الجيش الإسلامى ليجاهد فى سبيل الله (جل وعلا) فانكشف الجيش الذى كان يقاتل معه وإذا بهذا الرجل يَثبت ويقاتل الأعداء وحده حتى ينتصر أو يُقتل فى سبيل الله، فهذا الرجل يضحك الله إليه ويحبه ويستبشر به بل ويقول للملائكة: انظروا إلى عبدى كيف صبر لى بنفسه.

---

(1) سورة الشورى: الآية: (11).

* وأما الرجل الثانى فهو رجل قد أكرمه الله بزوجة فى غاية الحُسن والجمال وكان يسكن فى بيت جميل وعنده فراشٌ ليِّن . . وإذا به يترك زوجته الجميلة وفراشه اللين ويقوم ليصلى ويبكى بين يدى الله (جل وعلا) .

فيضحك الله إليه ويحبه ويستبشر به بل ويقول للملائكة : انظروا إلى عبدى يذر شهوته ويذكرنى ولو شاء رقد .

* وأما الرجل الثالث فهو رجل قد خرج مع أصحابه فى سفرٍ طويل وشاقٍّ، فسهر أصحابه، ثم ناموا، فإذا به يقوم الليل ويصلى ويبكى بين يدى الله (جل وعلا)، فيضحك الله إليه ويحبه ويستبشر به .



* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«ثلاثة يُحِبُّهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يُقتل، وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟

والذي له امرأة حسنة، وفراش لين حسن، فيقوم من الليل فيقول: يذر شهوته، ويذكرني، ولو شاء رقد.

والذي إذا كان في سفر، وكان معه رَكْبٌ فسهروا، ثم هجعوا فقام من السَّحر في ضراء وسراء»(1).

* * *

(1) حسن رواه الطبراني في «الكبير»، وانظر: «صحيح الترغيب» (٦٢٥).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يحرص على فعل كل ما يحبه الله (جل وعلا).

(٢) أن المسلم إذا ضحَّى براحته أو بنومه أو بذل ماله أو فَعَل أى طاعة تقربه إلى الله، فإن الله (جل وعلا) يكافئه ويجزل له العطاء.

(٣) أن الله (عز وجل) إذا ضحك إلى عبدٍ فى موطن من المواطن، فإنه يُدخله الجنة بغير حساب.



قصة صاحب خاتم الذهب

دخل النبى ﷺ يومًا مسجده، فصلى بأصحابه، ثم استدار من أجل أن يُعلِّمهم ويُذكرهم بالله (جل وعلا).

وأخذ الصحابة يستمعون إلى كلام النبى ﷺ وهم فى قمة الفرح والسرور؛ لأنهم يجلسون مع رسول الله ﷺ.

وبينما كان النبى يُحدِّث أصحابه؛ إذ نظر فجأة إلى أحد الصحابة، فوجده يلبس خاتمًا من ذهب، فغضب النبى ﷺ وأخذ الخاتم من يد هذا الصحابى وطرحه فى الأرض، ثم قال له: «**أتجعل فى يدك جمرة من النار؟!**».

ثم أكمل النبى ﷺ حديثه لأصحابه.. وبعد أن انتهى ذهب النبى ﷺ إلى بيته بعد أن سلَّم على أصحابه.

فقام الصحابة رضي الله عنهم وقالوا لهذا الصحابى: خُذ خاتمك وانتفع به.. يعنى: لا تلبسه لكن انتفع بثمنه.

فقال لهم: لا والله لا آخذ هذا الخاتم أبدًا بعد أن طرحه رسول الله ﷺ .

* وإليكم نَصَّ الحديث يا أحبابي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار، فيجعلها في يده».

فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خُذ خاتمك انتفع به، قال: «لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ»[1] .

* * *

(١) رواه مسلم (٢٠٩٠).

الدروس المستفادة:

(١) تحريم الذهب على الرجال فقط.

وقد ورد في هذا التحريم عدة أحاديث، منها:

١- عن عليٍّ رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريرًا، فجعله في يمينه، وذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «إن هذين حرامٌ على ذُكور أمتي»(١).

٢- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرًا، ولا ذهبًا»(٢).

٣- وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً قَدِم من نجران إلى رسول الله ﷺ، وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «إنك جئتني، وفي يدك جمرة من نار»(٣).

(٢) تعظيم الصحابة للنبي ﷺ ولسُنته:

والدليل على ذلك أن هذا الصحابي كان من الممكن أن

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والنسائي، وانظر: «صحيح الجامع» (٢٢٧٤).
(٢) حسن: رواه أحمد، وانظر: «الصحيحة» (٣٣٧).
(٣) صحيح: أخرجه النسائي (٨/ ١٧٠)، وصححه الألباني.

يأخذ الخاتم من الأرض ويبيعه ولا يلبسه لكنه قال: لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ.

- فيا ليت كل مسلم أن يُعظم أوامر النبى ﷺ ونواهيه، فيسمع ويطيع أمر النبى ﷺ وينتهى عما نهى عنه رسول الله ﷺ.



قصة عرش إبليس

في اجتماع طارئ في غاية الخطورة جلس النبي ﷺ مع أصحابه ليحذرهم من ذلك الخطر الذي يدمر البيوت ويشتت شمل الأسرة.

فأخبرهم النبي ﷺ أن إبليس (عليه لعنة الله) الذي يريد أن يدمر على كل مسلم دنياه وآخرته، يضع عرشه على الماء، ثم يجمع الشياطين كل يوم ويعطيهم الخطط والمكائد التي يستطيعون من خلالها أن يدمروا حياة المسلم وآخرته، ثم يرسلهم ويسلطهم على المسلمين.

وفي آخر اليوم يرجع كل شيطان ليعطي لإبليس تقريراً كاملاً بما فعله في هذا اليوم.

فيأتي أحدهم فيسأله إبليس: ماذا صنعت أيها الشيطان الذكي؟

فيقول الشيطان: أخذت أوسوس له طوال اليوم حتى استطعت في النهاية أن أجعله يشرب الخمر.

فيقول إبليس: ما صنعت شيئًا.

* ثم ينادى إبليس على الذى بعده ويقول له: ماذا صنعت أيها الشيطان الذكى؟

فيقول الشيطان: ما تركته حتى أوقعته فى الزنا.

فيقول إبليس: ما صنعت شيئًا .. سوف يتوب ويرجع إلى الله.

* ثم ينادى إبليس على الذى بعده ويقول له: ماذا صنعت أيها الشيطان الذكى؟

فيقول الشيطان: ما تركته حتى سرق.

فيقول إبليس: ما صنعت شيئًا.

* ويظل إبليس على هذا الحال إلى أن يأتى شيطان، فيسأله إبليس: ماذا صنعت أيها الشيطان الذكى؟

فيقول الشيطان: ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجته.

فيفرح إبليس فرحًا شديدًا ويقوم من على عرشه ويقربه منه ويُجلسه بجواره ويقول له: نعِم أنت .. أنت أنت.

يعنى: أنت أفضل شيطان عندى فى مملكة الشياطين.

* وهكذا نعرف من خلال هذه القصة أن الشيطان يسعى كل يوم من أجل خراب بيوت المسلمين.

* * *

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة بدون التفاصيل التى ذكرتها من أجل تبسيط وتوضيح القصة لحبايبى الحلوين.

قال ﷺ: «إن إبليس يضعُ عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيءُ أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ويجيءُ أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، فيُدنيه منه، ويقول: نِعمَ أنت!»[1]

* * *

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يعلم أن عدوه الأول هو إبليس وأعوانه... قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[١].

(٢) أن إبليس وأعوانه لا يتامون .. بل يعملون ليلاً ونهاراً من أجل خراب بيوت المسلمين ومن أجل إضلال المسلمين.

فيا ليتنا نبذل ربع هذا البذل من أجل خدمة ديننا وأوطاننا.

(٣) أن المسلم لابد أن يحافظ على بيته من مكائد الشيطان .. وذلك بأن يحافظ على قراءة القرآن وبخاصة سورة البقرة .. وأن يحافظ على أذكار الصباح والمساء وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

* * *

---

(١) سورة فاطر: الآية: (٦).

قصة الرجل الذى كان يأكل بشماله

كان الصحابة رضي الله عنهم يدخلون أحيانًا بيت النبى ﷺ ويأكلون عنده .. ونحن نعلم أن النبى ﷺ كان أجود الناس وأكرم الناس.

وفى يوم من الأيام دعا النبى ﷺ بعض أصحابه إلى الطعام فى بيته، فجاءوا وجلسوا مع النبى ﷺ ليأكلوا معه.

وبدأ النبى ﷺ ينادى على كل صحابى باسمه ويقول له: كُل يا فلان.

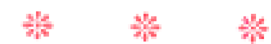
ولكن النبى ﷺ رأى شيئًا عجيبًا فى ذلك اليوم.

لقد رأى واحدًا من أصحابه يأكل بشماله .. فغضب النبى ﷺ لأنه حذّر أصحابه كثيرًا من الأكل بالشمال وذلك لأن الشيطان هو الذى يأكل بشماله.

فقال النبي ﷺ لهذا الصحابي: «**يا فلان! كُل بيمينك**».

وإذا بهذا الصحابي يقع في معصية كبيرة وذلك بأنه تكبَّر ولم يوافق أن يأكل بيمينه وقال: لا أستطيع.

فلما رأى النبيُّ ﷺ الكبر من هذا الرجل، دعا عليه وقال: «**لا استطعت**»، فما كان من هذا الصحابي إلا أنه أُصيب في يديه، فلم يستطع أن يأكل بها بعد هذا اليوم.



* وها هى القصة كما وردت فى هذا الحديث الشريف:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كُل بيمينك».

قال: لا أستطيع!

قال: «لا استطعت، ما منعه إلا الكبر».

قال: فما رفعها إلى فيه[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

الدروس المستفادة:

(١) أن إطعام الطعام من أعظم أسباب تأليف القلوب.

قال ﷺ: «أفشِ السلام وأطعم الطعام وصِل الأرحام وقُم بالليل والناس نيام وادخل الجنة بسلام»[١].

(٢) تعظيم سُنة النبي ﷺ فلقد قال النبي ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسُنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٢].

(٣) استحباب تعليم الناس آداب الطعام والشراب.

* عن عُمر بن أبي سلمة، قال: كنت في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة[٣]، فقال لي: «يا غلام سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»[٤].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يأكلنَّ

---

(١) رواه أحمد وابن حبان وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٥).
(٢) رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).
(٣) الصحفة: دون القصعة وهي ما تسع ما يُشبع خمسة.
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢٢).

أحدٌ منكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها»[1].

(٤) أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل حال.

(٥) أن الذى يخالف أمر النبى ﷺ يُعرض نفسه للعقاب فى الدنيا والآخرة.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

الرجل الذى كان يشكو من بطنه

جلس أحد الصحابة فى يوم من الأيام فى بيته وطلب من زوجته أن تُعدَّ له طعامًا .. فلما أعدت له الطعام أخذ يأكل ويأكل حتى أصابته تُخمة وأخذ يصرخ من الألم الذى أصابه فى بطنه.

فما كان من أخيه إلا أنه ذهب إلى النبى ﷺ وقال له: يا رسول الله إن أخى قد أصابه إسهال ووجع شديد فى بطنه، فماذا نصنع معه؟

فقال له النبى ﷺ : «اسقه عسلاً».

فذهب هذا الصحابى إلى أخيه المريض فسقاه عسلاً ومع ذلك ظل يشكو من شدة الألم.

فعاد أخوه إلى النبى ﷺ فقال له: لقد سقيته عسلاً ومع ذلك فقد ازداد وجعه وألمه.

فقال له النبى ﷺ : «اسقه عسلاً».

فذهب إلى أخيه وسقاه عسلاً ولم يزل الوجع في بطنه.

* فظل أخوه ذاهبًا بينه وبين النبي أكثر من مرة.. وفي كل مرة يقول له النبي ﷺ: «اسقه عسلاً».. وفي المرة الرابعة قال له النبي ﷺ: «**صدق الله وكذب بطن أخيك**».

فعاد هذا الصحابي إلى أخيه، فسقاه عسلاً فشُفي بإذن الله (جل وعلا).



* وها هو الحديث الذى يحكى لنا هذه القصة:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: إن أخى استطلق بطنه[1].

فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلاً».

فسقاه، ثم جاءه، فقال: إنى سقيته عسلاً، فلم يزده إلا استطلاقًا!

فقال له - ثلاث مرات- ثم جاء الرابعة، فقال: «اسقه عسلاً».

فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا!

فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك».

فسقاه فبرأ[2][3]!

* * *

(١) الاستطلاق: الإسهال.

(٢) برأ: شفى.

(٣) رواه البخارى (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧)، واللفظ له.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يكون معتدلاً في طعامه فلا يُسرف في الأكل.

قال ﷺ: «بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صُلبه .. فإن كان لا بد فاعلاً: فثُلث لطعامه وثُلث لشرابه وثلث لنفسه».

(٢) أن العسل شفاء لأمراض البدن.

قال تعالى عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾[١].

* وكان ﷺ يحب العسل ويوصي به ويخبر أنه من أسباب الشفاء.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُحب الحلواء والعسل»[٢].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كيَّة بنار، وأنهى أُمتي عن الكي»[٣].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة النحل: الآية: (٦٩).
(٢) رواه البخاري (٤٥٣١)، وغيره.
(٣) رواه البخاري (٥٦٨٠)، وغيره.

«عليكم بالشفائين: العسل والقرآن»[1].

* قال الإمام ابن القيم: «فجمع ﷺ بين الطب البشري والإلهي، وبين طب الأبدان وطب الأرواح، وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي». اهـ[2].

(٣) أن المسلم لا بد أن يصدق كلام الله (جل وعلا) وكلام رسوله ﷺ.

فإن أخبر أن العسل فيه شفاء للناس فلا بد أن يكون فيه شفاء للناس.

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.
(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٣٥).

مذنب يَسبح فى أنهار الجنة

كان النبى ﷺ جالسًا يومًا بين أصحابه يُعلمهم ويُذكرهم بالله (جل وعلا)، وفجأة دخل عليه رجل من أصحابه اسمه ماعز وقال له: يا رسول الله لقد فعلت الفاحشة وأريد منك أن تطهرنى بالحد[1].

فتعجب النبى ﷺ وقال له: «**ويحك ارجع فاستغفر الله وتُب إليه**» فذهب ماعز على بُعد خطوات ثم عاد إلى النبى ﷺ وقال له: يا رسول الله طهرنى بالحد فقال له النبى ﷺ مرة أخرى: «**ويحك ارجع فاستغفر الله وتُب إليه**».

فذهب ماعز غير بعيد ثم عاد للمرة الثالثة فقال له النبى ﷺ نفس الكلمات إلى أن عاد فى المرة الرابعة وقال له: يا رسول الله طهرنى بالحد.

(١) حد الزنا إن كان الذى زنى شاب غير متزوج فحدُّه أن يجلدوه مائة جلدة وأن يخرج من بلده لمدة سنة كاملة .. وأما إن كان الذى زنى رجل متزوج فحدُّه أن يحفروا له حفرة فى الأرض ويضعوه فيها حتى تظهر رأسه فقط ثم يرجموه بالحجارة حتى الموت .. وليست هذه قسوة ولكنها عقوبة شديدة حتى لا يتجرأ أحد على انتهاك محارم المسلمين.

فقال له النبى ﷺ : «فيم أطهرك؟».

فقال له ماعز: طهرنى من الزنا يا رسول الله فلقد زنيت.

فتعجب النبى ﷺ منه وظن أنه مجنون فسأل الناس من حوله وقال لهم: «أبه جنون؟».

قالوا: لا يا رسول الله إنه ليس به جنون.

فسألهم للمرة الثانية وقال لهم: «أشرب خمراً؟».

فقام رجل واقترب من ماعز وشم رائحة فمه فلم يجد منه رائحة خمر.

فقال النبى ﷺ لماعز: «أزنيت؟».

فقال له ماعز: نعم يا رسول الله.

فأمر النبى ﷺ أصحابه فأخذوا ماعزاً ورجموه حتى مات.

فانقسم الناس إلى قسمين:

فمنهم من يقول: لقد أهلك هذا الرجل نفسه ووقع فى تلك المعصية الكبيرة.

ومنهم من يقول: لقد تاب توبة ليس هناك توبة أفضل

منهـا فقـد ضحَّى بحـياتـه من أجل أن يغفـر الله له هذا الذنب العظيم .

وظلوا هكذا على تلك الحال لمدة يومـين أو ثلاثة حتى دخل عليهم النبى ﷺ وهم جالسـون فى المسجد فسلم عليهم ثم جلس وقال لهم : «**استغفروا لماعز بن مالك**».

فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك .

فـقـال النبى ﷺ : «**لقـد تاب توبة لـو قُـسـمت بين أمـة لوسعتهم، لقد رأيته بين أنهار الجنة ينغمس**».

* نعم .. لقد رآه النبى ﷺ يتنعم ويَسبح فى أنهار الجنة بسبب هذه التوبة الصادقة .



* ولقد حكى أحد الصحابة هذه القصة:

عن بريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني، فقال: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه».

قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه».

قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال النبي ﷺ مثل ذلك.

حتى كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «فيم أطهرك؟».

فقال: «من الزنى».

فسأل رسول الله ﷺ: «أبه جنون؟» فأُخبر أنه ليس بمجنون، فقال: «أشرب خمرًا؟» فقام رجل فاستنكهه[1] فلم يجد منه ريح خمر.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت؟».

---

(١) استنكهه: أي: شم رائحة فمه.

فقال: «نعم»، فأمر به فرُجم[1]، فكان الناس فيه فرقتين:

قائل يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته.

وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة.

قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس، فسلم ثم جلس فقال: «استغفروا لماعز بن مالك».

قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قُسِّمت بين أمة لوسعتهم»[2].

وفي رواية: «لقد رأيته بين أنهار الجنة ينغمس» قال أبو هريرة: يعني: يتنعم[3].

* * *

(١) الرجم: هو القذف بالحجارة إلى الموت.
(٢) رواه مسلم (١٦٩٥).
(٣) رواه النسائي، وانظر: «فتح الباري» (١٢/ ١٣٣).

الدروس المستفادة:

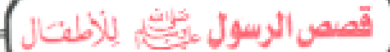
(١) أن المسلم لابد أن يعلم أن الله يراقبه ويعلم سرَّه ونجواه؛ ولذلك فلا ينبغي على المسلم أن يتجرأ على معصية الله (جل وعلا) بل يجب عليه إذا وقع فى معصية أن يسارع إلى التوبة والعودة.

(٢) أن الإسلام لا يشتهى سفك الدماء كما يزعم أعداء الإسلام .. ولقد رأينا كيف أن هذا الصحابى (ماعز) طلب من النبى ﷺ أن يقيم عليه الحد .. ومع ذلك فالنبى ﷺ يقول له فى كل مرة: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» .. فلما اعترف على نفسه بأنه قد وقع فى جريمة الزنا أقام النبى ﷺ عليه الحد.

(٣) أن إقامة الحد على العبد تُكفر ذنبه فيلقى الله طاهرًا لا شىء عليه.

(٤) أن الله رحيم بعباده .. فإنه لما ضحى ماعز بحياته توبةً منه إلى الله (جل وعلا) رآه النبى ﷺ بعد يومين يَسبح فى أنهار الجنة.





قصة البقرة التى كلمت راكبها

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: (بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نُخلق لهذا، إنما خُلقنا للحرث. فقال الناس: سُبحان الله، بقرةٌ تكلَّمُ!! فقال: فإنى أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمَّ.

وبينما رجلٌ فى غنمه إذ عدا الذئب[1] فذهب منها بشاةٍ، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا: استنقذتها منى، فمن لها يوم السَّبُع[2]، يوم لا راعى لها غيرى، فقال الناس: سُبحان الله! ذئب يتكلم، قال: فإنى أُومن بهذا، أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثم)[3].

---

(١) عدا الذئب على غنمه: أى هاجم غنمه يريد افتراسها.
(٢) يوم السبع: بضم الباء وسكونها، والسبع هو الأسد، أو الحيوانات المفترسة.
(٣) أخرجه البخارى (٣٤٧١) كتاب أحاديث الأنبياء.

حدثنا رسولنا ﷺ في هذا الحديث عن بعض العجائب والغرائب التي وقعت لبعض الناس من قبلنا، . . . حدثنا عن رجل امتطى ظهر بقرة كما يمتطي الناس ظهور الخيل والحمير والبغال، فتباطأت به، فضربها لتُسرع في سيرها، فإذا بالبقرة تلتفت إليه، وتكلمه بكلام البشر قائلة له مستنكرة ركوبه لها مخالفًا سُنَّة الله في خلقه فيها: إنا لم نُخلق لهذا، وإنما خُلقنا للحرث، وكأنها تقول له: أنت ظالم لي بركوبك لي؛ لأنك استعملتني فيما لم يخلقني الله له، . . . ذلك أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

فقال الصحابة متعجبين، وإنه لموضع تعجب: سبحان الله! بقرة تتكلم!! ولكن تعجبهم لم يكن تكذيبًا للرسول، فحاشاهم أن يُكذبوه، ولكنهم سمعوا منه ما هو مخالف للمألوف المُشاهَد المعروف، فقال لهم مؤكدًا الخبر، ومقررًا إياه، إنه يؤمن بذلك، ويؤمن به أبو بكر وعمر، ولم يكونا موجودين في ذلك اليوم معه في المسجد عندما حدَّث بهذا الحديث، قال ذلك عنهما في

غيبتهما، لعلمه بعظيم تصديقهما لربهما، وعظيم يقينهما وإيمانهما بقدرة الله على كل شيء، ومن ذلك إقدار البقرة على الكلام.

وحدثهم عن قصة أخرى كان المتكلم فيها ذئب، فقد عدا ذلك الذئب على غنم لأحد الرعاة، فأخذ منها شاة، وكان الراعي قويًّا شجاعًا، فتبع الذئب واستنقذ شاته منه، فالتفت الذئب إلى الراعي مستنكرًا عليه أخذ الشاة منه وقال له: ها أنت استنقذت هذه الشاة مني، فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري؟ وهو يشير بيوم السبع إلى واقعة تقع في مقبل الزمان، تُترك فيها الأنعام والمواشي وتُهمَل، فتعيث السباع فسادًا فيها، لعدم وجود من يحميها ويحرسها، ويبدو أن ذلك يقع قرب وقوع الساعة، عند اشتداد الفتن.

وكما تعجب الناس من البقرة التي تتكلم، تعجبوا أيضًا من الذئب الذي تكلم، وقالوا ما قالوه أولاً، وردَّ عليهم، بما رده عليهم في القصة الأولى.

وما استغربه الصحابة هو تكليم الحيوانات للبشر بكلام

البشر، أما أن يكلم البشرُ الحيوان بلغته فذاك أمر آخر، فقد كان نبي الله سليمان يفقه لغة الطير والحيوان، وقد أخبرنا أن جيش سليمان عندما أتى وادي النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[1].

وعندما تفقَّد جنوده، ومنهم الطيور المجندة في جيشه، لم يجد الهدهد وهو أحد جنوده المجندة، فتوعده بالذبح إن لم يأته بما يبرر به غيبته، فلما حضر عنده، ووقف بين يديه خاطبه قائلاً: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[2] إلى آخر ما قاله لسليمان.

ومن ذلك إخبار الهدهد سليمان بأخبار ملكة سبأ وقومها، وما هم عليه من الشرك وتكليف سليمان له بحمل رسالة منه لملكة سبأ، وتكليفه بحمل ردها على رسالته.

ومن ذلك أن بعض الحيوانات كلمت الرسول ﷺ

---

(١) سورة النمل: الآيتان: (١٨-١٩).

(٢) سورة النمل: الآيتان: (٢٢-٢٣).

وفقه عنها ما تكلمت به، فقد شكا جمل إلى الرسول ﷺ أن أهله يتعبونه ويجيعونه.

أما تكليم الحيوانات للبشر بلغة البشر، فقد وقع منه ما أخبر به الرسول ﷺ في هذا الحديث.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الساعة لا تقع حتى تكلم السباع الإنس، أي بلغتهم، وذلك كائن لإخبار الرسول ﷺ به.

ونحن وإن كنا نعجب من تكليم الحيوان للإنسان بلغته فإننا نؤمن به تصديقًا لخبر الصادق المصدوق، وإيمانًا منا بقدرة الله تعالى، وقد أخبرنا الله أن أعضاء الإنسان في يوم القيامة تكلمه وتشهد عليه ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

* * *

(1) سورة فصلت: الآية: (21).

الدروس المستفادة:

(١) استحباب وعظ الناس بالوقائع الدالة على عظيم قدرة الله، فقد جاء في هذا الحديث أن الرسول ﷺ حدث بهذا الحديث أصحابه بعد صلاة الصبح.

(٢) يجوز وعظ الناس بعد الصلاة.

(٣) بيان عظيم قدرة الله في خلقه، فالله قادر على أن يعلم الحيوان التكلم بلسان الإنسان.

(٤) يجب على المسلم أن يصدق بالأخبار التي جاء القرآن بها أو صحَّ بها السند إلى رسول الله ﷺ ، مهما كان الخبر مُستغربًا، أما القصص الموضوعة والمكذوبة التي لم تصح الأحاديث بها فلا تجوز روايتها إلا لبيان كذبها وضعفها.

(٥) لا يجوز استعمال الحيوان في غير ما خلقه الله له، كأن تستعمل الأغنام في الحراثة، والأبقار في الركوب ونقل الأثقال، فالله خلق كل حيوان ليقوم بمهمات تناسب خلقه وقدراته.

(٦) فضل أبي بكر وعمر، فقد أخبر الرسول ﷺ عن عظيم إيمانهما، وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته، وأنهما يصدقانه فيما أخبر به من غير تردد على الرغم من غيابهما عن صلاة الصبح، وأغلب الظن أنهما ما غابا إلا لأنهما كانا خارج المدينة في سرية أو مهمة بعث بهما رسول الله ﷺ إليها، فقد عُلم من سيرتهما أنهما لا يتخلفان عن الصلاة مع الرسول ﷺ إذا كانا في المدينة[١].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح القصص النبوي (١٩٢ - ١٩٥) بتصرف.

مَلَكٌ يرد ويدافع عنك

جلس النبي ﷺ يومًا بين أصحابه ﷺ ليُعلمهم وكان أبو بكر ﷺ جالسًا معه.

وفجأة جاء رجل غريب وأخذ يسب أبا بكر الصديق سبًا مُنكرًا... وأبو بكر لا يرد عليه ولا يتكلم.

وكان النبي ﷺ يعجب ويبتسم ولا يتكلم.

وظل الرجل يسب أبا بكر... وأبو بكر لا يرد عليه ولا يتكلم. فلما أكثر الرجل من السب والشتم رد عليه أبو بكر بعض قوله، فقام النبي ﷺ مُغضبًا وانصرف من هذا المجلس.

فقام أبو بكر خلف النبي ﷺ حتى لحقه وقال له: يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبت وقمت.

فقال له النبي ﷺ : «إنه كان معك مَلَكٌ يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان».

الدروس المستفادة:

(١) لا تغضب لنفسك ولا تشتم أحدًا أبدًا فإن المسلم لا يعرف الكلام البذيء وإنما يتكلم بالكلام الطيب.

(٢) وإذا سبَّك أو شتمك أحد، فلا ترد عليه حتى لا تدع فرصة للشيطان أن يدخل بينكما ويزيد من عداوتكما.

(٣) إذا سبَّك أحد أو شتمك ولم ترد عليه فإن المَلَك هو الذى يرد عنك ويدافع عنك.

* * *

قصة الأربعة

جلس النبي ﷺ يومًا يحكي لأصحابه قصة الأربعة.

إنهم أربعة يمثلون كل نوعيات البشر الذين يعيشون على الأرض.

ذكرهم لنا النبي ﷺ لأن كل واحد منا لا بُدَّ أن يكون واحدًا من هؤلاء الأربعة.

* يبدأ النبي ﷺ قصة الأربعة بذكر أول رجل من هؤلاء الأربعة: فهو رجل عالم يعرف الحلال من الحرام ويعرف الصواب من الخطأ... سَلَك طريق العلم حتى أصبح عالمًا جليلاً... ولم يرزقه الله العلم فحسب بل رزقه العلم الغزير والمال الوفير، فلم يستعمل هذا المال فى معصية الله بل سخَّر ماله كله فى كل ما يقربه إلى الله (جل وعلا).. فكان يُخرج زكاة ماله ويتصدق ويصل أرحامه ويتقى ربه فى هذا المال ولذا فلقد أخبر النبى

ﷺ أن هذا الرجل بأفضل المنازل.

* ثم ذكر النبي ﷺ الرجل الثاني.. وهو رجل فاضل أيضًا.. فهو عالم جليل سلَك طريق العلم حتى أصبح عالمًا جليلاً... وكان يتمنى أن يتصدق وأن يفعل الكثير من الخيرات لكنه كان فقيرًا لا يمتلك مالاً فأخلص النية لله (جل وعلا) أنه إذا رزقه المال الكثير فإنه سيفعل مثلما فعل الرجل الأول.

وإذا بالنبى ﷺ يخبر بأنهما فى الأجر والثواب مثل بعضهم البعض... هذا بعمله وهذا بنيته.

* ثم أخبرنا النبى ﷺ عن الرجل الثالث بأنه رجل ليس عنده علم ولا دين ولا خُلق ولكنه يمتلك المال الكثير...

ولما كان هذا الرجل ليس عنده وازع دينى يردعه عن فعل المعاصى والمخالفات فإنه أخذ ينفق هذا المال فى المعاصى والمنكرات وكان يبخل على أهله وأقاربه.. فأخبر النبى ﷺ أن هذ الرجل بأخبث المنازل.

* ثم أخبرنا النبى ﷺ عن الرجل الرابع بأنه رجل

ليس عنده علم ولا دين ولا خُلق ومع ذلك فهو فقير لا يمتلك درهمًا ولا دينارًا.

ومع كل هذا أخذ يتمنى ويستحضر النية بأنه إذا رزقه الله المال الوفير فإنه سيفعل مثلما فعل الرجل الثالث من الوقوع فى المعاصى والمنكرات... فأخبر النبى ﷺ بأنهما فى الوزر سواء: هذا بعمله وهذا بنيته.

* إن قصة هؤلاء الأربعة تحكى قصة الخير والشر فى آن واحد.

فأول اثنين تحكى قصتهما جانب الخير فى الإنسان.

وآخر اثنين تحكى قصتهما جانب الشر فى الإنسان.

وعلى المسلم أن يقرر من الآن مع أى الفريقين يريد أن يكون.



ولقد ذكر النبي ﷺ قصة الأربعة فقال ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله تعالى علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أنَّ لي مالاً، لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا، يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أنَّ لي مالاً لعملت فيه بعمل فلانٍ، فهو بنيته، فوزرهما سواء»[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

الدروس المستفادة:

(١) أن العلم أفضل من المال.. فالعلم هو الذي يجعل العبد يُحسن التصرف فى المال فيستعمله فى طاعة الله (جل وعلا).

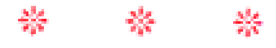
(٢) أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله (جل وعلا).

(٣) أن الواجب على المسلم إذا رزقه الله المال الوفير ألا ينسى المسلمين الفقراء من حوله ولكن عليه أن يبدأ بأرحامه الفقراء.

(٤) أن العبد إذا أخلص النية لله (جل وعلا) فقد يفوز بحسنات كالجبال على أعمال لم يعملها وإنما أخلص النية فى أنه إذا تيسَّر له أن يعملها فإنه سيعملها.

(٥) أن الجهل بالله وبدين الله يجعل العبد يسىء التصرف فى ماله فينفقه فى معصية الله (جل وعلا).

(٦) أن الجهل والفقر إذا اجتمعا فى عبدٍ فإنه سيحرص على تقليد القدوات السيئة؛ لأنه لا يعلم الخير من الشر.



قصة السبعة الذين يُظلهم الله فى ظله

كان النبى ﷺ يربط قلوب أصحابه والأمة من بعدهم بالدار الآخرة حتى لا تتعلق قلوبهم بمتاع الدنيا الزائل .. بل تتعلق قلوبهم بجنة الرحمن التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفى يوم من الأيام جلس النبى ﷺ مع أصحابه ليخبرهم عن مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة.

فالناس يوم القيامة يخرجون من قبورهم حُفاة عُراة ويقفون فى أرض المحشر حيث لا طعام ولا شراب ولا ظل يستظلون فيه .. بل إن الشمس تقترب من الناس حتى تكون كمقدار ميل ويفيض العرق على أجسادهم من شدة حرارة الشمس فى يوم مقداره خمسين ألف سنة.

وهنا تأتى البشارة من رسول الله ﷺ فيخبر عن سبعة أصناف من البشر يكونون يوم القيامة فى ظل عرش

الرحمن (جل وعلا).

* وتأمل معى هذا المشهد المهيب.

ها هم الناس قد وقفوا فى أرض المحشر بلا طعام ولا شراب ولا ظل.

* **وإذا بالمنادى ينادى:** من كان إمامًا عادلاً فى الدنيا فليأت إلى ظل عرش الرحمن .. فيذهب كل إمام عادل ويجلس فى ظل عرش الرحمن.

* **ويأتى النداء الثانى:** كل شاب نشأ فى عبادة الله يأتى ليكون فى ظل عرش الرحمن .. فيذهب كل شاب نشأ فى عبادة الله ويجلس فى ظل عرش الرحمن.

* **ويأتى النداء الثالث:** من كان قلبه مُعلَّقًا بالمساجد فليأت إلى ظل عرش الرحمن .. فيذهب كل من كان قلبه مُعلقًا بالمساجد ويجلس فى ظل عرش الرحمن.

* **ويأتى النداء الرابع:** من كان يحب أخاه فى الله فليذهب مع أخيه ليجلسا فى ظل عرش الرحمن .. فيذهب كل اثنين تحابا فى الله ليجلسا فى ظل عرش الرحمن.

* ويأتى النداء الخامس: كل من دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله فليأت إلى ظل عرش الرحمن.. فيذهب كل شاب عفيف دعته امرأة ذات منصب وجمال لفعل الفاحشة فقال: إنى أخاف الله ويجلس فى ظل عرش الرحمن.

* ويأتى النداء السادس: من تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه فليأت إلى ظل عرش الرحمن .. فيأتى كل من تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ويجلس فى ظل عرش الرحمن.

* ويأتى النداء السابع والأخير: كل من ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه فليأت إلى ظل عرش الرحمن.. فيأتى كل من ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه ويجلس فى ظل عرش الرحمن.

* وهكذا .. فكل من فعل شيئًا من تلك الأشياء السبعة فقد حجز مقعدًا تحت ظل عرش الرحمن بدلاً من أن يقف فى أرض المحشر فى الشمس المحرقة حيث لا طعام ولا شراب ولا ظل ولا راحة.

* ولقد ذكر النبي ﷺ قصة هؤلاء السبعة فقال ﷺ:

«سبعة يُظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معُلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[1].

* * *

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يستحضر كل مشاهد يوم القيامة حتى يستعد للقاء الله (جل وعلا) بالعمل الصالح.

(٢) أن يوم القيامة فيه أفراح كثيرة كما أن فيه الأهوال والآلام الكثيرة فلا ينبغي أن يكون حديثنا كله عن الأهوال وننسى الأفراح.

(٣) أنه ينبغي على كل مسلم أن يسعى لأن يكون واحدًا من هؤلاء الأصناف السبعة الذين يكونون في ظل عرش الرحمن يوم القيامة.

(٤) أن النبي ﷺ لم يَدَع خيرًا إلا وقد دلَّنا عليه ولم يدع شرًّا إلا وقد حذرنا منه.



قصة شفاعة النبى ﷺ

جلس الصحابى الجليل أبو هريرة رضي الله عنه يومًا مع بعض الصحابة وأخذ يحكى لهم كيف ذكر النبى ﷺ لهم قصة الشفاعة يوم القيامة.

فأخبرهم أبو هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يومًا مع النبى ﷺ فى دعوة خاصة على الطعام فقدموا للنبى ﷺ ذراع الشاة؛ لأنها كانت تعجبه فلما وضعوها بين يديه أخذ النبى ﷺ منها قطعة صغيرة بأطراف أسنانه ثم قال للصحابة رضي الله عنهم: «**أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذلك؟**».

ثم أخذ النبى ﷺ يذكر لهم سبب ذلك فأخبرهم أن الله (عز وجل) «**يجمع الناس جميعًا من الأولين والآخرين يوم القيامة فى أرض المحشر فيقفون موقفًا شديدًا وهم حُفاة عُراة وقد اقتربت الشمس من رؤوسهم فأصبحوا فى كرب وغم شديد... فبدأ الناس يفكرون سويًا فيمن يشفع لهم لكى يفرج**

الله عنهم هذا الغم والكرب الشديد.

فقال بعضهم لبعض: لماذا لا نذهب إلى أبينا آدم ليشفع لنا فيذهبون إلى أبيهم آدم ويقولون له: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك لكي يفرج ما نحن فيه من الكرب والبلاء.

ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟

فيقول لهم آدم (عليه السلام): إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الأكل من الشجرة فعصيته... نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري... اذهبوا إلى نوحٍ (عليه السلام) فيذهب الناس إلى نوح (عليه السلام).

فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدًا شكورًا ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله إلى أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرها - نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى: فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضَّلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه وكلَّمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبًا - نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتونني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سَلْ تُعطَه واشفع تُشفَّع فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب، أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[1].

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم إذا دعاه أحد إخوانه فينبغي عليه أن يلبي دعوته إلا إذا كان عنده عذر يمنعه من ذلك أو كانت هذه الدعوة فيها معصية لله (جل وعلا).

(٢) أن المسلم لا بد أن يستعد للقاء الله (جل علا) بالعمل الصالح.

(٣) أننا يوم القيامة سنكون في أشد الحاجة للفوز بشفاعة النبي ﷺ ولذلك ينبغي علينا أن نحرص على اتباع النبي ﷺ وطاعته حتى نفوز بشفاعته.

(٤) أن النبي ﷺ هو سيد الأولين والآخرين.. فهو صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود يوم القيامة... والنبي ﷺ له شفاعات كثيرة يوم القيامة ولكن هذه الشفاعة في بدء الحساب وهي الشفاعة العُظمى، هي أشهر شفاعة؛ لأنها تشمل الناس جميعًا على اختلاف أديانهم.

وهذه الشفاعة هي «المقام المحمود» الذي وعد الله

تعالى نبيه ﷺ في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

ويدل على أن «المقام المحمود» هو الشفاعة العظمى في أهل الموقف: قوله ﷺ: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهلُ الجمع كلهم»[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٩).

(٢) أخرجه البخاري.

قصة البطاقة والسجلات

جلس النبي ﷺ يومًا مع أصحابه ﷺ وحكى لهم قصة رجل من أمته سيخلصه الله وينجيه من أهوال يوم القيامة.

فأخبر النبي ﷺ أن هذا الرجل سيأتي يوم القيامة ويقف بين يدي الله - عز وجل- فيأمر الله ملائكته أن يعرضوا عليه تسعة وتسعين سجلاً كلها ذنوب وسيئات... السجل الواحد يصل حجمه إلى آخر ما ينتهي إليه بصر الإنسان إذا نظر أمامه في الصحراء الخالية.



ثم يسأله الله (عز وجل): عبدى... أهذه أعمالك؟

فلا يستطيع هذا العبد أن ينكر أبدًا بل يقول: أجل هذه أعمالى... ثم يسأله الله - عز وجل-: هل ظلمك ملك من الملائكة فكتب عليك ذنبًا لم تفعله؟

فيقول العبد: لا يا رب... فهذه كلها أعمالى التى عملتها.

* فيخبره الله -عز وجل- بأن له حسنة كبيرة... فيأمر الله ملائكته فيُخرجوا لهذا العبد بطاقة مكتوب فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم يأمر الله هذا العبد بأن يُحضر هذه السجلات التى يبلغ عددها تسعة وتسعين سجلاً لتوضع فى الميزان.

فيتعجب هذا العبد ويقول: يا ربّ! وماذا تصنع هذه البطاقة الصغيرة مع تلك السجلات الكبيرة التى يبلغ عددها تسعة وتسعين سجلاً ؟!

فيقول تعالى: احضر وزنك وسجلاتك فإنك لن تُظلم أبدًا...

* فوُضعت السجلات في كفة الميزان ووضعت البطاقة في الكفة الأخرى، فطاشت السجلات ورجحت الكفة التي فيها البطاقة والتي فيها كلمة التوحيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وفاز الرجل وكان من أهل الجنة؛ لأنه كان من أهل التوحيد الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.



الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم يعلم يقينًا أنه سيقف بين يدى الله يوم القيامة وأنه سوف يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة... ومن أجل ذلك كان واجبًا عليه أن يستعد من الآن للقاء الله بكثرة الأعمال الصالحة والبعد عن المعاصى... وإن وقع فى معصية فلابد أن يسارع إلى التوبة.

(٢) أن أعظم نعمة فى الكون كله أن يعيش المسلم موحدًا لله - جل وعلا- وأن يكون آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله. فقد قال النبى ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة..».

(٣) سعة رحمة الله - جل وعلا- فقد أمر ملائكته بأن يُخرجوا لهذا العبد بطاقة التوحيد بعد أن كان يظن أنه لن ينجو من النار.

(٤) أنه لا يوجد أثقل ولا أعظم من كلمة التوحيد، فإنها أثقل شىء فى ميزان العبد.



قصة لقاء إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه يوم القيامة

* بعث الله نبيه إبراهيم (عليه السلام) بالحنيفية السمحة فأخذ يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده بكل رحمة وحنان.

وكان من بين الذين اجتهد في دعوتهم إلى الله (آزر).

فمن هو آزر؟ .. إنه والد إبراهيم (عليه السلام).

* لقد قام إبراهيم (عليه السلام) بدعوة أبيه بكل رحمة وحنان وأدب لا يخطر على قلب بشر.

ولقد ذكر الله (عز وجل) هذه الصورة الحية لتلك الدعوة الرقيقة في كتابه فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ

يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٥) قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا (٤٦) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا ﴾[1].

*لم يستجب آزر لدعوة ابنه إبراهيم (عليه السلام) وظل هكذا على كفره حتى مات.

فإذا كان يوم القيامة يحشر الله البشرية كلها في أرض المحشر للحساب فيلتقي إبراهيم (عليه السلام) بأبيه آزر فينظر إليه فيجد على وجه أبيه سوادًا شديدًا وغُبارًا كثيرًا فيُذكره إبراهيم (عليه السلام) بأنه لطالما دعاه إلى عبادة الله وتوحيده ولكنه أبَى أن يستجيب.

قال له إبراهيم (عليه السلام): ألم أقل لك لا تعصني؟

فيقول أبوه آزر: فاليوم لا أعصيك.

فيتوجه إبراهيم (عليه السلام) إلى ربه (جل وعلا) ويقول له: يا رب إنك وعدتني أن لا تُخزيني في هذا

(١) سورة مريم: الآيات: (٤١-٤٧).

اليوم العظيم .. ثم سأل الله أن يقبل شفاعته فى أبيه آزر فيغفر له ويُدخله الجنة.

فيقول الله تعالى: إنى حرمت الجنة على الكافرين.

ولكى يتأكد إبراهيم (عليه السلام) أن أباه من أهل النار حدثت مفاجأة عجيبة .. يا ترى ما هى المفاجأة التى حدثت؟

لقد قيل لإبراهيم (عليه السلام) فى هذه اللحظة: انظر تحت رجليك فنظر إبراهيم (عليه السلام) فإذا بأبيه قد تحول إلى ضبع تفوح منه رائحة النتن فأخذته الملائكة من قوائمه فألقته فى النار.

* وهكذا كانت نهاية الكفر والعناد.

* * *

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة[١] وغبرة[٢]، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصنى؟

فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك.

فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يُبعثون، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد[٣]؟

فيقول الله تعالى: إنى حرمت الجنة على الكافرين.

ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ[٤] متلطخ[٥]، فيؤخذ بقوائمه[٦] فيُلقَى فى النار»[٧].

* * *

---

(١) القترة: السواد الكائن عن الكآبة.
(٢) الغبرة: الغبار من التراب.
(٣) الأبعد: شديد البعد من رحمة الله. وقيل: الأبعد بمعنى البعيد، والمراد: الهالك.
(٤) الذيخ: الضبع.
(٥) متلطخ: متمرغ فى نتنه.
(٦) القوائم: الأقدام.
(٧) رواه البخارى (٣٣٥٠).

الدروس المستفادة:

(١) أن الدعوة إلى الله لا بد أن تكون برفق ورحمة فقد قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نُزع من شيء إلا شانه».

(٢) أن أولى الناس بالدعوة الوالدين .. ولذلك بذل إبراهيم (عليه السلام) جهدًا كبيرًا مع والده من أجل أن يدعوه إلى عبادة الله وتوحيده لكنه أبَى أن يستجيب.

(٣) أن الإبن إذا دعا والديه ولم يجد أي استجابة فلا ينبغي أن يغلظ عليهما بل يجب عليه أن يتعامل معهما برحمة وأدب.

(٤) أن الهداية بيد الله يهدي من يشاء (سبحانه وتعالى).

* * *

(١) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

وفى يوم من الأيام تواعد النبى ﷺ مع أصحابه على أن يجلسوا سويًا وقبل الموعد المحدد ذهب الصحابة إلى المسجد وجلسوا فى غاية الأدب والسكون احترامًا لشخص النبى ﷺ .

وبعد وقت قصير جاء النبى ﷺ وجلس معهم ورحب بهم .

وفجأة.. ضحك النبى ﷺ ثم سأل الصحابة: هل تدرون لماذا أضحك؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم .

فأخبرهم النبى ﷺ عن سبب ضحكه فقال لهم: أضحك من مخاطبة العبد لربه يوم القيامة !!!

فإنه سيأتى عبدٌ من عباد الله ويقف بين يدى الله (جل وعلا) ليحاسبه الله على أعماله .

وإذا بهذا العبـد يقول لربه (جل وعلا): يارب ألم تُحرم الظلم على نفسك وعلى عبادك فقلت: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»

فيقول الله (جل وعلا): بلى.. قد حرمت الظلم.

فيقـول هذا العبد: فإني لا أريد أن يشهد أحدٌ عليَّ.. بل أريد أن أشهد أنا على نفسي.

فيقـول له الحق (جل وعلا): كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا.

ثم يُختم على فم هذا العبد فلا يستطيع أن يتكلم كلمة واحدة.

ثم يأمر اللـه عين هذا العبـد أن تتكلم فتقول: يا رب أنا نظرت إلى الحرام.

ويأمر أذنه أن تتكلم فتقول: وأنا استمعت إلى الحرام.

ويأمر يديه أن تتكلما فتقولا: لقد فعلنا الحرام.

ويأمر رجليه أن تتكلما فتقولا: لقد مشينا إلى الحرام.

ثم يأمر الحق (جل وعـلا) هذا العبد أن يتكلم فيقوم ويدعو على جوارحه التي شهدت عليه ويقول: بُعدًا لكُنَّ

وسحقًا فعنكن كنت أدافع وأكذب حتى تدخلوا الجنة وتنجوا من النار.

* وقد ذكر الله (جل وعلا) ذلك فى كتابه فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾(٣).

* وذكر النبى ﷺ ذلك فى سنته كما روى ذلك أنس

---

(١) سورة النور: الآية: (٢٤).
(٢) سورة يس: (٦٥).
(٣) سورة فصلت: الآيات: (١٩ - ٢٤)

بن مالك رضي الله عنه فقال: كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال: «أتدرون مما أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تُجرني من الظلم» قال: «يقول: بلى» قال: «فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا» قال: «فيُختم على فيه - أي على فمه - ويقال لأركانه انطقي» قال: «فتنطق بأعماله ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه: بعدًا لكنَّ وسُحقًا فعنكن كنت أناضل»(1).

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه مسلم.

الدروس المستفادة:

(١) أن الضحك ليس محرمًا ولكن ينبغى أن يكون فى موضعه الطبيعى وألا يكون العبد كثير الضحك لأن كثرة الضحك، تُميت القلب وليس معنى ذلك أن يكون العبد عبوسًا كئيبًا بل ينبغى عليه أن يكون دائم البسمة وأن يكون معتدلاً فى ضحكه.

(٢) أن الله (جل وعلا) حرم الظلم لأن الظلم ظُلمات يوم القيامة.

(٣) أن الله (جل وعلا) يحاسب عباده بالرحمة والفضل ولو حاسبهم بالعدل لهلكوا جميعًا.

(٤) أن المسلم ينبغى أن يستعمل جوارحه فى طاعة الله ولا يستعملها فى معصيته؛ لأن تلك الجوارح ستشهد عليه يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

رجل يبحث عن الكبائر

* حبايبي الحلوين.

نحنُ نعرف أن النبى ﷺ لم يترك خيرًا إلا وقد دلّنا عليه ولم يترك شرًّا إلا وقد حذرنا منه.

وها هو الحبيب ﷺ يجلس فى يوم من الأيام مع أصحابه ويحكى لهم قصة عجيبة جداً.

إنها قصة رجل يبحث عن الكبائر.. فيا تُرى ما هى قصة هذا الرجل؟

تعالوا بنا لنعرف قصته.

قال النبى ﷺ يومًا لأصحابه: «إنى لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة».

فتعجب الصحابة من ذلك وتلهفوا لسماع قصة هذا الرجل.

فأخبرهم النبى ﷺ أن هذا الرجل يؤتَى به يوم

القيامة ليقف بين يدى ربه (جل وعلا) ليحاسبه على أعماله.

وبينما هو واقف بين يدى الله ليحاسبه وإذا بالله (جل وعلا) يأمر الملائكة بأن تعرض على هذا العبد صغائر ذنوبه ولا تعرض عليه الكبائر التى ارتكبها.

فأخذوا يعرضون عليه صغائر الذنوب.. وكلما عرضوا عليه ذنبًا من ذنوبه أشفق العبد وخاف.. وظن أنه سيدخل النار.

فقد كانت الملائكة تقول له: فعلت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا.. فيقول: بلى.. وفعلت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا.

فيقول: بلى.. حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك وأنه من أهل النار وإذا بهم يقولون له: إن الله قد جعل لك مكان كل سيئة حسنة.

... يا الله.. لقد تحولت السيئات كلها إلى حسنات!!!

فلما علم العبد أن صغائر الذنوب قد تحولت إلى حسنات وإذا به من شدة الطمع في رحمة الله يقول: فأين الكبائر؟!

إنه يريد منهم أن يعرضوا عليه الكبائر حتى تتحول هي الأخرى إلى حسنات بفضل الله ورحمته (جل وعلا).

فضحك النبي ﷺ حتى بدت أسنانه.

❊ ❊ ❊

* وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ : «إني لأعرفُ آخر أهل النار خُروجًا من النار، وآخر أهل الجنة دُخولاً الجنة، رجلٌ يؤتَى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن يُنكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا رب عملت أشياء لا أراها ههنا»[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم يعلم يقينًا أنه سيفارق هذه الدنيا وسيقف بين يدى الله (جل وعلا) ليحاسبه فلا بد أن يستعد وأن يتزود بالعمل الصالح قبل لقاء الله (جل وعلا).

(٢) أن الله (جل وعلا) يعلم كل ما يفعله العبد وسيسأله عن كل صغيرة وكبيرة.. فينبغى على كل مسلم أن يتوب قبل أن يلقى الله (جل وعلا).

(٣) أن من كمال رحمة الله (جل وعلا) أنه قد يغفر الذنوب وقد يعفو فلا يعاتب ولا يعاقب.. وقد يبدل الذنوب والسيئات إلى حسنات برحمته (جل وعلا).

(٤) أن المسلم يطمع دائمًا فى رحمة الله وجوده وكرمه.. وقد رأينا كيف أن هذا العبد لما علم أن صغائر الذنوب قد بدلها الله إلى حسنات سأل عن الكبائر لكى تتبدل هى الأخرى إلى حسنات.



أربعة يحتجون يوم القيامة

جلس النبي ﷺ يومًا مع أصحابه ليُعلمهم أمور دينهم ويُذكرهم بالله وبالدار الآخرة.

وفي هذا اليوم أخبرهم النبي ﷺ عن قصة الأربعة الذين يحتجون يوم القيامة.. فيا تُرى ما هي قصتهم؟

تعالوا بنا لنتعرف على قصتهم.

إنهم أربعة من الرجال: رجل أصم لا يسمع أي شيء.. ورجل أحمق لا يفقه ولا يعقل أي شيء.. ورجل كبير جدًا في السن لا يعقل أي شيء.. ورجل عاش في الفترة التي بين الرسل فهو لم يدرك أي رسول ولم يدرك أي رسالة.

فيأتي هؤلاء الأربعة يوم القيامة ويحتجون؛ لأن بعضهم لم تبلغه أي رسالة... والبعض الآخر لم يكن يعقل أي شيء.

فجاء الرجل الأول - وهو الأصم الذى لا يسمع - فوقف بين يدى الله (جل وعلا) فقال: يا رب.. لقد جاء الإسلام وأنا رجلٌ أصم لا أسمع أى شىء فلم تبلغنى رسالة الإسلام.

وجاء الرجل الثانى - وهو الأحمق الذى لا يعقل أى شىء - فوقف بين يدى الله (جل وعلا) وقال: يا رب.. لقد جاء الإسلام وأنا رجل أحمق لا أعقل أى شىء حتى كان الصبيان يضربوننى بالحجارة.

وجاء الرجل الثالث - وهو الكبير جدًا فى السن الذى لا يعقل أى شىء - فوقف بين يدى الله (جل وعلا) فقال: يا رب.. لقد جاء الإسلام وأنا رجل كبير جدًا فى السن لا أعقل أى شىء.

وجاء الرجل الرابع - وهو الذى مات فى الفترة بين الرسل فلم يدرك أى رسول ولا أى رسالة - فوقف بين يدى الله (جل وعلا) فقال: يا رب.. لقد عشت فى الفترة فلم أدرك أى رسالة ولا أى رسول.

* فلما استمع إليهم الحق (جل وعلا) أخذ منهم العهود والمواثيق على أن يطيعوه.. ثم أمرهم أن يُلقوا بأنفسهم فى النار.. فمن أطاعه وألقى بنفسه فى النار وجدها بردًا وسلامًا ثم دخل الجنة.. ومن عصاه ولم يدخلها سحبته الملائكة وألقته فى النار فوجدها نارًا حقيقية.

* * *

* وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«أربعةٌ يحتجون يوم القيامة: رجلٌ أصمٌّ لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هَرِمٌ، ورجلٌ مات في فترة.

فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا.

وأما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، والصبيان يحذفونني بالبعر.

وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا.

وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنَّه، فيرسل إليهم أن ادخُلوا النار، فمن دخلها كانت بردًا وسلامًا ومن لم يدخلها سُحب إليها»[1].



(١) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٨١).

الدروس المستفادة:

(١) أن الله (عز وجل) لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

(٢) أن هناك من يعذره الله يوم القيامة؛ لأنه كان لا يعقل أو لأنه لم تبلغه الدعوة.. فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1].. وقال النبي ﷺ: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل».

(٣) أن الخير كل الخير فى طاعة الله (جل وعلا).. وأن الشر كل الشر فى معصيته ومخالفة أمره.

* * *

(١) سورة الإسراء: الآية: (١٥).

سترٌ فى الدنيا ومغفرة فى الآخرة

كان ياما كان .

كان هناك عبدٌ يحب الله ورسوله ﷺ لكنه كان ضعيفًا أمام الشهوات فكان يقع كثيرًا فى المعاصى . . ولكنه كان يتوب ويستغفر الله بعد كل معصية . . فغفر الله له ولكنه لم يعفُ عنه .

والفرق يا حبايبى بين العفو والمغفرة: أن الله إذا غفر لعبد فإنه لا يعاقبه على هذا الذنب لكنه يعاتبه يوم القيامة ويُذكِّره بذنوبه .

أما إذا عفا عن العبد فإنه لا يعاقبه ولا يعاتبه بل يجعل الملائكة تمسح تلك الذنوب من صحيفة العبد .

المهم أن هذا العبد غفر الله له . . فلما جاء يوم القيامة ووقف فى أرض المحشر نادت عليه الملائكة : أين فلان ابن فلان . فردَّ عليهم فأخذته الملائكة للعرض على الله (جل

وعــلا) فلمــا وقف بين يدى الـله (جل وعــلا) وإذا بالله (سبحانه وتعالى) يُذكـره بذنوبه كلها ويقول له: عبدى.. فعلت كـذا وكذا فى يوم كذا وكذا وفعلـت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا.

فيقول العبد: بلى يا رب.

حتـى إذا عرض عليـه ذنوبه كلها وظن العـبد أنه قـد هلك وأنه من أهل النار وإذا بالعزيز الغـفار يقول له: إنى قد سـترتها عليك فى الدنيا وأنا اليوم أغـفرها لك.. خُذ كتابك بيمينك وادخل الجنة.

فيأخذ العبد كتابه بيمينه ويجرى فى أرض المحشر وهو يقول:

﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[1].

والملائكة تمشى أمامـه وتقول وهى تشيـر إليه: لقد سَعِدَ فلان ابن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا.

---

(١) سورة الحاقة: الآيات: (١٩-٢٤).

* وأما العبد الفاجر أو الكافر فإنه يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويجرى فى أرض المحشر وهو يقول:

﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[(١)].

* * *

* وقد ذكر النبى ﷺ ذلك فقال ﷺ :

«يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كَنَفَه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أى رب أعرف. قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وإنى أغفرها لك اليوم، فيُعطَى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله»[(٢)].

* * *

(١) سورة الحاقة: الآيات: (٢٥-٣٧).

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائى.

الدروس المستفادة:

(١) على العبد أن يحذر من الوقوع فى المعاصى لأنها تجلب غضب الله عليه.

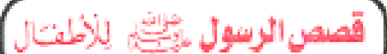
(٢) إذا وقع العبد فى أى معصية فلا بد أن يسارع إلى التوبة حتى يتوب الله عليه ويغفر له ذنوبه وآثامه.

(٣) أن العبد لا بد أن يحرص على أن يطلب من الله أن يعفو عنه؛ لأنه لو عفا عنه فلن يعاقبه ولن يعاتبه.

ولذلك كان دعاء ليلة القدر: «اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عنى».

(٤) أن فرحة العبد المؤمن بلقاء ربه لا توصف.. وأما العبد الفاجر أو الكافر فإنه يكره لقاء الله فيكره الله لقاءه.

* * *



غمسة فى الجنة.. وغمسة فى النار

كان ياما كان..

كان هناك رجل فقير جداً قد ابتلاه الله (جل وعلا) فى كل شيء. ابتلاه فى صحته، وفى زوجته، وأولاده، وفى كل شيء، ومع كل هذا كان هذا الرجل يشكر الله ويحمده على كل حال ولم يعترض أبداً على قدر الله جل وعلا.. بل كان شاكراً عابداً يُضرَب به المثل فى الصبر والرضا.

فأخبرنا الرسول ﷺ أن هذا الرجل سيأتى يوم القيامة ويقف بين يدى الله (جل وعلا) فيأمر الله ملائكته بأن يأخذوا هذا الرجل ويغمسوه غمسة واحدة فى الجنة.

فيذهبوا بهذا الرجل ويغمسوه غمسة واحدة فى الجنة لم تستغرق إلا وقتًا يسيراً لا يساوى دقيقة واحدة.. ثم يعودون به مرة أخرى ليقف بين يدى الله (جل وعلا).

فيسأله الحق (تبارك وتعالى) ويقول له: عبدى.. هل رأيت بؤسًا قط.. هل مرت بك شدة قط.

فيقول هذا العبد: لا والله يا رب.. ما رأيت بؤسًا قط ولا مرت بى شدة قط.

* ولا تظنوا يا حبايبى أن هذا العبد يكذب على الله حينما يقول: لا والله يا رب.. ما رأيت بؤسًا قط ولا مرت بى شدة قط.

فإن هذا العبد نسى كل شقاء وبلاء بهذه الغمسة فى الجنة.

* وكان هناك رجل آخر.. كان أغنى أهل الأرض وأكثرهم نعيمًا من كل أنواع النعيم.. من المال والقصور والمناصب والنساء والأموال.. ومن كل نعيم فى هذه الدنيا.

لكنه بكل أسف كان بعيدًا عن طاعة الله يعيش حياته كلها فى معصية الله (جل وعلا).. لم يفكر لحظة واحدة أن يشكر الله على أى نعمة من نعمه التى لا تخطر على قلب بشر.

فأخبرنا الرسول ﷺ أن هذا الرجل سيأتي يوم القيامة ويقف بين يدى الله (جل وعلا) ليحاسبه.. فيأمر الله ملائكته بأن يأخذوا هذا الرجل ويغمسوه غمسة واحدة فى النار.

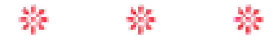
فيذهبوا بهذا الرجل ويغمسوه غمسة واحدة فى النار لم تستغرق إلا وقتًا يسيرًا لا يساوى دقيقة واحدة.. ثم يعودون به مرة أخرى ليقف بين يدى الله (جل وعلا).

فيسأله الحق (تبارك وتعالى) ويقول له: عبدى.. هل رأيت خيرًا قط؟.. هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟

فيقول هذا العبد: لا والله يا رب.. ما رأيت خيرًا قط ولا مرَّ بى نعيمٌ قط.

* ولا تظنوا يا حبايبى أن هذا العبد يكذب على الله حينما قال: لا والله يا رب ما رأيت خيرًا قط ولا مرَّ بى نعيمٌ قط.

فإن هذا العبد نسى كل نعيم رآه فى الدنيا بهذه الغمسة فى النار.



* وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بى بؤس قط، ولا رأيت شدةً قط»[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي.

الدروس المستفادة:

(١) أن الله (جل وعلا) إذا ابتلى عبدًا من عباده في ماله وصحته وفي كل شيء فليس هذا بسبب هوان هذا العبد على الله.. بل قد يكون له قدرٌ عظيم عند الله.. فقد قال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل.. يُبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتُلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[١].

(٢) أن النعيم الحقيقي في الجنة؛ ولذلك فقد نسي هذا العبد الفقير كل بلاء وشقاء مع أول غمسة في الجنة.

(٣) أن الله إذا أنعم على عبدٍ بكل أصناف النعم.. فليس هذا دليلاً على محبته لهذا العبد.. فإن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب.

(٤) أن العذاب الحقيقي هو عذاب النار.. ولذلك فقد نسي هذا العبد الغني كل خير ونعيم مع أول غمسة في النار.

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٩٩٢).

قصة ذبح الموت

جلس النبى ﷺ يومًا بين أصحابه ﷺ وبدأ يحدثهم عن مشهد مهيب من المشاهد التى ستحدث يوم القيامة.

وجلس الصحابة ينصتون لكلام النبى ﷺ.. فقد كانوا يحبون النبى ﷺ أكثر من حبهم لأنفسهم ولآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم.

وبدأ النبى ﷺ يخبرهم بهذا المشهد العجيب.. فيا تُرى ما هو هذا المشهد؟ لقد أخبرهم النبى ﷺ بأنه يؤتَى يوم القيامة بالموت.. وليس ملك الموت.. بل يؤتَى بالموت نفسه فيوقف على الصراط الذى هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف.

ثم ينادى مُنادٍ: يا أهل الجنة.. فيسمع أهل الجنة النداء فينطلقون نحو الصوت وهم فى غاية الخوف أن يكون هذا النداء من أجل أن يخرجوا من الجنة.. وقبل أن يعرفوا

سبب النداء وإذا بالمنادى ينادى: يا أهل النار.. فيسمع أهل النار ذلك النداء فينطلقون نحو الصوت وهم فى غاية الفرح عسى أن يكون هذا النداء من أجل أن يخرجوا من النار ويرتاحوا من هذا العذاب.... فلما اجتمع أهل الجنة وأهل النار عند الصراط وإذا بالمفاجأة الكبرى.. يا ترى ما هى المفاجأة؟

يقول لهم المنادى وهو يشير نحو الموت: هل تعرفون هذا؟

فيقولون جميعًا: نعم نعرفه.. إنه الموت.

فيؤمر بالموت فيُذبح على الصراط ثم يقال لأهل الجنة ولأهل النار: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبدًا.

ويا أهل النار خلود فلا موت أبدًا.

فيزداد أهل الجنة فرحًا لأنهم سيخلدون فى الجنة ونعيمها.

ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم لأنهم سيخلدون فى النار وعذابها.



* وقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة في حديث صحيح فقال ﷺ : «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت وكلهم قد رأوه ثم ينادي: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه فيُذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة! خلودٌ فلا موت ويا أهل النار! خلود فلا موت ثم قرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ (وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا) ﴿ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾»[1].

* وفي رواية قال ﷺ : «يُؤتى بالموت يوم القيامة، فيوقفُ على الصراط، فيقالُ: يا أهل الجنة! فيطَّلعون خائفين وجلين أن يُخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يُقال: يا أهل النار! فيطَّلعون مستبشرين فرحين أن يُخْرَجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقالُ: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، فيُؤمر به فيُذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كلاهما: خلودٌ فيما تجدون، لا موتَ فيها أبداً»[2].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٩).

الدروس المستفادة :

(١) أن النبي ﷺ كان يتعهد الصحابة دائمًا بالوعظ والتعليم حتى يعرفوا أمور دينهم وليزدادوا إقبالاً على الطاعة .

(٢) أن الصحابة كانوا حريصين كل الحرص على القرب من النبي ﷺ من أجل أن يتعلموا أمور دينهم ومن أجل أن يظفروا بصحبته .

(٣) أن العبد يحب دائمًا أن يعرف ماذا سيحدث في الدار الآخرة حتى يعلم كيف يستعد للقاء الله .

(٤) أن من رحمة الله بعباده أنه كتب الخلود في الجنة لأهل الإيمان وكتب الخلود في النار لأهل الشرك والكفران .

❋ ❋ ❋

قصة المرائين الثلاثة

كان النبي ﷺ جالسًا يومًا بين أصحابه ﷺ يعلمهم ويربيهم ويرشدهم إلى الخير ويحذرهم من الشر.

وفى يوم من الأيام جلس النبى ﷺ حزينًا يحكى لأصحابه قصة أول ثلاثة تُسعَّر بهم النار يوم القيامة.

وسبب هذا الحزن أن هؤلاء الثلاثة من هذه الأمة المباركة لكنهم كانوا لا يعملون العمل ابتغاء مرضاة الله، وإنما من أجل الشهرة وطلب المدح والثناء من الناس.

* يأتى هؤلاء الثلاثة عندما يجمع الله الناس جميعًا يوم القيامة فى أرض المحشر ليحاسبهم.

فينادى ملك من الملائكة على أحد هؤلاء الثلاثة وهو قارئ القرآن فيذهب مسرعًا ويتخطى الصفوف فى أرض المحشر ليقف بين يدى الله - جل وعلا.

فيُعرفه الله نعمه ويُذكره بها فيعترف هذا القارئ بكل نعم الله عليه.

فيسأله ربه - جل وعلا-: وماذا عملت بتلك النعم؟

فيقول قارئ القرآن: تعلمت العلم وعلمته للناس وقرأت القرآن ابتغاء وجهك.

ولكن الله - عز وجل - يعلم أن هذا الرجل يكذب وأنه لم يعمل هذا العمل ابتغاء مرضاة الله... فيقول له الله - جل وعلا -: كذبت.

وتقول الملائكة لهذا القارئ: كذبت.

ثم يوضح له الحق - جل وعلا - لماذا حكم عليه بالكذب.

فيقول: إنك تعلمت ليقول الناس: إنك عالم....

وقرأت القرآن ليقول الناس: إنك قارئ... وقد قيل... أي أخذت ما تريد.

ثم يأمر الله الملائكة فتُلقيه على وجهه في نار جهنم.

* ثم ينادى ملك من الملائكة على الرجل الثانى وهو: المنفق المتصدق.

فيتخطى الصفوف ويقف بين يدى الله - جل وعلا - ... فيُعرفه الله نعمه عليه ويُذكره بها فيعترف بنعم الله عليه.

ثم يسأله ربه - جل وعلا -: وماذا عملت بتلك النعم؟

فيقول المتصدق: ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيه إلا أنفقت فيها المال ابتغاء وجهك.

ولكن الله - عز وجل - يعلم أن هذا الرجل يكذب وأنه لم يعمل هذا العمل ابتغاء مرضاة الله... فيقول له الله - جل وعلا -: كذبت.

وتقول الملائكة له: كذبت.

فيقول له الله - جل وعلا -: إنك فعلت ذلك ليقال جواد - يعني: كريم- وقد قيل ... أي: أخذت كل ما تريد من السمعة والشهرة والثناء.

ثم يأمر الله الملائكة فتُلقيه على وجهه في نار جهنم.

* ثم ينادي ملك من الملائكة على الرجل الثالث: وهو الذي كان يجاهد في سبيل الله فقُتل في أرض المعركة.

فيتخطى الصفوف ليقف بين يدي الله - جل وعلا.

فيُعرفه الله نعمه عليه ويُذكره بها فيعترف بنعم الله عليه.

ثم يسأله ربه - جل وعلا - وماذا عملت بتلك النعم؟

فيقول المجاهد: قاتلت من أجلك حتى استُشهدت.

ولكن الله - عز وجل - يعلم أن هذا الرجل يكذب وأنه لم يعمل هذا العمل ابتغاء مرضاة الله... فيقول له الله - جل وعلا-: كذبت.

وتقول الملائكة له: كذبت.

فيقول الله - جل وعلا- له: إنك قاتلت ليقال: جرىء - أى: شجاع - وقد قيل ... أى أخذت كل ما تريد من السمعة والشهرة والثناء.

ثم يأمر الله الملائكة فتُلقيه على وجهه فى نار جهنم.

❋ ❋ ❋

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة، فقال ﷺ :

«إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتي به، فعرَّفهُ نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئٌ فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل يُحَبُّ أن يُنفَق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل : ثم أمر به فسُحب على وجهه، ثم أُلقي في النار»(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي.

الدروس المستفادة:

(١) أن ما نحن فيه من النعم فهي من عند الله...
فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[١].

(٢) أن العبد إذا عمل عملاً صالحًا فلا بد أن يعمله ابتغاء مرضاة الله ولا يلتفت إلى مدح الناس وثنائهم؛ لأن مدح الناس لن ينفعه وإنما الذى ينفعه أن يتقبل الله عمله وأن يرضى عنه ويُدخله الجنة.

(٣) أن العبد إذا عمل عملاً صالحًا يريد بذلك أن يرائى الناس وأن يفوز بمدح الناس وثنائهم، فإن الله يحبط عمله ولا يتقبله منه بل ويعاقبه عليه يوم القيامة ... كما فعل بهؤلاء المرائين الثلاثة.

❋ ❋ ❋

---
(١) سورة النحل: الآية: (٥٣).

قصة المطرودين عن حوض النبى ﷺ

إذا كان يوم القيامة حُشر الناس جميعًا حُفاة عُراة وهم فى قمة الجوع والعطش والتعب، فيبحثون فى أرض المحشر عن شربة ماء ليشربوها بعد عطش طويل منذ مئات السنين وهم فى قبورهم.

وبعد بحثٍ طويل يعلم الناس أنه ليس هناك أى ماء فى أرض المحشر إلا فى حوض النبى محمد ﷺ.

ويذهب كلُّ الناس إلى حوض النبى ﷺ ليشربوا من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة، لا يظمؤون بعدها أبدًا.. فمنهم من يلقاه النبى ﷺ ويفرح به ويسقيه من حوضه ﷺ.

ومنهم من تمنعه الملائكة من الاقتراب من الحوض فيقول النبيُّ ﷺ: يا ربِّ هؤلاء من أصحابى.. فيرد عليه ملك

من الملائكة ويقول له: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك.

وهنا يتبرأ النبى ﷺ من الذين ابتدعوا فى دينه ولم يتبعوا سُنته ويقول لهم: «سُحقًا سُحقًا لمن بدَّل بعدى».

* ولقد ذكر النبى ﷺ قصة المطرودين عن حوضه، فقال ﷺ: «إنى فرطُكم[(١)] على الحوض، من مرَّ بى شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردن علىَّ أقوام أعرفُهم ويعرفونى، ثم يُحال بينى وبينهم، فأقول: إنهم منِّى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقًا سحقًا لمن بدَّل بعدى»[(٢)].

* **وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: «ترد علىَّ أمتى الحوض وأنا أذود[(٣)] الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله».

قالوا: يا نبى الله أتعرفنا؟

قال: «نعم، لكم سيما[(٤)] ليست لأحد غيركم، تردون علىَّ

(١) أى: سابقكم إلى الحوض.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد.

(٣) أذودُ: أطردُ وأمنع.

(٤) السيما: العلامة.

غُرًّا مُحجلين[١] من آثار الوضوء، وليُصدنَّ عني طائفة منكم فلا يصلون[٢] فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي فيُجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟»[٣].

* * *

(١) غُرًّا مُحجلين: قال أهل «اللغة»: الغُرة: بياض في جبهة الفرس، والتحجيل: بياض في يديها ورجليها.
قال العلماء: سمّى النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غُرًّا وتحجيلاً تشبيهًا بغرة الفرس والله أعلم. «صحيح مسلم بشرح النووي» (٣/ ٤٨٢).

(٣) فلا يصلون» أي: لا يصلون إلى الحوض.

(٤) رواه مسلم (٣٣) (٢٤٥).

الدروس المستفادة :

(١) أنه لا يوجد ماء فى أرض المحشر إلا فى حوض النبى ﷺ فمن سار على سُنته واتبع هُداه شرب من حوض النبى ﷺ .. ومن هجر سُنته وابتدع فى دين الله (جل وعلا) فلن يشرب من حوض النبى ﷺ .

(٢) أن المسلم لا بد أن يكون على يقين من أنه لا نجاة إلا فى السير وراء النبى ﷺ .. وأنه لا فلاح إلا فى اتباع سُنته ﷺ .

(٣) أن النبى ﷺ لا يعلم الغيب ولذلك تقول له الملائكة : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك .

(٤) أن المسلم لا بد أن يستعد بالعمل الصالح والبعد عن البدع حتى لا يتبرأ منه النبى ﷺ يوم القيامة ويقول له : سُحقًا سُحقًا لمن بدَّل بعدى .



إلى الجنة بغير حساب

جلس النبي ﷺ يومًا مع أصحابه وذكر لهم قصة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

فيا تُرى ما هي قصتهم؟ تعالوا بنا لنتعرف على قصتهم.

لما جلس النبي ﷺ يومًا مع أصحابه ذكر لهم أن الأمم عُرِضت عليه في ليلة الإسراء والمعراج وأنه رأى كل نبي مع أمته.

فرأى نبيًا وقد استجاب له حوالي تسعة من قومه..

ورأى نبيًا آخر وقد استجاب لدعوته رجلٌ واحد.. ورأى نبيًا ثالثًا وقد استجاب لدعوته رجلان من أمته.. ورأى نبيًا رابعًا ولم يستجب له أحدٌ من أمته.

وفجأة.. رأى النبي ﷺ عددًا كبيرًا من الناس فظن أنهم أمته فقالت الملائكة له: هذا نبي الله موسى (عليه السلام) ومعه أمته.

ثم قالت له الملائكة: انظر إلى يمينك.. فنظر النبي ﷺ فرأى عدداً كبيراً من الناس.. ثم قيل له: انظر إلى يسارك.. فنظر فرأى عدداً كبيراً جداً من الناس.

فقالت الملائكة له: هؤلاء هم أمتك يا رسول الله ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

فلما ذكر النبي ﷺ ذلك لأصحابه ثم دخل بيته.. أخذ الصحابة يفكرون في شأن هؤلاء السبعين ألفًا الذي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

فقال أحدهم: لعلهم الذين صحبوا النبي ﷺ منذ بداية البعثة.

وقال أحدهم: لعلهم الذين وُلدوا مسلمين فلم يشركوا بالله شيئًا..

وذكروا أشياء كثيرة.. حتى خرج عليهم النبي ﷺ وسألهم عما يتحدثون فيه فأخبروه أنهم يتكلمون عن هؤلاء السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وقالوا له: مَن هؤلاء يا رسول الله - ﷺ.

فقال لهم النبي ﷺ: «هم الذين لا يسترقون - أي: لا

يطلبون الرقية - ولا يتطيرون - أي: لا يتشاءمون - ولا يكتوون - أي: لا يتعالجون بالكي - وعلى ربهم يتوكلون».

فقام صحابي جليل اسمه «عُكَّاشة بن محصن» فقال: «ادعُ الله أن يجعلني منهم يا رسول الله» فقال ﷺ: «أنت منهم».

فقام رجل آخر وقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم يا رسول الله.

فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة».

❊ ❊ ❊

* ولقد ذكر النبي ﷺ هذه القصة في حديث صحيح فقال ﷺ: «عُرِضَت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أُمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» قالوا: ومن هم يا رسول الله؟

قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون».

فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «أنت منهم».

قال: فقام رجلٌ فقال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم... قال: «سبقك بها عُكَّاشة»[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم إذا دعا الناس إلى الله (جل وعلا) فلا ينبغى أن يحزن إذا لم يستجب لدعوته إلا القليل.. فقد رأينا كيف أن هناك من الأنبياء من لم يستجب له إلا الرجل أو الرجلان ومنهم من لم يستجب له أحد.. فما على المسلم إلا أن يبلغ دعوة الله ويترك النتائج والثمرات على الخالق (جل وعلا).

(٢) أن أمة النبى محمد ﷺ هى أعظم الأمم بل وأكثر الأمم وأن هذه الأمة ستكون ثُلثا أهل الجنة.

(٣) أن تحقيق التوكل على الله يجعل العبد فى زمرة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٤) أن المسلم لا بد أن يتسابق إلى كل خير يقربه إلى الجنة..

وقد رأينا كيف أن عُكاشة رضي الله عنه لما سمع بخبر هؤلاء السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، قال للنبى ﷺ: «ادعُ الله أن يجعلنى منهم».

فقال ﷺ: «أنت منهم».

آخر من يدخل الجنة

جلس الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع بعض أصحاب النبي ﷺ يحكي لهم قصة آخر رجل يدخل الجنة كما سمعها من رسول الله ﷺ .

فأخبرهم أن النبي ﷺ كان جالسًا معهم في يوم من الأيام وحكى لهم قصة آخر رجل يدخل الجنة فأخبرهم أن هذا الرجل يأتي يوم القيامة موحدًا ولكنه قد عمل ذنوبًا كثيرة ولم يتب منها فيدخل النار حتى إذا نال العذاب الذي يستحقه عفا الله عنه وأمر بخروجه من النار ودخوله الجنة .

فيخرج هذا الرجل من النار ويمشي على الصراط الذي هو أحدُّ من السيف وأدق من الشعر . . . فيمشي مرة ويسقط على وجهه مرة وتضرب النار وجهه مرة . . ويظل على تلك الحالة الشديدة زمانًا طويلاً حتى إذا جاوز الصراط وترك النار وراءه التفت إليها وقال وهو لا يكاد

يصدق: تبارك الذى نجانى منك.. لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين.

ويجلس هذا الرجل ليستريح قليلاً من الأهوال التى رآها فى النار ثم على الصراط... وبينما هو على تلك الحالة إذ رأى شجرة جميلة حولها ماء عذب جميل فينادى هذا الرجل ويقول: يا رب قربنى من هذه الشجرة كى أستظل بظلها وأشرب من مائها.

فيسأله الله (جل وعلا) عما إذا كان سيطلب شيئًا آخر بعد ذلك.

فيقول الرجل: لا يا رب... ويعطى ربه العهود والمواثيق على أنه إذا قربه من هذه الشجرة فلن يسأل شيئًا آخر.

فيُقربه الله (عز وجل) من هذه الشجرة فيستظل العبد بظلها ويشرب من مائها ويعيش فى متعة لم يكن يحلم بها من قبل.

وفجأة يرى العبد شجرة أحلى وأجمل من الأولى فيصرخ ويقول: يا رب قربنى من هذه الشجرة لكى

أستظل بظلها وأشرب من مائها.

فيقول الله تعالى: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟

فيقول العبد: أعاهدك يا رب إن قربتنى من هذه الشجرة أن لا أسألك شيئًا بعد ذلك...

وربه يعذره لأنه يرى شيئًا جميلاً لا يستطيع أن يصبر عليه.

فيقربه الله (جل وعلا) من هذه الشجرة فيستظل بظلها ويشرب من مائها ويظل على تلك الحالة من النعيم إلى أن يرى شجرة ثالثة أجمل من هاتين الشجرتين.. إنها شجرة مغروسة عند باب الجنة.

وهنا يصرخ العبد ويقول: يا رب قربنى من هذه الشجرة لكى أستظل بظلها وأشرب من مائها.

فيقول (جل وعلا): يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟

فيقول العبد: أعاهدك يا رب إن قربتنى من هذه الشجرة أن لا أسألك شيئًا بعد ذلك.

وفي كل مرة ربه يعذره لأنه يرى شيئًا جميلاً لا يستطيع أن يصبر عليه.

فيقربه ربه (جل وعلا) من هذه الشجرة الجميلة المغروسة على باب الجنة.

فإذا جلس تحت هذه الشجرة سمع صوت نعيم أهل الجنة فلم يحتمل ذلك فيصرخ: يا رب أدخلني الجنة.

فيسأله ربه (جل وعلا) عما يُرضيه حتى لا يسأل شيئًا بعد ذلك ثم يقول له: أيُرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟

فيقول العبد: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

هنا ضحك عبد الله بن مسعود - راوي الحديث - وقال للصحابة: ألا تسألوني ما الذي يُضحكني؟

فقالوا: مم تضحك يا ابن مسعود.

قال ابن مسعود: أضحك لأن النبي ﷺ ضحك عند هذه الكلمة فلما سألناه: مم تضحك يا رسول الله.

فأخبرنا النبي ﷺ أنه يضحك من ضحك رب العالمين حين قال له العبد: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

قال تعالى: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر.

* ولقد وردت هذه القصة في سنة الرسول ﷺ:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجلٌ فهو يمشي مرة ويكبو[1] مرة، وتسفعه[2] النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرة، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها. فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه[3]، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها!

فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول:

---

(١) يكبو: يسقط على وجهه.
(٢) تسفعه: تضرب وجهه وتسوّده، وتؤثر فيه أثرا.
(٣) أي: نعمة لا صبر له عنها.

لعلّي إن أدنيتك منها تسألني غيرها. فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها. ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول: أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها.

فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟

قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها.

فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك[1]؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟!

قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟».

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني ممَّ أضحك؟

فقالوا: مم تضحك؟

قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟

قال: «من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني

(١) يا ابن آدم ما يصريني منك: معناه: ما يقطع مسألتك مني.

وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر»[1].

وفي رواية:

عن ابن مسعود - أيضًا - قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجلٌ يخرج من النار حبوًا فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي - أو أتضحك بي - وأنت الملك؟».

قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يُقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٨) (١٨٦).

الدروس المستفادة:

(١) أن المؤمن الموحد لا يُخلَّد في النار مهما بلغت ذنوبه ما دام أنه مات على الإيمان والتوحيد.

(٢) أن نار الآخرة أشد من نار الدنيا بسبعين مرة.

(٣) أن الصراط يوم القيامة طويل جداً ولن ينجو منه إلا أهل الإيمان والتقوى.

(٤) أن العبد يطمع دائمًا في رحمة الله وكرمه؛ لأنه يعلم أن الله أرحم به من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

(٥) أن العبد لا يستطيع أن يصبر إذا سمع صوت نعيم أهل الجنة حتى يدخلها.

(٦) أن الله يضحك ضحكًا يليق بجلاله وكماله... وضحكه ليس كضحك المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

(٧) أن الله قادر على كل شيء وأنه يعطي عباده المؤمنين بغير حساب.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).

قصة يوم المزيد

حبايبى الحلوين.

ما من مسلم يعيش على وجه الأرض إلا وهو يتمنى أن يدخل الجنة ليعيش فى نعيم الجنة التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. لكن هناك من لا يريد الجنة فحسب بل يريد أن يستمتع بالنظر إلى وجه الله (جل وعلا).

إنه أعظم نعيم فى الجنة.

ولذلك يخبرنا النبى ﷺ أنه إذا حُشر الناس يوم القيامة ووقفوا بين يدى الله للحساب فإن الله سيقضى بين الناس وسوف ينقسم الناس إلى قسمين: فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار.

فأما الذين يدخلون الجنة فإنهم يعيشون فى نعيم لا يخطر على قلب بشر ومع ذلك فإن الله (جل وعلا) سينادى عليهم ويقول: يا أهل الجنة هل تريدون شيئًا أزيدكم؟

فيتعجب أهل الجنة لأنهم يعيشون فى نعيم لم يحلموا به.. فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا.. ألم تُدخلنا الجنة وتُنجنا من النار.

وكأنهم يريدون أن يقولوا للحق (جل وعلا): لقد أعطيتنا فوق ما نريد فنحن لم يخطر على بالنا هذا النعيم الذى أكرمتنا به.

وإذا بالحق (جل وعلا) يُفيض عليهم من كرمه ورحمته فيكشف الحجاب فينظرون إلى وجه الله (جل وعلا) فعند ذلك يتضاءل أى نعيم رآه أهل الجنة أمام لذة النظر إلى وجه الله (جل وعلا).

❊ ❊ ❊

ولقد حكى النبى ﷺ هذا المشهد فقال ﷺ: «إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقول اللهُ عز وجل: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا، ألم تُدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية: «﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1]»[2].

(١) سورة يونس: الآية: (٢٦).
(٢) رواه مسلم (٢٩٧) (١٨١).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم ينبغي عليه الا تكون طموحاته كلها من أجل الدنيا فقط بل ينبغي عليه أن يكون ناجحًا في دنياه وفي نفس الوقت لا ينسى أن يعمل ليدخل الجنة التي جعلها الله لعباده المتقين الصالحين.

(٢) أن أعظم نعيم في الجنة هو النظر إلى وجه الله (جل وعلا).

(٣) أن أشد أنواع العذاب لأهل النار هو أنهم يُحرمون من رؤية وجه الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[1].

(٤) أنه على قدر حبك لله وطاعتك له (جل وعلا) سيكون قُربك منه في الجنة واستمتاعك بالنظر إلى وجهه (سبحانه وتعالى).

* * *

(١) سورة المطففين: الآية: (١٥).

الفِهرِس

الفهرس

* * *